علي بن إبراهيم النملة

مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم



بيسان

مصادر الاستشراق
والمستشرقين ومصدريّتهم

علي بن إبراهيم الحمد النملة

أستاذ المكتبات والمعلومات
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الثانية
١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١م

بيسان

مصادر الاستشراق
والمستشرقين ومصدريّتهم

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النملة، علي بن إبراهيم

مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم/

علي بن إبراهيم النملة ـ ط٢ ـ الرياض، ١٤٣٢ هـ

٣٠٩ ص؛ ١٤ سم × ٢١ سم

ردمك: ٧ ـ ٧١٢٢ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١ ـ الاستشراق والمستشرقون أ. العنوان

ديوي ٢٩٥ ـ ٣٠١ ١٤٣٢/٣٣٠٦

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٣٣٠٦

ردمك: ٧ ـ ٧١٢٢ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١م

- اسم الكتاب: مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم
- تـــاليــــف: علي بن إبراهيم الحمد النملة
- الطبعة الثانية، أيلول (سبتمبر) 2011م

- الناشر: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام

ص. ب: 5261 ـ 13 بيروت ـ لبنان

تلفاكس: 351291 ـ 1 ـ 961

E-mail: info@bissan-bookshop.com

Website: www.bissan-bookshop.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.

فهذه وقفات مع ظاهرة الاستشراق والمستشرقين وعلاقتهم بالدراسات الإسلامية، من حيث مصادرُهم ومصدريَّتُهم ومصادرُ الدراسات عن الاستشراق والمستشرقين، سعيت إلى ربطها بالمعلومات المستقاة من إسهاماتهم، ومن الأحكام عليهم من خلال هذه المعلومات.

وكانت هذه الدراسات الأربع متفرِّقة، من حيث الزمانُ والناشرون، وظهرت على شكل مقالات علمية نُشرت في دوريات محكَّمة، ورأيت أنْ أجمعها في كتاب واحد بعد أنْ وجدت من يحثُّني على ذلك ويشجِّعني عليه، ويطالبني بالاستمرار في هذا المجال الذي يزداد العمق فيه كلما زاد الباحث قربًا منه. ومع هذا التعمُّق تتَّضح الرؤية أكثر من ذي

قبل، مما يؤثِّر في الحكم العام على ظاهرة الاستشراق والمستشرقين.

وقد ظهر ذلك جليًّا عند المقارنة بين أوَّل عمل أسهمت به في هذا المجال ونشرتُه في مجلة التوباد، وآخر عمل نشرتُه كتابًا مستقلاً عن المستشرقين والتنصير. على أني استخدم مصطلح الاستشراق في جميع هذه الدراسات وغيرها استخدامًا إجرائيًّا، يقصر المفهوم على اشتغال المستشرقين بعلوم المسلمين، مع علمي أنَّ في هذا تضييقًا للمصطلح الأعمِّ، إلا أنَّ دواعي الدراسة تبيح هذا التعريف الإجرائي.

وقد جاء هذا الكتاب في أربعة فصول، هي على النحو الآتي:

الفصل الأول: مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف.

وكان هذا الفصل الأول قد صدر كتابًا مستقلاً عن مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض بالمملكة العربية السعودية، وحيث جاء في صفحات لا تتعدَّى خمساً وخمسين صفحة، فقد رأيت إعادة نشره مع هذه الدراسات، بعد الإذن بذلك من الناشر، وبعد أنْ أجريت عليه بعض التعديلات التي أملتها المرحلة الراهنة، كما هو الحال مع بقية الدراسات الثلاث الأخرى.

الفصل الثاني: مصادر الاستشراق والمستشرقين عن الإسلام والمسلمين.

الفصل الثالث: أعمال المستشرقين مصدرًا من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين.

الفصل الرابع: رحلات المستشرقين مصدرًا من مصادر المعلومات عن العرب والمسلمين.

وتبع هذه الفصول الأربعة قائمة وراقية «ببليوجرافية» بالمراجع الأساسية التي ورد ذكرها في الفصول الأربعة، دمجتها جميعًا بدلاً من إفراد كلِّ فصل بمراجعه، لا سيَّما أنَّ هناك تشابُهًا واضحًا في المراجع.

واقتضت إعادة الطبعة أنْ تكون هناك مراجعة جذرية للأفكار التي طُرحت من قبل، وكان نشرها قد مرَّ عليه أكثر من خمسة عشر عامًا، يعكس هذا التحرير قدْرًا من التطوُّر في النظرة للاستشراق، بناءً على مفهومٍ أيقنتُ به، مؤدَّاه أنه كلَّما تعمَّق الباحث العربي في دراسة الاستشراق نزع إلى الموضوعية في نقاشه، من دون أنْ تفضي هذه الموضوعية إلى موافقة المستشرقين في كلِّ ما ذهبوا إليه في التعامُل مع علوم المسلمين، ودون أنْ تفضي ـ كذلك ـ إلى رفض كلِّ ما جاء به المستشرقون من أفكار حول علوم المسلمين وتراثهم. واقتضى ذلك أيضًا إعادة النظر في ترتيب الفصول، والتغيير في المقدِّمات المنطقية.

ومن المنهج في هذه الفصول التعريف بالأعلام العربية والإسلامية والمستشرقين عند أوَّل ورود للعلم، والاكتفاء بذلك، دون الإشارة اللاحقة إلى أنه سبق التعريف به، عندما يتكرَّر ذكره. كما حرصت على توثيق المعلومات من مراجعها الأساسية، إلآ ما لم أتمكَّن من الوصول إليه، فأستأنس بمن أخذ منه. وحيث إنني اعتمدت في هذه الطبعة على كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد بترجمة محمَّد عناني فقد لزم ذلك تتبُّع الاقتباسات التي سبق أخذها من ترجمة كمال أبو ديب وتوثيقها من ترجمة محمَّد عناني. فاختلفت الصياغات باختلاف الترجمة، كما اختلفت أرقام الصفحات تبعًا لذلك.

ولعلَّ من أبرز معالم هذا التطوُّر في النظرة هو النزوع إلى الابتعاد في التعبير عن تعميم الأحكام السلبية على جميع المستشرقين، وعلى ظاهرة الاستشراق بعامَّة، بحيث يطغى على التعبير بالبعض أو بالأكثر أو بالأغلب، بحسب ما يقتضيه النقاش. وكان لا بدَّ من بعض اللمسات التي تستدعيها أمور جمع دراسات متفرِّقة في سِفْرٍ واحد، ومن أهمِّ هذه اللمسات الابتعاد عن تكرار الأفكار ما أمكن.

والذي آمله أنْ تؤدِّي هذه الإسهامة ما يُراد منها من النفع، وأنْ تكون حافزًا للمزيد من الدراسات الموضوعية في مجال لا يزال موضع جدل قويٍّ بين علماء المسلمين والعربية ومفكِّريهم، بل بين المستشرقين وعلماء الغرب أنفسهم.

ولا يفوتني في هذا المدخل أنْ أسجِّل شكري وتقديري لأهلي ولزملائي الذين كان لهم الأثر البارز في تخطِّي ضغط الوقت وكثرة المشاغل والارتباطات الرسمية والاجتماعية، وما أسهموا به من توجيهات وملحوظات عند قراءتهم لهذه الدراسات وغيرها. فكان لهم ـ بعد فضلِ الله تعالى ـ فضلٌ عليَّ عظيم، ما كنت أحسب أني أنجز علميًّا ما أنجزت، لولا هذا التشجيع المتواصل.

وأخصُّ من هؤلاء الزملاء الإخوة الأستاذ الدكتور إبراهيم بن مبارك بن موسى الجوير أستاذ الاجتماع وعضو مجلس الشورى، والأستاذ الدكتور إبراهيم بن محمَّد حمد المزيني أستاذ الحضارة ورئيس قسم التاريخ والحضارة بكليّة العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، والأستاذ الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم ين سليمان العُمري أستاذ التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية، والأستاذ الدكتور عمر بن صالح بن سليمان العُمري أستاذ التاريخ الحديث، وغيرهم من الأحبَّة الزملاء، فجزاهم الله عنّي خير الجزاء، ووفقهم جميعًا إلى الخير، وكان الله في عون الجميع.

علي بن إبراهيم الحمد النملة
الرياض
١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

الفصل الأوَّل

مصادر المعلومات
عن الاستشراق والمستشرقين:
استقراء للمواقف[1]

التمهيد

سبق التوكيد على أنَّ الاستشراق ظاهرة صاحبت الصحوة الفكرية التي عاشتها أوروبا، منذ أنْ شعرت بالتهديد الإسلامي المصطنع عن طريق الأندلس وصقلّية غربًا، وعن طريق تركيا شرقًا بعد ذلك.[2] فكان أنْ اهتمَّ الغرب بالاستشراق لغايتين كبيرتين هما:

---

(١) نشر هذا الفصل كتابًا مستقلاً عن مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ـ. ٥٥ ص.

(٢) هناك نقاش حول مكانة الاستشراق بين فنون المعرفة، فهناك من يراه ظاهرة فحسب، وهناك من يراه علمًا من العلوم التي تقوم على نظرية، وله مقدِّماته ونتائجه. وقد سارت هذه الدراسات على أن الاستشراق ظاهرة. ولذا تكرَّر هذا التوجُّه في مقدّمات الدراسات التي يفضّل بقاؤها توكيدًا على هذا التوجُّه. وانظر في مناقشة الظاهرة: هاشم صالح/ مترجم ومعدّ. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه. ـ بيروت: دار الساقي، ١٩٩٤م. ـ ص ٥ ـ ١٨.

١ ـ الحدُّ من انتشار الإسلام في الغرب، «وحماية» الإنسان الغربي من الإسلام.

٢ ـ التعرُّف على بلاد المسلمين وثقافتهم ومعتقدهم وآدابهم وأساطيرهم؛ تمهيدًا للتأثير على هذه البلاد وأهلها.[١]

وقد مرَّت على البلاد العربية والإسلامية محنٌ عظيمة مهَّدت في النهاية إلى احتلالها على أيدي الغربيين من إنجليز وفرنسيين وإيطاليين وهولنديين، ولم يتمكَّن الألمان من الاحتلال المباشر، وإنْ كانوا قد أسهموا في الاحتلال الفكري في القرن التاسع عشر الميلادي.[٢]

وصاحَبَ الاحتلالَ الفعليَّ للبلاد الإسلامية تصديرٌ لتراث المسلمين من كتب ومخطوطات، حتى شغلت حيِّزًا كبيرًا في المكتبات الغربية والمتاحف، ولا تزال تغصُّ بها، رغم هذه النهضة العلمية التي تعيشها معظم بلاد المسلمين. وقد سبق الاحتلالَ دراسةٌ لأوضاع المسلمين، بل إنَّ الدراسات هذه تعود إلى ما قبل الحروب الصليبية على أيدي رجال ونساء من الغرب

---

(١) انظر: عبد العظيم محمود الديب. المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي. ـ الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤١١هـ. ـ ص ٣٨ ـ ٣٩. ـ (سلسلة كتاب الأمّة؛ ٢٧).

(٢) انظر: صلاح الدين المنجِّد. الاستشراق الألماني: ماضيه ومستقبله. ـ الهلال. ـ مج ٨٢، ع ١١، (١٠/ ١٣٩٤هـ ـ ١١/ ١٩٧٤م). ـ ص ٢٢ ـ ٢٧.

كانت دوافعهم غير صافية، من حيث المنهجيةُ في دراسة تراث الأمَّة الإسلامية. وما صاحب الحروب الصليبية لم يكن يُتوقَّع منه الموضوعية في الحكم العامِّ على بلاد المسلمين.

ولذا يمكن أنْ يقال إنَّ الاستشراق قد قام على خلفية فكرية اتَّكأت على الصراع الحضاري بين الإسلام والنصرانية من جهة وبين الإسلام واليهودية من جهة أخرى،[1] ويصعب التخلص من هذه النشأة للاستشراق. ويؤيِّد هذه الخلفية أنَّ الاستشراق قد انطلق من الأديرة والكنائس وقام به في البدء رهبان وقسس.[2] حتى الذين حاولوا التجرُّد في دراستهم للإسلام دينًا وثقافة وتراثًا فدرسوا اللغة العربية ليأخذوا الإسلام من لغته وبلغته، وقعوا في مشكلة محدودية الفهم للنصوص التي اقتبسوها من كتب التراث، وعجزوا عن فهمها على ما أُريد لها من الفهم.[3]

مفهوم الاستشراق

ولست بصدد الخوض في تعريفات الاستشراق والوقوف

---

(١) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ـ الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، ١٤٠٤هـ. ـ ص ١٢٣ ـ ١٣٠. ـ (سلسلة كتاب الأمّة؛ ٥).

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ ط ٥. ـ ٣ مج.. القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٦م. ـ ٣: ٢٤٢ ـ ٣١٦.

(٣) انظر: محمود الغول. الاستشراق اليوم: المستشرقون أقلُّ دراية بأسرار اللغة العربية. ـ العربي. ـ ع ٤، (٣/ ١٩٥٩م). ـ ص ١١٨ ـ ١٢٢.

على دوافعه وأهدافه وانتماءات المستشرقين، فهذه مقدِّمات تحدثت عنها الدراسات العلمية المتوسِّعة والمتخصِّصة.[1] إلا أنه يهمُّني أنْ أقرِّر هنا أنَّ الاستشراق في الجانب الذي يخدم البحوث العربية والإسلامية، هو اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين، بغضِّ النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية «الجهوية»، وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية.[2]

وليس المراد بالمستشرق ـ اليوم ـ «شخصًا غربيًا غير مسلم (من أوروبا وأمريكا) يدرس اللغة العربية وبعض وجوه الثقافة الإسلامية»،[3] كما يشير «عمر فرُّوخ» ـ رحمه الله ـ؛[4] إذ إنَّ

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. كُنه الاستشراق: المفهوم ـ الأهداف ـ الارتباطات. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م. ـ ٢٧٧ ص.

(٢) لقد حاولت رصد التعريفات التي تعرَّض لها الدارسون لظاهرة الاستشراق في كتاب الاستشراق في الأدبيات العربية: عرضٌ للنظرات ورصد وراقي للمكتوب. ـ الرياض: مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١٧ ـ ٢٢. ثم قمت بتحديث القائمة ووزَّعتها على خمسة موضوعات رئيسية، هي: نقد الاستشراق، والاستشراق والإسلام، والاستشراق والقرآن الكريم، والاستشراق والسنَّة والسيرة، والاستشراق وعلوم المسلمين. ونشرتها دار بيسان ببيروت في خمسة كتب، سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(٣) انظر: عمر فرُّوخ. الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة. ـ ص ١٢٥ ـ ١٤٣. ـ في: الإسلام والمستشرقون/ تأليف نخبة من العلماء المسلمين. ـ جدَّة: عالم المعرفة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ٥١١ ص.

(٤) عمر بن عبدالله بن عبدالرحمن فرُّوخ، ولد ببيروت سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، أسهم في الكتابات الصحفية، وهو يافع، خلَّف من الأعمال العلمية=

هذا التعريف ضيِّق جدًّا، يُدخل الباحث في حرج، حينما يعمد هذا الباحث أو غيره إلى تصنيف غير الغربيين، ممن يدرسون الإسلام وهم لا ينتمون إليه، على أنهم مستشرقون، ولو لم يكونوا من الغرب، بما في ذلك الذين ينسلون من أصل عربي، سواء بقوا بين العرب أو انتقلوا إلى «الغرب» يعملون في مؤسَّساته العلمية، أو من أصبح مُقامهم بين العرب ولسانهم عربيًا، ولكنهم آثروا البقاء على عقيدتهم اليهودية أو النصرانية على الدخول في الإسلام. ويظهر أنَّ هؤلاء إذا ما درسوا الإسلام من منطلق استشراقي عُدُّوا من المستشرقين ولو لم يكونوا غربيين.

واشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم وآدابهم وفنونهم وأساطيرهم متاح للجميع، بل إنَّ المجتمع المسلم في القديم والحديث مثار اهتمام كثير من الثقافات الأخرى، لما يحدثه هذا المجتمع من أثر على الحياة الاجتماعية، ليس في المجتمع المسلم فحسب، ولكن في أيِّ مجتمع توجد فيه أقلِّية مسلمة. إلا أنَّ اشتغال غير المسلمين

= والأدبية ما يزيد عن سبعة وثمانين مؤلَّفًا، بين تأليف ونقل، عدا المقالات الصحفية، وكان عضوًا في المجامع العلمية واللغوية. توفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الخميس ١٧/٣/١٤٠٨هـ الموافق ٨/١١/١٩٨٧م. انظر: هيفاء رشيد عطا الله الجهني. عمر فرُّوخ ودراساته الأدبية والنقدية. ـ مكَّة المكرَّمة: نادي مكَّة الثقافي الأدبي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. ـ ٢٦٦ ص.

بعلوم المسلمين يفتقر إلى عامل مهم في الدراسة الموضوعية والمنهجية، وهو الانتماء لهذه الثقافة التي تنبع منها تلك العلوم والمعارف التي يدرسها غير المسلمين.

ولا يكفي ـ فيما يظهر ـ مجرَّد الإعجاب بالثقافة وبأهلها وبمنبعها، بل لا بدَّ من الانتماء الذي يحيل هذه الدراسات إلى القبول المبدإي، ويزيل عنها عقدة الشكِّ التي لازمت كثيرًا من دراسات المستشرقين، إلى درجة يتعذَّر معها التخلُّص منه، مهما كان الأمر، إذا ما رسخ في أذهاننا أنَّ المشتغل بهذه الدراسات لا ينتمي إليها.

وليس الانتماء مقصودًا لذاته معيارًا للقبول أو الرفض؛ لأنَّ إسهامات المنتمين لهذه الثقافة والفكر أنفسهم تخضع للرفض رغم انتمائهم لها، مع أنَّ الأصل فيها القبول، إلا أنَّ كونها صادرةً عن بشر فهي تخضع لمقابلتها بالمعيار الذي تقاس عليه هذه الإسهامات، وهو مأخوذ من كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله ﷺ. وهذا المعيار ـ كما سيأتي ـ ليس معتدًّا به لدى كثير من المستشرقين، لأنهم لا يؤمنون به، أي لا ينتمون إليه، مما يؤثِّر على النتائج التي يتوصَّلون إليها، وتكون مجالاً للتأثير على حساب المقياس الصحيح للوصول إلى النتائج.

ويقرُّ بعض المستشرقين بهذه العقدة المتأصِّلة، ولذا فإنهم يعتذرون للمسلمين، لا سيَّما إذا كانوا بينهم، بلباقة أحيانًا، عن عدم قدرتهم على تحقيق الانتماء في الدراسات الاستشراقية،

ومن ثم تحقيق المعيار، لأنهم يفتقرون إليه. وفي هذا يقول المستشرق الألماني أ. د. جريكة[١] «. . . ومما لا ريبَ فيه أنَّ النظر إلى الأشياء يختلف بين مفكِّر مسلم ومفكِّر لم يتخرَّج في مدرسة الإسلام، تلك المدرسة المتورِّعة المتسامحة في آنٍ واحد. فهو رجل لا يفقه كلام الرسول إلا من سبيل الترجمة، ولا يستطيع التعبير إلا حسب منطق فكري مباين، فلا بِدْعَ إذن أنْ يؤدِّي ذلك إلى نتائج قد لا تكون النتائج نفسها التي يصل إليها المفكِّر المسلم»[٢].

ومثل هـذا ما ينقل عن ألفردّ غيوم[٣] قوله: «ليس هناك خطأ أكبر من خطإ بناء حقائق عامَّة على أساس من المعارف الناقصة أو الضعيفة، ومن لا يعِش مع العرب[٤] لا يمكنه أنْ يلمَّ

(١) د. جريكة، مستشرق ألماني معاصر، كان رئيسًا لقسم علوم الشرق والعصور القديمة بجامعة هالة بألمانيا.

(٢) من محاضرة له في الملتقى السنوي السادس للتعرُّف على الفكر الإسلامي الذي يعقد في الجزائر، ١ : ٦.

(٣) ألفردّ غيوم تخرج في جامعة أكسفورد، وعمل في فرنسا ومصر، كما عمل محاضرًا للغة العبرية في المعهد الملكي بلندن، واللغات الشرقية بجامعة درهام، واستاذًا زائرًا للغة العربية بالجامعة الأمريكية ببيروت، وكان عضوًا في المجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع العراقي، وله آثار منها تراث الإسلام، وأثر اليهودية في الإسلام، توفي سنة ١٩٦٢م، انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٢ : ١١٧ ـ ١١٨.

(٤) جرت عادة الكتّاب الغربيين من مستشرقين وغيرهم أنْ يعبِّروا عن المسلمين بالعرب.

الإلمام التامَّ بأحوال وطباع الملايين من المسلمين في آسيا وأفريقيا، ولا يمكنه أنْ يقول شيئًا صحيحًا ومؤكَّدًا عن المجتمعات المتفرِّقة هنا وهناك، فلا بدَّ من التعايُش كي يقوم أحدهم بالتعليق، أو الحديث عن الإسلام والمسلمين».[1]

وعن هذا الاعتذار وأمثاله يقول محمَّد كرد علي[2] «ليس من المعقول أنْ نكلِّف من لم يتأدّبوا بأدبنا، ولم تعمل فيهم أحاسيسنا، ولا دانوا بديننا، أنْ يعتقدوا ما نعتقد».[3] وهذا حقٌّ، فلم يطلب أحدٌ منهم ذلك، ولكن الذي يحقُّ للمسلمين أنْ يطلبوه من المستشرقين وغيرهم ممن يدرسون المجتمع المسلم أو يتحدَّثون عنه، في مجالات خاصَّة أو عامَّة، أنْ يكونوا منصفين موضوعيين، ولو لم يوفّقوا إلى الحقيقة من منطلق إسلامي.

---

(١) نقلاً عن ويندل فيليبس. رحلة إلى عُمان/ ترجمة محمَّد أمين عبد الله. ـ عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٣م. ـ ص ٢٠.

(٢) محمد كرد علي من مواليد دمشق، سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م. حرّر جريدة الشام، ثم الرائد المصري، ثم جريدة الظاهر اليومية، ثم المؤيد، ثم المقتبس، من مؤسسي المجمع العلمي بدمشق، فرئيسه، وترك آثارًا علمية أبرزها (خطط الشام) في ستة أجزاء، وله وقفات مع الاستشراق والمستشرقين. انظر سيرته الذاتية في: محمَّد كرد علي. خطط الشام، مج ٦، ط ٣، بيروت: مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ص ٣٣٣ ـ ٣٤٧.

(٣) انظر: محسن جاسم الموسوي. الاستشراق في الفكر العربي. ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م. ـ ص ١٩.

ويُستحضر هنا قول محمود حمدي زقزوق مرَّةً أخرى السابق ذكره: «ونحن لا نطلب من كل مستشرق أنْ يغيِّر معتقده ويعتقد ما نعتقده نحن عندما يكتب عن الإسلام، ولكن هناك أوَّليات بديهية يتطلَّبها المنهج العلمي السليم. فعندما أرفض وجهة نظر معيَّنة لا بدَّ أنْ أبيِّن للقارئ أولاً وجهة النظر هذه من خلال فهم أصحابها لها، ثم لي بعد ذلك أنْ أوافقها أو أخالفها».(1) والمقصود بالفهم هنا ـ على ما يبدو ـ فهم أصحابها الصحيح لها، وليس مجرَّد الفهم، لأنَّ بعض أصحابها قد لا يفهمونها الفهم الصحيح؛ إذ هم ليسوا حجَّةً في فهم وجهة النظر في كلِّ الأحوال.

ويقول محمد عبد الله مليباري(2) «وربَّما اعتذر بعضهم باختلاف روح النظرة إلى كُنه هذه القضايا (الإسلامية) بين المؤمن بها والمنكِر الدارس للتوصُّل إلى حقائقها. وهو عذر وإنْ كان له في ميزان النقد أصالته، إلا أنَّ التذرُّع به يسلب هذا المنكِر الدارس ميزة تفهُّم هذه القضايا وواقع ظروفها، والبيئات

---

(1) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ـ ط ٢. ـ القاهرة، دار المنار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. ـ ص ٩٥.

(2) محمَّد عبد الله مليباري من مواليد مكَّة المكرَّمة، سنة ١٣٥٠هـ، أديب وكاتب صحفي، له أعمال متفرقة في القصة والتراجم والتاريخ، توفي سنة ١٤١١هـ.
انظر: محمَّد عبد الله مليباري. المستشرقون والدراسات الإسلامية. ـ الرياض، دار الرفاعي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. ـ (الغلاف الأخير).

المحيطة بها...».[١] ويضرب مثالاً لذلك بالمستشرقَين يوسف شاخت[٢] وهاملتون جب.[٣]

مشكلة البحث

لم يكن العرب والمسلمون من علماء ومفكِّرين يُلقون بالاً في البدء للدراسات الاستشراقية حول الإسلام والمسلمين، حتى بدأت النهضة العلمية في مصر والشام مع بداية الربع الثاني من القرن الميلادي العشرين المنصرم، أو قبل ذلك مع دخول نابليون بونابرت[٤] إلى مصر غازيًا سنة ١٧٩٨م، «إذ إنَّ احتلال نابليون

(١) انظر: محمَّد عبد الله مليباري، المستشرقون والدراسات الإسلامية، المرجع السابق، ص٦٥.

(٢) يوسف (جوزف) شاخت تخرَّج في جامعة برسلاو ولايبتزج بألمانيا، ودرّس في جامعات أوروبية وعربية، واشتهر بدراسة التشريع الإسلامي، ونشر كتباً عدةً في التراث التشريعي، وأسهم في تحرير (دائرة المعارف الإسلامية) توفي سنة ١٩٦٩م، انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ٢: ٤٦٩ ـ ٤٧١.

(٣) السير هاملتون جب (١٨٩٥ ـ ١٩٧١م) مستشرق إنجليزي، من مواليد الإسكندرية بمصر، ومن أعلام المستشرقين، تتلمذ على كينيدي واهتمَّ بالأدب العربي، كتب في العلوم الإسلامية والعربية والرحلات. وخلف مرجليوث في أكسفورد، وكان عضوًا في المجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع اللغوي بالقاهرة.، وقد أتقن العربية وتحدث بها. ومارس التدريس في معاهد وجامعات عدة. وله بضعة آثار منها اتجاه الإسلام، و(الاتجاهات الحديثة في الإسلام)، وترجمات من العربية. توفي سنة ١٩٧١م، انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٢: ١٢٩ ـ ١٣١.

(٤) نابليون بونابرت الأول (١٧٧٩ ـ ١٨٢١م) ضرب الإنجليز باحتلاله مصر، وكان قد أحضر معه مجموعة من المستشرقين الفرنسيين، ودخل الأزهر=

لمصر آذن بدوران عجلة الروابط بين الشرق والغرب. وهي التي لا تزال سائدةً في منظوراتنا الثقافية والسياسية المعاصرة. كما أنَّ حملة نابليون ـ بما أفرزته من ثمار القرائح العلمية الجماعية العظيمة والتي يحفظها لنا كتاب وصف مصر ـ قد أعدَّت المشهد أو الإطار الذي ازدهر فيه الاستشراق؛ إذ أصبح يُنظر إلى مصر ـ ومن بعدها البلدان الإسلامية الأخرى ـ بصفتها المجال أو المختبر أو المسرح الحيَّ للمعرفة الغربية عن الشرق».[1]

وكان من مشكلات هذه النهضة أنها قامت في مجملها على التأثُّر بالفكر الغربي، مع محاولات من بعض قادة الفكر في هذه المرحلة للتقليل من شأن الانتماء الثقافي والفكري، والدعوة إلى توخِّي الثقافة والفكر من المصادر الغربية.[2] ولذا كان الترحيب بالدراسات الاستشراقية التي أعطت تفسيرًا جديدًا للإسلام يختلف عن الفهم الذي توارثته الأجيال، وقام على مصادر التشريع الإسلامي المعروفة من كتاب كريم وسنَّة شريفة وإجماع وقياس وغيرها، وجاء في هذا التفسير الجديد أنَّ الدين

= آنذاك، ثم حاول احتلال الشام، ولكنه أخفق أمام حصون (عكّا). حياته حافلة بالأحداث العسكرية والثورية. وقد نفي إلى جزيرة (سانت هيلانة) الإنكليزية، ومات بالسرطان هناك. انظر: الموسوعة العربية الميسرة/ بإشراف محمَّد شفيق غربال. القاهرة: دار الشعب، (١٩٥٩م). ص١٨١٢.

(١) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. ـ القاهرة: رؤية، ٢٠٠٦م. ـ ص ١٠٠.

(٢) انظر: أنور الجندي. طه حسين: حياته وفكره في ميزان الإسلام. ـ القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٧م.

الإسلامي على ثلاثة أنواع: دين القرآن، ودين العلماء، ودين الدهماء، كما يشير ولفرد كانتول سميث،[1] وجاء أنَّ الأمَّة يمكن أنْ تجتمع على مسألة فتكون تشريعًا، وإنْ خالفت نصًّا من الكتاب أو السنَّة، كما يقول دنكن بلاك ماكدونالد،[2] وجاء أنَّ الدين خاضع للبيئة، فما صلح منه في الماضي قد لا يصلح اليوم، وما يصلح منه اليوم ليس بالضرورة صالحًا في الماضي، كما ينظر مورو بيرجر.[3]

---

(١) ولفرد كانتول سميث (مولود سنة ١٩١٦م)، وهو مستشرق كندي تخرج في جامعة (برنستون) بالولايات المتحدة الأمريكية، ودرَّس في كندا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. وكتابه (الإسلام في التاريخ الحديث) من منشورات جامعة (برنستون) سنة ١٩٥٧م، ونشرته بالعربية الدار القومية بالقاهرة، انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٣: ١٨٢.

(٢) دنكن بلاك ماكدونالد (١٨٦٣ ـ ١٩٤٣م) مستشرق أمريكي، أسهم في إنشاء المعاهد والدوريات الاستشراقية بمعاونة صموئيل (السَّمَوْأل) زويمر وسارتون. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٣: ١٣٦ ـ ١٣٧. وانظر: مادَّة (إجماع) في: دائرة المعارف الإسلامية/ إعداد نخبة من المستشرقين. أصدرها باللغة العربية أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس. ـ ١٥ مج. ـ بيروت: دار المعرفة، د. ت. ـ ١: ٤٣٨ ـ ٤٤٠.

(٣) مورو بيرجر (معاصر) وأستاذ العلوم الاجتماعية في جامعة (برنستون)، وقد عمل مستشارًا في مؤسسة راند البحثية في الولايات المتحدة الأمريكية، ورحل إلى العالم العربي بين عامي ٧٣ ـ ١٩٧٤م، وألَّف فيها كتابه (البيروقراطية والمجتمع في مصر الحديثة)، ومن أعماله أيضًا كتابه (المساواة بحكم القانون)، و(الحرِّيَّة والأشراف في المجتمع الحديث)، انظر: البيرواقراطيّة والمجتمع في مصر الحديثة. ترجمة محمَّد توفيق رمزي، القاهرة: مكتبة النهضة المصريَّة، ١٩٥٩م، ص ز. كما حاول التنظير للإسلام في كتابه (العالم العربي اليوم)، وقد نقله إلى العربية محيي الدين محمَّد، ونشرته في بيروت دار مجلّة شعر.

وهذه المواقف المتباينة أحدثت مشكلة فكرية وعلمية في آنٍ واحد حول مدى قبول مجمل هذه الإسهامات، ومدى الثقة العلمية بها. تمثَّلت هذه المشكلة في عدم الاحتكام إلى معيار واضح للقبول أو الرفض يمكن أنْ تُقاس عليه المعلومات التي جاء بها المستشرقون، وذلك للحكم العلمي على المعلومات من حيث القبولُ أو الرفض.

ولم تقف مشكلة القبول أو الرفض عند المنطق الإسلامي في تقبُّل المعلومات من أنَّ كلاً يؤخذ من كلامه ويردُّ إلا المعصوم محمَّدًا ﷺ،(١) بل إنَّ المشكلة تعود إلى أنَّ مدى القبول أو الرفض كان مرتهناً بتلقِّي معلومات عن الإسلام والمسلمين هي ذات علاقة مباشرة وقوية بالمعتقد والمسار الذي التزمت به دعوة محمَّد بن عبدالله ﷺ من أشخاص لا ينتمون إلى هذه الدعوة وإلى هذا المسار. فكان لا بدَّ وأنْ يقعوا في أخطاء جوهرية تمسُّ المعتقد والمسار، ويعتقد أنها مقصودة تسعى إلى نسف المعتقد تمامًا، من خلال مجموعة من الوسائل

---

(١) وهذا مقتضى ما يؤثَر عن الإمام «مالك بن أَنس» رحمه الله تعالى، وهو مشهور عنه، ونصُّه: ﴿ليس أحد بعد النبيّ ﷺ، إلا يؤخذ من قوله ويُترك إلا النبيّ ﷺ: وتؤثر هذه العبارة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وأخذها عنه مجاهد ـ رحمه الله ـ وأخذها عن مجاهد مالك ـ رحمه الله ـ ثم أخذها عنهم أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ انظر: محمَّد ناصر الدين الألباني. صفة صلاة النبيّ ﷺ، من التكبير إلى التسليم كأنك تراها. ـ ط ١٣. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ص ٢٦ ـ ٢٧.

التي لا تخرج عن إطار الإسهامات العلمية من نشر وتحقيق وترجمة ومحاضرات وندوات ومؤتمرات ومقالات وكتب ومجامع وغيرها.

أسئلة البحث

هذه المواقف المتباينة في النظرة إلى المعلومات التي جاء بها المستشرقون في العلوم الإسلامية والعربية أبرزت مجموعة من الأسئلة، حاولت إسهامات بعض المؤلِّفين العرب المنثورة بين الكتب والدوريات الإجابة عليها، ومنها:

ما مدى الثقة بالمعلومات الواردة عن طريق المستشرقين فيما يتعلَّق بعلوم المسلمين؟

هل هناك موقف أمثل لقبول هذه المعلومات أو رفضها؟ وما المعيار لهذا الموقف؟

مع عدم وضوح المعيار لدى البعض، ما مسوِّغات رفض المعلومات؟ وما مسوِّغات قبولها؟

منهج البحث

في سبيل التوصُّل إلى إجابات على هذه الأسئلة كان لا بدَّ من استقراء مواقف المتلقِّين من علماء المسلمين والمفكِّرين لإسهامات المستشرقين وتأثيرهم على اتِّجاه المعلومات عن الإسلام والمسلمين، والتعرُّف على المعيار الذي قيست به هذه المواقف.

ويصعب الخروج بمعيار متَّفق عليه تقاس به أيُّ إسهامة أو معلومة واردة من مستشرق أو غير مستشرق، ما لم يكن هناك اتِّفاق مسبق على أنَّ المعيار هو كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ. وهذان المصدران هما الأصل في تلقِّي المعلومات عن الإسلام عقيدةً وعبادةً ومعاملاتٍ. ولا يخالف في هذا عالمٌ أو مفكِّر. ولكن هذا الإطلاق فيه شمولية، وداخل المصدرين نصوص صريحة وواضحة تتعلَّق بالقبول والرفض، وهناك آراء تتعلَّق بالفروع، من حيث الممارسات في مجال العبادات والمعاملات تُستقى من هذين المصدرين أصلاً، ولكنها تخضع لمدى فهم النصوص وفقهها أو حضورها عند تكوين الرأي.

والقابلون لإسهامات المستشرقين لا يزعمون أنهم يخرجون عن المعيار، والرافضون يصرِّون على أنهم استقَوا الرفض من مصادر التشريع، ولم يأتِ رفضهم عن هوًى أو ذاتية، بل يجدون الأدلَّة من الكتاب والسنَّة وأقوال العلماء الموثوقين على عدم قبول هذه المعلومات؛ لما تحدثه في الثقافة الإسلامية من «شروخ» تخرج بها عن إمكانية التطبيق والممارسة، وتهزُّ الثقة بمدى مصداقيتها، وتدعو إلى البحث عن بديل عنها.

وكان من منهج البحث الوقوف على أقوال بعض المستشرقين أنفسهم حول إسهامات بعضهم؛ قصدًا إلى توكيد أنهم أنفسَهم لم يكونوا ـ جميعًا ـ على مستوًى واحد في قبول

إسهامات زملائهم في مجال الدراسات الإسلامية، فلم يكن الموقف من هذه الإسهامات موقوفًا على علماء المسلمين ومفكِّريَ العربية.

مواقف المستشرقين

هذه أدلَّة متناثرة على مواقف المستشرقين من إسهامات أترابهم، فيها ردود عليهم وطعن لهم بأنهم أساؤوا الفهم، فأساؤوا مع سوء الفهم العرض والمنهج والاستدلال. وفي هذا الصدد يؤكِّد توملين على عجز المستشرقين عن فهم الثقافة الشرقية، وذلك لأنهم لم يتمثَّلوها ولم يعيشوها، فتعذَّر عليهم التعبير عنها بموضوعية وتجرُّد. يقول: «اعترف رجال شديدو الذكاء بعد أنْ كرَّسوا الكثير من وقتهم للأبحاث الشرقية أنهم لو كان عليهم أنْ يصلوا إلى فهم تامٍّ للفلسفة (الأفكار) الشرقية لاستلزم الأمر أنْ يعتزلوا أوروبا كلها، وليبدأوا الحياة من جديد كشرقيين...».(١)

ونحن هنا نتَّفق مع عموم العبارة، ولكننا ندرك أنَّ المقصود هو تمثُّل الثقافة الإسلامية هنا، وليس المقصود الجهات الجغرافية بحال؛ إلا أنَّ المدلول لها هو المراد هنا. ويذكر

---

(١) انظر: أ. ر. ف توملين. فلاسفة الشرق/ ترجمة عبد الحليم سليم. ـ القاهرة: دار المعارف، ص ١٦٨. نقلاً عن: محمَّد عبد الله مليباري. المستشرقون والدراسات الإسلامية. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٨.

إشتيفان فيلد[1] أنه «توجد جماعة يسمُّون أنفسَهم مستشرقين سخَّروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم لا بدَّ أنْ يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة».[2] ولم يحدِّد إشتيفان فيلد رسالة المستشرقين في هذا الصدد.

كما يذكر المستشرق الألماني أولريش هارمان.[3] أنَّ «الدراسات الألمانية حول العالم الإسلامي قبل عام ١٩١٩م أقلُّ براءةً وصفاءَ نيَّة، فقد كان كارل هينرش بيكر[4] ـ وهو من كبار مستشرقينا ـ منغمسًا في النشاطات السياسية، حتى أصبح في عام

(١) إشتيفان فيلد، أو اصطفان (معاصر) مستشرق ألماني ورئيس معهد الدراسات العربية بجامعة (بون) بألمانيا. ويُعرف بمواقفه المعتدلة. انظر: محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ـ ط ٢. ـ القاهرة: دار المنار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. ـ ص ٧.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق. الإسلام في الفكر الغربي، الكويت: دار القلم، ١٩٨١م. ـ ص٦٠.

(٣) أولريش هارمان (مولود سنة ١٩٤٢م). تعلَّم في الولايات المتَّحدة، جامعة برنستون ثم في فرايبورج. ركَّز على تاريخ مصر الإسلامية وحاضر في الولايات المتَّحدة ومصر وكندا وألمانيا. انظر نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٢: ٤٨٢ ـ ٤٨٣.

(٤) كارل هنريش بيكر (١٨٦٧ ـ ١٩٣٣م). ولد في أمستردام، عُيِّن أستاذًا للغات الشرقية في هامبورج وبون، ركَّز على العلاقات النصرانية مع المسلمين، له آثار عديدة، انظر: نجيب العقيقي. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ٢: ٤١٨ ـ ٤١٩.

١٩١٤م شديد الحماس لمخطِّط استخدام الإسلام في أفريقيا والهند كدرع سياسية في وجه البريطانيين».[١]

ويقول المستشرق البريطاني مونتغمري وات: «جدَّ الباحثون منذ القرن الثاني عشر في تعديل الصورة المشوَّهة التي تولَّدت في أوروبا عن الإسلام. وعلى الرغم من الجهد العلمي الذي بُذل في هذا السبيل فإنَّ آثار هذا الموقف المجافي للحقيقة التي أحدثتها كتابات القرون المتوسِّطة في أوروبًا لا تزال قائمة، فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتنابها».[٢]

وقريبٌ من هذا ما صرَّح به المستشرق نفسه في محاضرة أخرى؛ حيث يذكر «أنَّ الأوروبيين في عصر النهضة كان لا يزال لديهم إحساس بالنقص بالنسبة للمسلمين؛ ولذلك عمد مفكِّروهم إلى تشويه حقائق الإسلام، فعرضوا الإسلام وتاريخ المسلمين في صورة منفِّرة. ولكننا معشر الغربيين في القرن العشرين لم تعد تسيطر علينا عقدة النقص، كما كان الحال في عصر النهضة، وذلك بعد أنْ انتقل زمام السيادة إلى أوروبا وأصبحت لها السيطرة والغلبة، ولذا أصبحنا الآن

(١) انظر: رودي بارت. الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية/ ترجمة مصطفى ماهر. ـ القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.

(٢) انظر: إبراهيم اللبّان. المستشرقون والإسلام. ـ القاهرة: الأزهر، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م. ـ ص ٣٦ ـ ٣٧. ـ (ملحق مجلَّة الأزهر).

لا نجد حرجًا في ذكر الحقائق من دون تحريف، وبالتالي ظهر الإنصاف والموضوعية فيما نكتب عن الإسلام والمسلمين»،(١) وضرب مثلاً لذلك بكتابيه محمَّد في مكَّة ومحمد في المدينة.(٢)

والمتتبِّع لهذين الكتابين وكتابه الثالث محمّد الرسول ورجل الدولة(٣) لا يجد الإنصاف الذي يذكره مونتجمري وات،(٤) فقد اتَّكأ فيها على معلومات سابقيه، وفسَّر بعض الأحداث التي مرَّت بالرسول ﷺ تفسيرًا ماديًا، اعتمد فيه على الإسقاط مثلاً.(٥) وقد مرَّ في مجال آخر تمثيل لبعض الهنات التي وقع بها مونتغمري وات نفسه.

---

(١) انظر: محمّد عبد الفتّاح عليّان. أضواء على الاستشراق. ـ الكويت: دار البحوث العلمية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ـ ص ١١.

(٢) W. Montgomery Watt. Muhammad At Mecca, Oxford: Oxford University Press, 1953) Muhammad At Madina, Oxford: Oxford University Press, 1956.

(٣) W. Montgomery Watt. Muhammad: Prophet and Statesman, Oxford: Oxford University Press, 1961, 250 pp.

(٤) مونتغمري وات، (١٠٩٠هـ ـ ٢٠٠٦م)، مستشرق بريطاني معاصر، له إسهامات في الدراسات الإسلامية أشهرها ما كتبه عن المصطفى ﷺ محمَّد في مكّة ومحمَّد في المدينة ومحمد النبيّ ورجل الدولة. وهذه الأعمال الثلاثة تحتاج إلى متابعات نقدية لما فيها من بعض المعلومات المغلوطة عن حياة الرسول ﷺ. وقد ترجمها شعبان بركات ونشرتها المكتبة العصرية.

(٥) انظر: عبد العظيم محمود الديب. المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي. ـ مرجع سابق. ـ ص ٩٩ ـ ١٠٣.

ويقول برنارد لويس[1] : «لا تزال آثار التعصُّب الديني الغربي ظاهرة في الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية».[2] كما يذكر نورمان دانيال[3] أنه «على الرغم من المحاولات الجدِّية المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرُّر من المواقف التقليدية للكتَّاب النصارى من الإسلام فإنهم لم يتمكَّنوا من أنْ يتجرَّدُوا منها تجرُّدًا تامًّا كما كانوا يتوهَّمون».[4]

وينتقد مكسيم رودنسون[5] بعض المستشرقين بقوله: «ولم

---

(١) برنارد لويس (م ١٩١٦)، تخرَّج في جامعتي لندن وباريس، ودرّس في جامعتي لندن وكاليفورنيا، ويدرّس الآن في جامعة برنستون بنيوجرسي بالولايات المتحدة، لا يخفي تعصُّبه للصهيونية وله مجموعة أثار حول الحشَّاشين والفرق عمومًا، انظر: مازن بن صلاح المطبَّقاني، الاستشراق والاتِّجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ـ ص ٦٩ ـ ٧١.

(٢) انظر: إبراهيم اللبان. المستشرقون والإسلام. ـ مرجع سابق. ـ ص ٦.

(٣) نورمان دانيال مستشرق (معاصر) مؤرِّخ. سكن القاهرة، ومن آثاره (العرب وأوروبا في القرون الوسطى) و(الإسلام والغرب).

(٤) انظر: محمد عزت الطهطاوي. التبشير والاستشراق. ـ القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. ـ ص ٤٥ ـ ٤٦. وانظر أيضًا: قاسم السامرّائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. ـ الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ. ـ ص ٦٩.

(٥) مكسيم رودنسون، (١٩١٥ ـ ٢٠٠٤م)، ولد في باريس وأنجز في بيروت ودمشق أعمالاً علمية وتراثية، عضو في جمعيات علمية ودينية عديدة، له آثار عديدة ومتنوعة الموضوعات، انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ١: ٣٥٩ ـ ٣٦١.

يرَ المستشرقون في الشرق إلا ما كانوا يريدون رؤيته، فاهتمُّوا كثيرًا بالأشياء الصغيرة والغريبة. ولم يكونوا يريدون أنْ يتطوَّر الشرق ليبلغ المرحلة التي بلغتها أوروبا، ومن ثَمَّ كانوا يكرهون النهضة فيه»،[1]

ومثل هذا القول ما ذكره المستشرق نفسه مكسيم رودنسون في موضع آخر؛ حيث يقول: «وحين كان الغربيون يذهبون إلى الشرق كانت تلك الصورة التي يبحثون عنها، فينتقون ما يرونه بعناية، ويتجاهلون كل ما لا ينسجم مع الصورة التي كوّنوها سابقًا».[2]

وقريب من هذا ما يُذكر عن بريستيد[3] قوله عن المستشرقين إنهم «يريدون قتل حضارة الشرق عمدًا؛ لأنهم يريدون إخفاء الحقيقة».[4] ومثله قول مستشرق آخر هو السير إدوارد دينسون روس[5]: «إنَّ المعرفة بالمحمَّدية التي تملكها

---

(١) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ـ مرجع سابق. ـ ص ١١٦.

(٢) انظر: يوسف (جوزف) شاخت وبوزورث. تراث الإسلام/ ترجمة محمَّد زهير السمهوري. ـ الكويت: عالم المعرفة، ١٩٧٨م. ـ ١: ٨٠.

(٣) بريستيد، لم أعثر على ترجمة له في مظانه.

(٤) انظر: بريستيد: انتصار الحضارة/ ترجمة أحمد فخري. ـ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م. ـ ص ٣٠٨.

(٥) إدوارد دينسون روس (١٨٧١ ـ ١٩٤٠م)، مستشرق إنجليزي تخرَّج على «تيودور نولدكه» وعُين أستاذًا للفارسية في جامعة لندن ومديرًا لجامعة كلكتا بالهند. واهتم بفهرسة المخطوطات، له آثار أخرى، انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٢: ٩٦.

أوروبا منذ قرون قائمة على أساس التقارير المشبوهة والمغلوطة كليًا التي أعدَّها المسيحيون.[١] وهذا هو الأمر الذي أدَّى إلى نشر الأكاذيب والافتراءات المتنوِّعة حول المحمَّدية. فكل خير وجدوه في المحمَّدية أخفَوه تمامًا، وكل شيء لم يكن محمودًا في عين أوروبا كبَّروه وبالغوا في بيانه، أو شوَّهوا صورته في التعبير عنه».[٢]

ولا يقتصر الأمر في تحديد موقف المستشرقين على أقوال منثورة ضمن إسهامات بعض المستشرقين حول علوم المسلمين، بل ربما وجدنا الكتب أو المقالات التي خُصِّصت لتحديد الموقف والتشنيع على مواقف بعض المستشرقين من الإسلام. وهذه المواقف هي التي أسهمت إسهامًا فاعلاً في تحديد الموقف الغربي بعامَّة من الإسلام، إذ استقى الغرب معلوماته عن الإسلام من المستشرقين. فهذا ريتشارد دبليو سذرن[٣] يخرج بكتاب كامل حول النظرات الغربية للإسلام في

(١) من أجل تحديد المصطلحات والفرق بين المسيحية والنصرانية، انظر: محمَّد عثمان صالح. النصرانية والتنصير، أم المسيحية والتبشير: دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات. ـ المدينة المنوَّرة: مكتبة ابن القيِّم، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

(٢) من مقدِّمة لترجمة معاني القرآن الكريم لجورج سيل، (طبعة نيويورك ١٩٥٦م). ـ نقلاً عن: محمَّد عبد الفتاح عليان. أضواء على الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٦٢.

(٣) ريتشارد دبليو سذرن معاصر، أستاذ التاريخ في جامعة «أكسفورد».

القرون الوسطى،[1] يؤكِّد فيه على أنَّ سوء الفهم الذي عاشه الغرب إنما قام عل سوء الفهم الذي نقله المستشرقون عن الإسلام للغرب. يقول: «وأبرز ما يتجلَّى لنا هو عجز أي نظام من هذه النظم الفكرية ـ المسيحية الأوروبية ـ عن تقديم تفسير مقنع ومُرْضٍ للظاهرة التي تحاول تفسيرها؛ الإسلام، بل وعجزها إلى درجة أكبر عن التأثير بصورة حاسمة في مجرى الأحداث في دنيا الواقع، فعلى المستوى العملي لم يُكتب للأحداث أنْ تحقِّق النجاح المدوِّي أو الفشل الذريع على النحو الذي تنبَّأ به أذكى المراقبين».[2]

ويضيف سذرن القول: «وربَّما يكون جديرًا بالملاحظة أنَّ الأحداث حقَّقت أكبر نجاح ممكن، عندما كان أفضل القضاة يتوقَّعون ـ بثقة ـ نهاية سعيدة. فهل تحقَّق أيُّ تقدُّم في المعرفة المسيحية بالإسلام؟ لا بدَّ أنْ أعرب عن اقتناعي بوجود هذا التقدُّم. وحتَّى لو كان حلُّ المشكلة قد ظلَّ يستعصي على الظهور للرائي، فإنَّ صوغ المشكلة أصبح يبتعد عن التبسيط وأكثر عقلانية وأكثر ارتباطًا بالخبرة».[3]

---

(١) ظهرت ترجمة الكتاب بتعريب علي فهمي خشيم وصلاح الدين حسن عن دار مكتبة الفكر بطرابلس الغرب سنة ١٩٧٠م، وترجمه أيضًا رضوان السيّد تحت عنوان (صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى)، بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٤م.

(٢) نقلاً عن إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٢٧.

(٣) نقلاً عن إدوارد سعيد، الاستشراق، ـ المرجع السابق. ـ ص ١٢٧.

ويقول: «والباحثون الذين بذلوا الجهد لمعالجة مشكلة الإسلام في العصور الوسطى أخفقوا في العثور على الحلِّ الذي كانوا يطلبونه ويرغبون فيه، ولكنهم أنشأوا عادات في التفكير وطاقات على الفهم لا تزال جديرة بالنجاح لو توافرت لغيرهم في مجالات أخرى».[١]

وتكثر في الآونة الأخيرة المؤلَّفات حول نظرة الغرب للإسلام المسلمين، وهي تنحو باللائمة على الشرخ الذي أحدثه المستشرقون حول هذه النظرة. وقد أصدرت اليونسكو كتابًا حول «الإسلام اليوم» لمارسيل بوازار،[٢] ومما قال فيه: «أسباب عدم تفهُّم الغرب للإسلام عديدة ومعقَّدة. إنها تستند أساسًا على دوافع دينية، تاريخية نفسية، ثقافية وتثقيفية، ومجدَّدًا الآن، على اعتبارات سياسية واجتماعية ـ اقتصادية.

على الصعيد الديني أولاً، نظرة المسيحية لم تتغيَّر، أو لم تتغيَّر إلا قليلاً منذ ١٥ قرنًا. إنها مطابقة للموقف المألوف لكل دين مُنْزَل، مُظهِرةً شيئًا من التسامُح العقائدي إزاء الأديان السابقة (أنبياء اليهودية في هذه الحالة)، لكنها قابلت بالرفض المطلق

---

(١) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٢) مارسيل بوازار مفكّر وقانوني فرنسي معاصر، مكلَّف بالبرامج الخاصة بمعهد الأمم المتَّحدة للتأهيل والبحث، ويشغل منصب الأمين العام للجمعية الثقافية الدولية (الإسلام والغرب)، وله من المؤلفات (إنسانية الإسلام) و(الإسلام اليوم).

دينًا لاحقًا: الإسلام. ظهور الإسلام اللاحق تاريخيًا شوَّه حقيقة النهائية في نظر النصارى. بدا الإسلام منذ البيزنطيين كانحراف للنصرانية. فقد أُلصقت بالنبي محمد أوصاف وقحة، وفي النهاية عبثية. فقد صُوِّر في صورة راهب مرتدٍّ أو في صورة مشابهة. فقد كان النصارى آنذاك يظنون أنَّ بوسعهم تشويه الإسلام بتشويه رسوله محمد، بمقارنة ساذجة مع المسيحية. وهكذا فالإسلام غدا يُدْعى بالمحمَّدية»[1].

ويقول: «قام بعض الاختصاصيين بدراسات علمية وشكّلوا تدريجًا ما تواضع الناس على تسميته بالاستشراق. كان الباعث في القرن السادس عشر تبشيريًا. فقد كان لا بدَّ من معرفة الإسلام معرفة جيدة لمحاربته محاربةً جيدة على مستوى العقيدة»[2] ويقول أيضًا تحت عنوان الخطاب الاستشراقي: «كتابات المستشرقين، عدا بعض الاستثناءات النادرة، لم تساهم كثيرًا في تحسين تفهُّم الإسلام أو إعادة دقَّة الصورة التي كانت لدى الرأي العام الغربي إلى نصابها الصحيح. أولاً لأنَّ أشغالهم كانت غالبًا تُقدَّم إلى الجمهور بلغة متخصِّصة جدًّا، صعبة المنال بالنسبة لجمهور غير عارف بالموضوع، وخصوصًا ـ من جهة أخرى ـ أنَّ الاستشراق كان في الأصل أحد الفروع العلمية

---

(١) انظر: مارسيل بوازار. الإسلام اليوم. ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦م. ـ ص ١٦ ـ ١٧.

(٢) انظر: مارسيل بوازار. الإسلام اليوم. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٨.

المرتبطة بالعلوم الاستعمارية في فرنسا وفي بريطانيا العظمى وفي البلاد الواطئة [هولندا أو نيدر لاند]. فقد كان المطلوب إجمالاً فهم العقلية الإسلامية فهمًا جيدًا لتسهيل الإدارة للشعوب الإسلامية». [1]

ويشير بوازار إلى أنَّ الاستشراق قد «نجح في رسم صورة للشرق مشوَّهة كلِّيًا مُظْهِرةً ما هو مضادٌّ لرموز الغرب: «العقلاني، المعتدل والتقدُّمي، إنَّ ثقة - بل غطرسة - المستشرقين بأنفسهم بلغت درجة من شأنها أنْ تُحدث اغترابًا ثقافيًا (Acculturation) لدى بعض المثقَّفين، بحيث إنَّ العربي يتصوَّر نفسه كما يصفه الأخصَّائيون الغربيون». [2]

ويقول أيضًا: «وفي نهاية المطاف يبدو أنَّ للاستشراق - بمراكمته المعارف المتبحِّرة التي لا تُنشر نشرًا واسعًا خارج حلقات العارفين التي تواصل التفوُّق على دراسة الظاهرات الاجتماعية الشاملة التي تولَّد من التأكيد المشروع لهُوية أصيلة - تأثيرًا على الرأي العام الغربي أقلَّ من تأثير هذا الرأي عليه، فهو يقوده أحيانًا ويفرض عليه آراءه غالبًا». [3] ويظهر أنَّ هذا خاصٌّ برسم الصورة، وإلا فالرأي العام الغربي يفرض أحيانًا على المستشرق مساره، ويترك له رسم الصورة حول هذا المسار.

---

(١) انظر: مارسيل بوازار. الإسلام اليوم. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٩ ـ ٢٠.

(٢) انظر: مارسيل بوازار. الإسلام اليوم. ـ المرجع السابق. ـ ص ٢١.

(٣) انظر: مارسيل بوازار. الإسلام اليوم. ـ المرجع السابق. ـ ص ٢٢.

ويَذكر في هذا الصدد كتبًا ودراساتٍ مثل كتاب الإسلام في مرآة الغرب،[1] وكتاب مراجعة عالمية لكتب التاريخ المدرسية وإعداد مادة تربوية ملائمة للإسهام في تحقيق تفهُّم أفضل بين الإسلام والغرب،[2] ورسالة صورة الإسلام في القرون الوسطى عبر الكتب المدرسية من ١٩٤٥م ـ ١٩٧١م،[3] وغيرها.

كانت هذه الأمثلة إشارات سريعة إلى موقف بعض المستشرقين، وليس القصد إبراز مواقف المستشرقين من الإسلام، فهذا مجال آخر، إما أنْ يكون دافعه الردَّ على ما قيل عن الإسلام، كما فعل عبَّاس محمود العقّاد[4] وأحمد فؤاد الأهواني،[5] أو أنْ يكون دافعه إبراز بعض اللفتات الحسنة التي

---

(١) انظر: ج. ج. وارد بنورج. الإسلام في مرآة الغرب. ـ باريس: موتون، ١٩٦٣م. ـ (بالفرنسية).

(٢) انظر: مارسيل بوازار. مراجعة عالمية لكتب التاريخ المدرسية وإعداد مادة تربوية، ملائمة للإسهام في تحقيق تفهُّم أفضل بين الإسلام والغرب. ـ جنيف: الإسلام والغرب، ١٩٨٠م. ـ ص ٢٨.

(٣) انظر: جنيفياف فيشي. صورة الإسلام في القرون الوسطى عبر الكتب المدرسية من ١٩٨٠م إلى ١٩٧١م. ـ رسالة ماجستير من جامعة تولون، ١٩٨٠م. ـ ١٨٠ ص.

(٤) انظر: عبَّاس محمود العقّاد. ما يقال عن الإسلام. ـ القاهرة: دار الهلال، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م. ـ ص٢٢٥. ـ (سلسلة كتاب الهلال؛ ١٨٩).

(٥) انظر: أحمد فؤاد الأهواني. ما يقال عن الإسلام. ـ سلسلة مقالات ظهرت في مجلة الأزهر. ـ المجلدات من ٣٤ ـ ٣٨ (١٣٨٥هـ ـ ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٥م ـ ١٩٦٨م).

ظهر بها المستشرقون في موقفهم من الإسلام كما فعل عماد الدين خليل،[1] عندما أورد اقتباسات لمئة وثلاثين مستشرقًا أو من هم في حكم المستشرقين كلها نظرت ـ في رأي المؤلِّف ـ نظرة حسنة إلى الإسلام وإلى المسلمين. وكما ناقش رجب البنَّا فكرة المنصفين للإسلام في الغرب، وزعم أنَّ بعضهم قد فهم الإسلام أفضل من فهم بعض المسلمين، ويقصد بذلك المفكِّر المسلم مراهوفمان.[2]

وليس المجال أيضًا مجال إيراد الأقوال الإطرائية عن المستشرقين من المستشرقين، فالأصل أنْ يكون هذا الإطراء والمديح والثناء بينهم على طريقة المثل الغربي: «حكَّ ظهري وأحكَّ ظهرك»! ويقابله عندنا قول بعض العامَّة: شدَّ لي واقطع لك.

وليس لي أنْ أخرج من هذه الفقرة دون أنْ أشير إلى العمل الذي قام به المستشرق الألماني المعاصر رودولف إكهارد حول موقف المسلمين من الاستشراق، في رسالة أعدَّها لإكمال متطلَّبات درجة الدكتوراه بإشراف الأستاذ إشتيفان فيلد. ولم أقف على هذه الرسالة، ولكنني علمت بها من الطبعة الثانية من كتاب

---

(١) انظر: عماد الدين خليل. قالوا عن الإسلام. ـ الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. ـ ص ٥٠٤.

(٢) انظر: رجب البنَّا. المنصفون للإسلام في الغرب. ـ القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٥م. ـ ص ١٠٣ ـ ١١٨.

محمود حمدي زقزوق الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.[1]

مواقف العلماء المسلمين ومفكِّري العربية

وتكاد مواقف علماء المسلمين ومفكِّري العربية من المعلومات التي ظهر بها المستشرقون قديمًا وحديثًا تنحصر في ثلاثة مواقف: موقف القبول والموقف الرافض وموقف المواجهة. وكلُّ موقف من المواقف الثلاثة له مسوِّغاته وأدلَّته وبراهينه.[2] وليس بالضرورة أنَّ هذه المواقف تنطلق من منطلق واحد في التعامُل مع المعلومات الناتجة عن أولئك الذين لا ينتمون إلى الإسلام.

أوَّلاً ـ القبول المطلق

وهذا التوجُّه نحو قبول إسهامات المستشرقين يُعدُّ أوَّل المواقف الثلاثة بروزًا، إذ إنَّ بداية النهضة في مصر والشام قد اتَّكأت على مجموعة من المفكِّرين والأدباء الذين تلقَّوا علومهم عن الغرب إما بالابتعاث أو بالمتابعة،[3] ويتَّسم هذا الموقف

---

(١) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ـ ط ٢. ـ مرجع سابق. ـ ص ٧.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. المستشرقون: مواقف ومواقف. ـ مجلَّة الحرس الوطني. ـ مج ٧ ع ٤٤ (١٠/٦/١٤٠٦هـ/ ٦/١٩٨٦م). ـ ص ٤٤ ـ ٤٥.

(٣) انظر: محمود محمد شاكر. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. ـ القاهرة: دار الهلال، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م. ـ ص ٢٠٨ـ ٢٢١. ـ (سلسلة كتاب الهلال؛ ٤٤٢).

بالتأثُّر المباشر والقوي بالمعلومات الواردة من المستشرقين حول التفسيرات الجديدة للإسلام، من حيث كونُه فكرةً دينيةً عامة، أو من حيث النظرُ إلى أحداث فرعية في حياة المسلمين بدءًا بحياة الرسول ﷺ ثمَّ الصحابة وقادة المسلمين وعلمائهم،(١) حتى أصبح الاستشهاد بإنتاج المستشرقين في قضية إسلامية مدعاةً أو مقياسًا لمدى اطِّلاع المؤلِّف أو الباحث وسعة أفقه وكسبه من الآخرين.

وكان من أسباب هذا القبول المطلق هو الانبهار بإسهامات المستشرقين الذين يتحدَّثون عن دين لا يدينون به، ويظهر عليهم الحديث الإيجابي عنه، ولكنه بتفسير جديد، ويقدِّمون للإسلام والعروبة أجَلَّ الخدمات.(٢)

وأظن أنَّ هذا الموقف كان ـ مع الانبهار ـ ناتجًا أيضًا عن تزعزع الثقة بالإسلام والمسلمين الأوائل في الوقت الذي لا يستطيع فيه المتأثِّر الانسلاخ الكامل عن الإسلام في بلد المسلمين، فكان البحث عن تفسير جديد للإسلام يرضى عنه

---

(١) انظر مثلاً: جوستاف بفانموللر. سيرة الرسول في تصورات الغربيين/ ترجمة محمود حمدي زقزوق. ـ المحرَّق (البحرين): مكتبة ابن تيميّة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ص ٥٥.

(٢) انظر: عبد الوارث كبير. المستشرقون ليسوا كلهم أعداءً للعروبة والإسلام فمنهم من أدَّى للعروبة والإسلام أجلَّ الخدمات. ـ العربي. ـ ع ١٠٢ (٥/ ١٩٦٧م)، ص ١٤٤ ـ ١٤٥.

الغرب ويكون مقبولاً عندهم،[1] ولذا يلاحظ عند انتقاد أيِّ سلوك داخل المنطلقات الإسلامية أنَّ المنتقد قد يقول: «وماذا يقول عنا الغرب؟!»، وكأنَّ الغرب هو الذي سيتولَّى حسابنا. قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء].

هذا في وقت ظهرت فيه هذه الأصوات وبعض المسلمين على وجه العموم قد ضعفوا في الممارسات الفعلية الصحيحة لأحكام الإسلام في كثير من المجالات، وحلَّت بعض الممارسات البعيدة عن الروح الإسلامية الحقَّة. وفي الوقت نفسه تظهر آراء عقدية تتعلَّق بالقومية العربية في مجالات الانتماء والأنظمة الاقتصادية الغريبة عن المجتمع المسلم.[2]

ووجهة نظر هؤلاء المنبهرين الذين قبلوا إسهامات المستشرقين قبولاً غيرَ مشروط أنه في الوقت الذي نتقبَّل فيه التَّقانة الغربية في مجال الاتِّصال والمواصلات وغيرهما ينبغي أنْ نتقبَّل أيضًا ما يقوله الغرب عنا وعمّا يريده لنا. «وهو على أيِّ حال أكثر معرفة منا بأنفسنا، إنه يملك التسهيلات والمنهج فلماذا لا يملك حصيلتهما؟ أو قل إنه يملك القوَّة والسلطة التي

---

(١) انظر: عبد الوارث كبير، المستشرقون لم يفتَروا، ولكن هذا ما قاله المفسرون. ـ العربي. ـ ع ٦٨ (٧/ ١٩٦٤م). ـ ص ١٤٦.

(٢) انظر: محمَّد محمَّد حسين. الإسلام والحضارة الغربية. ـ ط ٥. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. ـ ص ١٥.

يمارسها بشكل أو بآخر في هذا الوجه أو ذاك من الحياة العربية المعاصرة، فلماذا لا يملك المعرفة؟ وهو يملكها حقًّا.

وأكثر من هذا فإننا بذلك نوفِّر على أنفسنا المال والوقت. إنَّ إنتاج كتاب عربي بحاجة إلى عدَّة سنوات من التفرُّغ نتيحها للباحث العربي، وإلى تسهيلات كثيرة، وإلى أموال طائلة ننفقها عليه، وترجمة كتاب لا تقتضي أيًا من هذا. صحيح أننا قد نقع على آراء لا تسرُّنا، ولكن هذا متوقَّع، فنحن أمَّة متخلِّفة، ومن الصعب أنْ نجد في أوضاعنا الراهنة كبير راحة واطمئنان ورضى لأنفسنا، بَلْهَ نفوس الخارجيين من المستشرقين. فلنتحلَّل إذًا من المشاعر القومية الشوفينية ومن العاطفة والذاتية، فما ينتجه الغرب إنتاج على قدْر كبير من الموضوعية، والحكمة ضالَّة المؤمن. وإضافة إلى ذلك أليس تراثنا نفسه ينصحنا بأنْ نطلب العلم ولو في الصين؟،[1] والحقيقة في نهاية الأمر لا ترضي، ومن يحبُّ الحقيقة على أيِّ حال؟».[2]

---

(١) يُنسب هذا الأثر إلى الرسول ﷺ وقال ابن حبَّان: لا أصلَ له، وقال البيهقي: متنه مشهور وإسناده ضعيف، انظر الغماز على اللماز لنور الدين أبي الحسن السمهودي/ تحقيق محمَّد عبد القادر عطا. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ص ٤٣، وقد ضعَّفه ناصر الدين الألباني في: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيِّئ على الأمَّة. ـ ٥ مج. ـ ط ٥. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٦م. ـ ١: ٤١٣. ـ (الحديث رقم ٤٦١).

(٢) انظر: عبد النبي أصطيف. نحن والاستشراق: ملاحظات حول مواجهة إيجابية. ـ المستقبل العربي. ـ مج ٦، ع ٥٦ (١٠/ ١٩٨٣م). ـ ص ٢٠ ـ ٣٩، والنصُّ من ص ٣٢.

ويقول نجيب العقيقي: «ولو وازنًّا بين عناية المستشرقين بتراثنا واكتشافه وتحقيقه وما قمنا نحن به في سبيله لرأيناها تكاد تكون متساوية، ولو وازنًّا كذلك بين ترجمة أحد المستشرقين وآثاره وبين ترجمة أحد أعلامنا وآثاره لوجدناه يضاهيه خلقًا علميًا وعددَ كتب. وأنْ لا غنى لنا عن معظمها في علومنا وآدابنا وفنوننا، ولا سبيل إلى جحد فضلها في فتح عيون المستشرقين والغربيين على ما في تراثنا من ثراء، ثم على نهضتنا الحديثة التي كانوا من دعائمها، ولو سعينا إلى تحقيق تراثنا وترجمته والتصنيف فيه ونشره بشتَّى اللغات، منذ ألف عام، وفي كلِّ مكان لاحتجنا إلى استئجار مواهب العلماء ومناهجهم ومعارفهم ودقَّتهم وجَلَدهم طوال حياتهم، وفي ذلك من العسْر علينا ما فيه ومن النفقات عليه ـ وقد سعِّرتِ الكلمة المترجمة بما فيها حروف الجر والعطف والنفي بستة قروش ومراجعتها بقرشين ـ ما يستنفد طائل الثروات. أما ونحن لم نفعل، وعرفنا الجزاء الذي لقيه ويلقاه المستشرقون في بلدانهم فكيف جزيناهم عليه؟»[(١)].

ويبدو أنَّ في هذه النظرة استسلامًا لواقع مؤلم، وسعي للخروج منه باستعارة إسهامات الآخرين الذين يطلق عليهم عبد النبي أصطيف (الخارجيين) في مقابل أهل المعتقد والدين وهم

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٣: ٦٠٥ ـ ٦٠٦.

(الداخليون) في خدمة تراثنا، في الوقت الذي نجد فيه على المستوى العربي فقط ناهيك عن المستوى الإسلامي مجموعة كبيرة من أصحاب المواهب البحثية أُغلقت أمامهم الأبواب؛ بسبب عدم توفير الوقت لهم بالتفرُّغ أو توفير المادَّة العلمية من الكتاب والدورية، وأوعية المعلومات الأخرى ومنها المخطوطة، وبعضهم ـ أي أصحاب المواهب البحثية ـ أُقحموا بقوَّة، ولكنها مؤدَّبة، في أعمال إدارية قاتلة، فصار همُّهم متابعة «المعاملات»، ومحاولة إقناع مسؤوليهم الذين أقحموهم بقوَّة مؤدَّبة بما يريدونه هم من تطوير إداري للمراكز التي يعملون بها.

وربما كان السبب في الإقحام هو ظهور بوادر من الإخلاص والتفاني في الأداء، أو بعض السمات الأخرى المطلوبة أصلاً من كلِّ شخص وصل إلى حدود العلمية (الأكاديمية) أو صار داخل هذه الحدود. هذا مع التسارُع ـ في الوقت نفسه ـ في الاهتمام بالشكل والمظهر في البناء والأثاث ونحوه، مما هو مطلوب، ولكن ليس على حساب المادَّة النوعية وتوفير مصادر المعلومات والمكتبات ومراكز البحث.

ومع هذا فإنَّ هذا الخطأ الحضاري الثقافي لا يسوِّغ في حال الاستعانة بالآخرين لخدمة تراثِ الأمَّة، كما يستعان بالآخرين في «دفع» عجلة التنمية المادِّية من مقوِّمات. هذا إذا ما وجد في الأمّة من يخدمها ويخدم تراثها، وهم موجودون.

ولا علاقة لهذا الرأي بالموقف الثاني الآتي؛ لأنه هنا لا

يتحدَّث عن رفض المسهمين من (الخارجيين) أكثر من تركيزه على عدم استعارة الباحثين والاتّكال عليهم في خدمة التراث والثقافة.

ثانيًا ـ الموقف الرافض

ووقف مجموعة من المفكِّرين المسلمين والعرب موقف الرفض المطلق، فلم يقبلوا أيَّ إسهام في الثقافة الإسلامية من أناس لا يدينون بالإسلام. لم يقبلوه على أنه حجَّة وعلى أنه يقدِّم جديدًا في المفهوم، حتى ما جاء من باب الإطراء والمديح التي تلفَّظ بها بعض المستشرقين أو بعض الشخصيات الغربية، والتي جمع منها عماد الدين خليل مجموعة من الأقوال، فكان هذا الفريق يقف منها موقف المتحفِّظ ويحاول أنْ يقرأ ما بين السطور.

وينظر هذا الفريق إلى الاستشراق على أنه علمٌ أوروبِّي، وهو صورة لما توصَّلت إليه أوروبَّا في معرفة الشرق، وهو يعكس موقفًا أوروبِّيًا وعقلية أوروبِّية. ومنطلق هذا الفريق هو قول أحد المفكِّرين: «لِمَ نضيِّع الوقت والمال والجهد والطاقة في سبيل ما لا جدوى منه ولا عائد؟ وماذا يفيدنا أنْ نتتبَّع أخبار الاستشراق أو أنْ نترجم كتبه، ونناقش ما فيها، وننقدها، ونفنِّد ما نراه غير صحيح مما تضمُّه من آراء، ونغضب فيما لا طائل منه؟ وهل كان الاستشراق غير نتاج خارجي كتبه خارجيّون لا يكاد معظمهم يحسن اللغة التي نتكلم بها؟ فكيف بهم عندما يناقشون ماضينا

وحاضرنا ومستقبلنا وتاريخنا وثقافتنا وآدابنا واقتصادنا وسياستنا؟ إنهم بالتأكيد لن يصلوا إلى حقيقة ذات قيمة تتَّصل بها، وبالتالي فلا ضرر علينا إنْ أغضينا طرْفنا عمّا يعملون». [(١)]

ومن أقوى مسوِّغات الرفض أنَّ الاستشراق بدراسته لعلوم المسلمين وإسهامه في الدراسات لم ينطلق - في مجمله - من قاعدة علمية مجرَّدة وموضوعية، بل إنَّ هناك دوافعَ وأهدافًا غير علمية ساقت بعض المستشرقين إلى هذا المجال خدمةً لأغراض احتلالية وتنصيرية ودينية عامة وتجارية اقتصادية وسياسية، وعليه فإنَّ الثقة منزوعة من إسهامات هؤلاء. [(٢)]

يقول صلاح الدين المنجِّد - رحمه الله تعالى - في ضرب من المستشرقين إنهم «أثَّرت في دراساتهم مآرب السياسة والتعصُّب للدين، فوجَّهوا الحقائق وفسَّروها بما يوافق أغراضهم أو ما يسعون إليه. ولعلَّ هذا الضرب هو الذي دفع الشرقيين من المسلمين العرب أنْ يرتابوا من المستشرقين جميعًا، لأنَّ من المؤسف أنْ يسخِّر هؤلاء العلم الذي يسمو به الإنسان لإذلال الإنسان أو استعباده أو الطعن على تراثه وعقيدته بغير الحقِّ».

يقول عبد الرحمن بدوي عن لا مانس: «وأبشع ما فعله

---

(١) انظر: عبد النبي أصطيف. مقدِّمات في الاستعراب الجديد (١): نحن والاستشراق: ملاحظات نحو مواجهة إيجابية (١). - مجلَّة مجمع اللغة العربية (دمشق). - مج ٥٧ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م). - ص ٦٤٨ - ٦٦٥.

(٢) انظر: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. - ط ٢. - بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٩م. - ص ٣٤٨ - ٣٤٩.

خصوصًا في كتابه: فاطمة وبنات محمَّد، هو أنه كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحاتها. وقد راجعت معظم هذه الإشارات في الكتب التي أحال إليها، فوجدت أنه إمَّا أن يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقًا في هذه الكتب، أو يفهم النصَّ فهمًا ملتويًا خبيثًا، أو يستخرج إلزامات بتعسُّف شديد يدلُّ على فساد الذهن وخبث النيَّة، ولهذا ينبغي ألا يعتمد القارئ على إشاراته إلى مراجع، فإنَّ معظمها تمويه وكذب وتعسُّف في فهم النصوص. ولا أعرف باحثًا من بين المستشرقين المحدَثين قد بلغ هذه المرتبة من التضليل وفساد النيَّة» .[1]

ولا يعني هذا تصنيف قائل هذه العبارة صلاح الدين المنجِّد ـ رحمه الله تعالى ـ مع مجموعة من الرافضين لإسهامات المستشرقين، فله إسهامات متعدّدة فيها ميل واضح لإطراء المستشرقين وجهودهم في نشر التراث وتحقيقه.[2]

وفي رسالة محمود شاكر في الطريق إلى ثقافتنا محاولة لنسف

---

(١) انظر: صلاح الدين المنجِّد. الملتقى من دراسات المستشرقين: دراسات مختلفة في الثقافة العربية. ـ ج ١. ـ ط ٢. ـ بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م. ـ ص ج ـ ع.

(٢) انظر مثلاً: صلاح الدين المنجِّد. المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية: دراسات/ جمعها وشارك فيها صلاح الدين المنجِّد. ـ ج ١. ـ ط ٢. ـ بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م. وانظر أيضًا: صلاح الدين المنجِّد. جهود المستشرقين، في تحقيق التراث العربي. ـ المنهل. ـ مج ٥٥، ع ٤٧١ (٩ ـ ١٠/١٤٠٩هـ ـ ٤ ـ ٥/١٩٨٩م). ـ ص٢١٠ ـ ٢١٧، وانظر له كذلك: الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله. ـ الهلال. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٢ ـ ٢٧.

أعمال المستشرقين جميعها، وأنها موجَّهة للأوروبِّيين لحمايتهم ولا توصف بالعلمية، ويبدأ في هذه المحاولة مع الفقرة (١٦) إلى الفقرة رقم (٢٣). واسمع إليه - مرَّةً أخرى - وهو يشخِّص المستشرق بأنه «فتًى أعجمي ناشئ في لسان أمَّته وتعليم بلاده، ومغروس في آدابها وثقافتها (ألماني، أو إنجليزي، أو فرنسي)، حتى استوى في العشرين من عمره أو الخامسة والعشرين، فهو قادر، أو مفترض أنه قادر، تمام القدرة على التفكير والنظر، ومؤهَّل، أو مفترض أنه مؤهَّل، أنْ ينزل في ثقافة ميدان «المنهج» و«ما قبل المنهج» بقدم ثابتة. نعم، هذا ممكن أنْ يكون كذلك؛ ولكن هذا الفتى يتحوَّل فجأة عن سلوك هذا الطريق ليبدأ في تعلُّم لغة أخرى، (هي العربية هنا)، مفارقة كل المفارقة للسان الذي نشأ فيه صغيرًا ولثقافته التي ارتضع لبانها يافعًا، يدخل قسم (اللغات الشرقية) في جامعة من جامعات الأعاجم، فيبتدئ تعلُّم ألف باء تاء أو أبجد هوَّز في العربية، ويتلقَّى العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها وسائر آدابها وتواريخها عن أعجمي مثله، وبلسان غير عربي، ثم يستمع إلى محاضر في آداب العرب أو أشعارها أو تاريخها أو دينها أو سياستها بلسان غير عربي، ويقضي في ذلك بضع سنوات قلائل، ثم يتخرَّج لنا «مستشرقًا» يفتي في اللسان العربي، والتاريخ العربي، والدين العربي! عجب وفوق العجب!»[١].

---

(١) انظر: محمود محمَّد شاكر. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. - مرجع سابق. - ص ٩٩ - ١٠٠.

وفي دراسة نقدية للمستشرقين الناطقين بالإنجليزية نجد عبداللطيف الطيباوي يخرج لنا بنتيجتين فيهما دعوة ضمنية لتحديد موقف رافض من دراسات المستشرقين، وهما أنَّ المستشرقين المحترفين ـ باستثناء قلَّة شريفة منهم ـ «مازالوا يصرُّون على تشويه الإسلام وتزييف حقائقه، بيد أنَّ التسامُح الذي أظهره بعض كهنة النصارى يدعو إلى التفاؤل على الرغم من أنَّ موقفهم المتسامح لم يكن ـ بصورة مباشرة ـ من وحي هؤلاء المستعربين أو من خبراء الإسلام». (١)

والنتيجة الثانية هي أنَّ «هناك دلائلَ تثير القلق تشير إلى تزايُد العداء والكراهية ضدَّ العرب، ويتبع هذا بالتالي عداءً ضد الإسلام، وهذا العداء في جذوره من صنع المستشرقين، إلا أنَّ المستشرقين وأدعياء الاستشراق الجُدد قد زادوه الآن حدَّةً وشمولاً، وهم بذلك قد أعادوا فعلاً أحقاد وعصبياتِ القرون الوسطى النصرانية ضدَّ «الرسالة» من جديد». (٢)

ويستنتج مالك بن نبي في تحليله القصير جدًّا لإنتاج المستشرقين أنَّ الإنتاج الاستشراقي «كان شرًّا على المجتمع

---

(١) انظر: عبد اللطيف الطيباوي. المستشرقون الناطقون بالإنجليزية: دراسة نقدية/ ترجمة وتقديم قاسم السامرّائي. ـ الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. ـ ص ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٢) انظر: عبد اللطيف الطيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية. ـ المرجع السابق. ـ ص١٥٩ ـ ١٦٠.

الإسلامي، لأنه ركب في تطوُّره العقلي عقدة حرمان، سواء في صورة المديح والإطراء، التي حوَّلت تأملاتنا عن واقعنا في الحاضر وأغمستنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا، أو في صورة التفنيد والإقلال من شأننا، بحيث صيَّرتنا حماة الضيم عن مجتمع منهار، مجتمع ما بعد الموحِّدين، بينما كان من واجبنا أنْ نقف منه عن بصيرة طبعًا ولكن دون هوادة، ولا نراعي في كلِّ ذلك سوى الحقيقة الإسلامية غير المستسلمة لأيٍّ ظرف في التاريخ، دون أنْ نسلِّم لغيرها حقَّ الإصداع بها والدفاع عنها لحاجة في نفس يعقوب».(١)

وسوء الظن ـ على ما يبدو ـ واضح في هذه النقول، ويقوم سوء الظن هذا على مواقف الغربيين أنفسهم من الثقافة الإسلامية ومن المسلمين؛ فما يتوقَّع منهم أنْ يقفوا من الإسلام وأهله موقف الناصح الصادق في نصحه الساعي إلى تطوير المفهوم إلى الأفضل.(٢) ولذا ينبغي إغفال هذه الفئة من المستشرقين وعدم إعطائها الاهتمام، وعدم الانشغال بها في وقت نحن فيه بحاجة إلى التركيز على قضايا تعصِف بالأمَّة من كل جانب في

---

(١) انظر: مالك بن نبي. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. ـ بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م. ـ ص ٢٥.

(٢) انظر: شاكر محمود عبد المنعم. نموذج من تهافُت الاستدلال في دراسات المستشرقين. ـ المؤرِّخ العربي. ـ مج ٣٠ (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م). ـ ص٢٩١ ـ ٣٠٢.

مجالات شتَّى وفي المجالين الفكري والثقافي بخاصَّة، وإعطاء الاهتمام لهؤلاء يشعرهم بأهميتهم ويفتح لهم المجال للخوض في ما لا يعنيهم أكثر مما خاضوا، عندما يدركون أنَّ لإنتاجهم تأثيرًا على علماء المسلمين ومفكِّريهم، وتركهم فيه صدٌّ لهم وتثبيط لجهودهم.[١]

أمَّا الذين نظروا إلى إسهامات المستشرقين من منطلق الرفض، ولكن دون هذه النظرة اليائسة، فقالوا: إنَّ ما أسهم به المستشرقون إنما هو ضرر كلُّه ولا خير فيه،[٢] وإنَّ الاستشراق إنما هو جناح من أجنحة المكر الثلاثة، يستوي في هذا مع الاحتلال والتنصير، بل إنه هو المغذِّي للاحتلال والتنصير على حدٍّ سواء، ويُعدُّ مركز المعلومات لهذين التيَّارين، وهو الممهِّد لهما لدخول الشرق على شيء من العلم والبصيرة،[٣] وما جاء به المستشرقون لا يعدو كونه سمومًا زرعوها في العلوم الإسلامية وفي الفكر والثقافة.[٤]

---

(١) انظر: شكري النجَّار. لِمَ الاهتمام بالاستشراق؟!. ـ الفكر العربي. ـ مج ٥ ع ٣١ (٣/ ١٩٨٣م). ـ ص٦٠ ـ ٦٩.

(٢) انظر: حسين الهراوي. ضررهم أكثر من نفعهم. ـ الهلال. ـ مج ٤٢، ع٢ (١٢/ ١٩٣٣م ـ ٨/ ١٣٥٢هـ). ـ ص ٣٢٤.

(٣) انظر: عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير والاستشراق والاستعمار: دراسة وتحليل وتوجيه. ـ ط ٤. ـ دمشق: دار القلم، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م. ـ ص ٦٩٨.

(٤) انظر: أنور الجندي. سموم الاستشراق في العلوم الإسلامية. ـ ط ٢. ـ بيروت: دار الجيل، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ـ ص ٢١٣.

وهناك ـ ولا شكَّ ـ علاقة وطيدة بين الاستشراق والاحتلال من جهة، وبين الاستشراق والتنصير من جهة أخرى،(١) وقد حاولت مناقشة هذه العلاقة في مواضع أخرى فيرجع إليها لمن أراد الاستزادة.(٢) وقد خدم الاستشراق اليهودية وأعان على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين المحتلَّة، لا سيَّما أنَّ هناك مستشرقين يهودًا أخفَوا هُويَّتهم اليهودية في الغالب، وأقحموا أنفسهم ضمن مفهوم الاستشراق، ولكنهم بانوا من خلال اهتماماتهم باليهود في الجزيرة العربية وبالساميّة وبالسبئيّة، وغيرها من أنماط الثقافة اليهودية في المجتمع المسلم.(٣)

وقد يقال تبعًا لهذا، ولكن بعد إثباتٍ وبراهينَ وأدلَّة، إنَّ هناك علاقةً بين الاستشراق والصهيونية لمجرَّد قيام علاقة بين الاستشراق واليهودية، وإنَّ هناك علاقة بين الاستشراق والماسونية كذلك.(٤) ولا يستغرب هذا الادِّعاء من الفريق

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. العلاقة بين الاستشراق والاستعمار. ـ التوباد. ـ مج ١، ع ٤، (١٠/١٤٠٨هـ ـ ٦/١٩٨٨م). ـ ص ٣٨ ـ ٤٢.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق في خدمة التنصير واليهودية. ـ مجلَّة جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية. ـ ع ٣ (٧/ ١٤١٠هـ ـ ٢/ ١٩٩٠م)، ص ٢٣٧ ـ ٢٧٢.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق والمستشرقون في الأدبيات العربية. ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ـ ص ٣٣٦.

(٤) انظر: أحمد سمايلوفيتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. ـ بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢م. ـ ص ١٣٩ ـ ١٥٢.

الرافض رفضًا مطلقًا. ولكنه متى ما اعتمد على الأدلَّة والبراهين والتمس الموضوعية والتجرُّد، فإنه ـ ولا شكَّ ـ سيضيف جديدًا فيه ردٌّ على أصحاب الموقف الأوَّل القابل لإسهامات المستشرقين من دون قيد أو شرط، كما أنه سيقوِّي من حدَّة الرفض وتجديد الدعوة إلى الاهتمام الذاتي بالقضايا التي تعصف بالأمَّة، العلمي والفكري منها بخاصَّة.[1]

ويصبح الاستشراق إحدى هذه القضايا التي تعصف بالأمّة علميًا وفكريًا، مثلها في هذا مثل التنصير والمذاهب الفكرية الأخرى المستوردة. ويكفي أنْ أشير هنا إلى قضية سلمان رشدي ـ كما مرَّ بيانه ـ عندما أصدر كتابه آياتٍ شيطانية، وما واجهه من ردود فعل تفاوتت في الحدَّة ولكنها في معظمها، لا سيَّما في المجتمع العربي والمسلم، كانت ضدَّ الكاتب والكتاب.[2]

---

(١) انظر مناقشة هذه العلاقة أيضًا في: رضوان السيِّد. اليهودية والصهيونية في الاستشراق. ـ في: ندوة الدين والتدافع الحضاري. ـ مالطا: رسالة الجهاد، ١٩٨٩م. ـ ص ٣٥٩ ـ ٣٨٣.

(٢) انظر مثلا: فهمي الشنّاوي. من وراء سلمان رشدي؟ أسرار المؤامرة على الإسلام. ـ القاهرة: المختار الإسلامي، د. ت. ـ ٦٣ ص، ومحمَّد يحيى. الآيات الشيطانية: الظاهرة والتفسير. ـ القاهرة: المختار الإسلامي، د. ت. ـ ١٠١ ص. ورفعت سيد أحمد. آيات شيطانية: جدلية الصراع بين الإسلام والغرب. ـ القاهرة: الدار الشرقية، ١٤٠٩هـ. ـ ١٩٦ ص. وأحمد ديدات. شيطانية الآيات الشيطانية وكيف خدع سلمان رشدي الغرب/ نقله إلى العربية وقدَّم له علي الجوهري. ـ القاهرة: دار الفضيلة، (١٩٩٠م). ـ ١١٢ ص. ونبيل السمان. همزات شيطانية وسلمان رشدي. ـ القاهرة: دار الإسراء، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. ـ ١١٦ ص.

ويبدو أنَّ سلمان رشدي قد اتَّكأ في روايته هذه على المعلومات التي أوردها المستشرقون عن الإسلام والمسلمين، حتى في عنوان الرواية نجده استعاره من المستشرق وليام مونتغمري وآتِ في كتابه محمَّد في مكَّة ـ كما مرَّ ذكره ـ وأظنه قد قرأ كتابات هذا المستشرق المعاصر حول الرسول محمَّد ﷺ وغيره من المستشرقين واستقى منهم ومنها معلوماته.[1]

والملحوظ أنَّ الفريق الرافض لإسهامات المستشرقين لم يستطع إلاّ الحديث عن هذه الإسهامات والدفاع عن الإسلام في عقيدته وحضارته وثقافته وفكره، وهم بهذا قد ولجوا محيط الردود، في الوقت الذي دعوا فيه إلى نبذ هذه الظاهرة، وأظن أنَّ هذا الإجراء علمي ومتوقَّع، لأنه لا بدَّ عند الدعوة إلى رفض شيء أنْ تُبيَّن مسوِّغات الرفض وأنْ يُعرف ما هو المرفوض ليُرفض، وإلا لما قُبلت الدعوة على أيِّ حال.[2]

---

(١) W. Montgomery Watt. Muhammad At Mecca, Karachi: Oxford University Press, 1979, p 100 - 109. وقد عرَّبه شعبان بركات، وصدر عن المكتبة العصرية بصيدا بدون تاريخ.

(٢) ينقل محمود حمدي زقزوق عن أبي حامد الغزالي قوله في كتاب المنقذ من الضلال: «إنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم من أهل ذلك العلم، ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطّلع على ما لم يطّلع عليه صاحب العلم من غرره وغائله، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدّعيه من فساده حقّا». انظر: الإسلام والمستشرقون. ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. ـ ص ٢٧. وانظر نصَّ الإمام الغزالي هذا في: المنقذ من الضلال، لحجَّة الإسلام الغزالي مع أبحاث في التصوُّف ودراسات عن الإمام الغزالي/ بقلم عبد الحليم محمود. ـ القاهرة: دار الكتب الحديثة، د. ت. ـ ص ١٠٣.

وكثيرًا ما وقف جزء من أصحاب هذا التوجُّه مدافعين عن كل صغيرة وكبيرة خاض المستشرقون فيها، ربما كان منطلق سوء الظن هو الذي أعان على مجموعة من التراكمات التي يُظن أنها داخلة جميعُها في تعمُّد الخطأ.

ولا بدَّ من تقدير هذا الموقف، وليس بالضرورة الاتِّفاق معه، ولا بدَّ من احترامه؛ لأنه إنما يصدر عن الخوف على الإسلام بالسعي إلى حمايته من عبث العابثين ـ وهم هنا المستشرقون ـ وتحصين أبناء الإسلام بالتنبيه على خطورة قبول هذه الظاهرة، وقبول ما جاءت به، مهما بدا في بعض ما جاءت به شيء من المواقف الحسنة مع الإسلام.

والإسلام منذ أنْ ظهر بمكَّة المكرَّمة وهو يتعرَّض لهجوم قويّ من قبل أعدائه، ولم يضرُّه الهجوم شيئًا فقد أراد الله له القوَّة والانتشار والحفظ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر]. وقد تصدَّى للإسلام ولنبيه ﷺ صناديد قريش، ووقفوا من القرآن الكريم وقفات معروفة في مصادر السيرة النبوية، ومع هذا لم يمنعهم التجرُّد من أنْ يقولوا في القرآن الكريم وفي الرسول الكريم ﷺ أقوالاً لا تزال تُردَّد إلى اليوم، ولكنهم كانوا مصرِّين على عداوته؛ لأغراض لم تكن من الموضوعية في شيء.(١)

(١) انظر: أحمد عبد الحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق. ـ ط ٢. ـ لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤٢١هـ. ـ ص ١١ ـ ٢٢.

واستمرَّ الحال إلى اليوم، يعادي الإسلام والمسلمين أقوام يسعون إلى إطفاء نور الإسلام. قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة]. وعليه فلا بدَّ من طريقة للتصدِّي لهذه الفئات التي لا تريد أنْ تقوم للإسلام قائمة.

أما الوقفة السلبية الرافضة القائمة على رفض واقع موجود فموقف لا يخدم القضية، ولا يفرض نفسه أو احترامه على الآخرين، وفي الوقت نفسه يترك المجال مفتوحًا لمزيد من التمكين للواقع الاستشراقي المفروض، من دون أنْ يقف في وجهه ويسدَّ الثغرات التي يدخل منها.

ويظهر أنَّ أصحاب هذا الفريق لم يطبِّقوا نظرية الإمام الغزالي في الوقوف إلى منتهى ما جاء به المستشرقون حتى يساوي ما وقف عليه أعلم المستشرقين، ثم يزيدون عليهم ويجاوزون درجتهم، فيطَّلعون على ما يطَّلع عليه المستشرقون، ليمكن أنْ يكون ما يدَّعونه فسادًا لا خير فيه، بل إنه يظهر أنَّ فئة غير قليلة من أصحاب هذا الفريق لم يدرسوا الاستشراق - من حيث كونُه ظاهرةً - دراسةً مستفيضةً ومتعمِّقة، وإنما اكتفوا بالعموميات والنقل من الآخرين، عندما شعروا أنَّ هذه الظاهرة تهدِّد الإسلام والمسلمين، ومثل هذا الموقف لا يكفي - فيما يبدو - بل إنَّ آثاره السيئة تفوق الآثار الحسنة المرادة منه.

ويبدو أنَّ آثار هذا الموقف لم تصل إلى المستشرقين إلاّ

بالقدْر الذي يجعلهم يصرُّون على المضي في طريقهم وهم ينظرونَ إلى أصحاب هذا الموقف نظرة الإشفاق، عندما لم يوفَّقوا في فهم ما جاء به المستشرقون، ولم يكلِّفوا أنفسهم عناء الغوص في التحليل واقتصروا ـ ربما ـ على تبيان الجوانب السيئة في جهود المستشرقين، فعمدوا إلى التعميم في الأحكام، واتِّخاذ الحالات الفردية وسيلة إلى إطلاق أحكام عامَّة على الجميع. وهذا ما لا تقتضيه الموضوعية والتجرُّد، فوقوع الآخرين في الأخطاء لا يسوِّغ وقوع المسلمين في المنهج نفسه من باب ردِّ الفعل.

وعلى أيِّ حال فقد وصل الحال إلى تحريم التعاون مع المستشرقين تحريمًا شرعيًا مدلَّلاً عليه من الكتاب والسنَّة؛[١] إذ إنَّ التعاوُن معهم قد يدخل ـ على هذا الرأي ـ في موالاتهم وعدم البراءة منهم، وهم كفرة تحرُم موالاتهم. والتعاوُن معهم يتيح لهم المجال أكثر للنيل من الإسلام والمسلمين، حينما يستغلُّون بعض الضعفاء ممن تهتزُّ عندهم الثقة بالإسلام وأحكامه، فيكونون امتدادًا لتلامذة المستشرقين الذين يغلب عليهم طابع الانبهار وقبول ما جاء به المستشرقون قبولاً غير مشروط. يقول أحمد عبد الحميد غراب: «أمَّا التعاون معهم (أي

---

(١) انظر: أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٧٢ ـ ١٨٠. ـ (فصل في التعاون مع المستشرقين).

المستشرقين) في تلك المؤسَّسات الاستشراقية فقد حرَّمه الله تعالى على المسلمين تحريمًا قاطعًا، لأنه نوعٌ واضح من موالاة اليهود والنصارى،[١] والموالاة هي التناصُر المعنوي أو المادي. ولا شكَّ أنَّ التعاوُن مع المستشرقين ينطوي على كثير من صور التناصُر المعنوي والمادي».[٢]

ثم يعدِّد المؤلف ثلاث صور ينطوي عليها التعاوُن مع المستشرقين؛ فهو ينطوي على الاشتراك معهم في نشاطاتهم والانتماء إلى مؤسَّساتهم والخضوع لقوانينها وقراراتها، والمشاركة في خططها وأهدافها الخفية والمعلنة، وينطوي على تشجيع معنوي ومادِّي لهم، وينطوي على الإقرار لهم بالأهلية لتدريس الإسلام، وإضفاء الشرعية، بل الحجِّية على تلقِّي الإسلام منهم وأخذه عنهم، ثم يورد من الآيات والأحاديث ما يَعْضُد به رأيه في تحريم التعاوُن معهم ومناصرتهم وموالاتهم.[٣]

---

(١) ويعلِّق أحمد عبد الحميد غراب في الهامش بقوله: «هذا الولاء المحرَّم على المسلمين يختلف عن التسامُح الواجب عليهم في معاملة أهل الكتاب بالحسنى، وبالقسط والبرِّ، وإعطائهم حقوقَهم المنصوص عليها في القرآن والسنَّة...»، انظر: أحمد عبد الحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٧٥.

(٢) انظر: أحمد عبد الحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٧٥.

(٣) انظر: أحمد عبد الحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

ثالثًا ـ موقف المواجهة

والموقف الثالث هو ذلك الموقف القائم على الدراسة والبحث والغوص في إسهامات المستشرقين والتعرُّف على مواطن الضعف في هذه الإسهامات، مع معرفة تامّة بمواطن القوَّة في الإسلام، ومواطن الإسلام كلُّها قوَّة، والانطلاق بأنَّ كل ما جاء به الإسلام، هو حقٌّ لا تزعزعه الأهواء ولا الآراء الشاذَّة التي لم يخلُ منها المجتمع المسلم، سواء أجاءت هذه الآراء من أبناء المسلمين أم جاءت من أولئك (الخارجيين). وهذا هو موقف المواجهة الإيجابية، كما يسميه أحد الباحثين.[1]

وهذا يعني، فيما يعني، أنَّ هناك مواجهة، والمواجهة تعني أنَّ هناك اختلافًا في أمر من الأمور التي تحتاج إلى مواجهة، مما يدلُّ على أنَّ هذا الفريق لا يقرُّ المستشرقين إقرارًا تامًّا، فيقبل ما يجيئون به قبولاً غير مشروط، كأصحاب الموقف الأول، ولا هو يرفض جميع ما جاء به المستشرقون رفضًا تامًّا دونما إِعمال النظر في هذه الإسهامات، مثل معظم أصحاب الموقف الثاني.

والمواجهة الإيجابية تعترف بوجود ظاهرة الاستشراق، كما

---

(١) انظر: عبد النبي أصطيف. نحن والاستشراق: ملاحظات نحو مواجهة إيجابية (٢). ـ مجلَّة مجمع اللغة العربية (دمشق) مج ٥٩، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م). ـ ص١١٦ ـ ١٣٥.

تعترف بتأثيرها على المتلقِّين من المسلمين على المستويات العقدية والفكرية. وتحسب لهذه الظاهرة الاستشراقية حسابًا؛ لكنها في حسابها هذا لا تقتصر على مجرَّد إملاء وجهة النظر بأنَّ أصحاب هذه الظاهرة (المستشرقين) جميعًا هم من النوع الذي يريد للإسلام والمسلمين كيدًا، ولكنها تقرُّ بأنَّ فيهم النزيهين المتجرِّدين الذين حصلت منهم أخطاء كما تحصل من أيِّ بشر، وعندما ينبَّهون إلى هذه الأخطاء يرجعون عنها.(١) وهؤلاء النزيهون هم من الفئة التي لم تحاول الخروج بنظريات حول الإسلام ورسول الإسلام ﷺ ادِّعاءً منها بأنها ستأتي بما لم تأتِ به الأوائل في مجالات المعتقد وأصول الإسلام.

ويسعى أصحاب المواجهة الإيجابية إلى الاعتراف بفضل بعض المستشرقين على تراث المسلمين، لا سيَّما المخطوطات، من حيث حفظُها وصيانتُها وتكشيفُها وفهرستُها ورصدُها في قوائم تُعين على الوصول إليها أينما كانت،(٢) هذا بالإضافة إلى فضل بعض المستشرقين في تحقيق بعض المخطوطات ونشرها، لا سيَّما منها تلك التي تُثري المكتبة

---

(١) انظر: زكي مبارك. نفعُهم أكثر من ضررهم. ـ الهلال. ـ مج ٤٢ ع ٢ (١٢/ ١٩٣٣م / ٨/ ١٩٥٢م). ـ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٨.

(٢) انظر: صلاح الدين المنجِّد. جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي. ـ المنهل. ـ مج ٥٥ ع ٤٧١ (٩ ـ ١٠/ ١٤٠٩هـ ـ ٤ ـ ٥/ ١٩٨٩م). ـ ص ٢١٠ ـ ٢١٧.

العربية الإسلامية، لا تلك التي تزيد الهُوَّة بين المسلم ودينه، وتسهم في نزع ثقته بهذا الدين، وتُعين على إقراره بما يسعى بعض المستشرقين إلى تثبيته حول الإسلام والمسلمين.[1]

وفي هذا الصدد يؤكِّد أحد المسهمين في النقاش حول دراسات المستشرقين على أنه «من الخير للدارسين العرب والمسلمين أنْ يقفوا على هذا النمط من العلم (علم المستشرقين) ليكونوا على بيِّنة من آثارهم فيطَّلعوا على نظر جديد، ولن يفيد العلم أنْ تكون هذه الفوائد بين أيدي الدارسين. فأما أنْ يحكم بادئ ذي بدء على أنَّ ما كتبه المستشرقون شرٌّ يتجافى وكذب وافتراء وإلحاد فذاك أمر ضرره عظيم، ذلك أنَّ العلم بهذه الموادِّ خير ألف مرَّة من الجهل بها».[2]

كما تعترف هذه الفئة من علماء المسلمين ومفكِّري العربية بإسهامات المستشرقين التي أريد منها أنْ تسدَّ فراغًا في المكتبة الإسلامية من دراسات وأعمال موسوعية، كدائرة المعارف الإسلامية والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي مثلاً؛ وإنْ

---

(١) انظر: سامي الصقار. دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي. ـ المنهل. ـ مج ٥٥ ع ٤٧١ (٩ ـ ١٠/١٤٠٩هـ ـ ٤/٥/١٩٨٩م). ـ ص ١٤٢ ـ ١٦٧، وانظر له أيضًا: الجوانب الإيجابية لنشاط المستشرقين البريطانيين. ـ مجلّة كليّة الآداب (جامعة الملك سعود). ـ مج ٩، (١٤٠٢هـ/ ٩٨٢م). ـ ص ١٥٩ ـ ٢٢٨.

(٢) انظر: إبراهيم السامرّائي. من دراسات المستشرقين: ترجمة وتعليق. ـ عمَّان: دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م. ـ ص ٥.

كانت هذه الفئة تقرُّ بأنَّ هذه الأعمال إنما قامت على أيدي مجموعة من المستشرقين ممَّن لم تُعرف عنهم جميعًا النزاهة، فوقعوا في أخطاء فاحشة عند حديثهم عن موادٍّ هذه الأعمال.(١)

وفي سبيل هذه المواجهة الإيجابية نجد أنَّ فرسان هذا التوجُّه يطرحون مجموعة عملية من البدائل التي تملأ الفراغ القائم في المكتبة الإسلامية، وتسدُّ الثغرات التي ولج منها المستشرقون، ومن أبرز هذه البدائل:

المعرفة بالنتاج الاستشراقي؛ لاستنباط السمين والغثِّ فيه، وهذا يقتضي إعداد الدراسات والمسوح والتقارير عن وضع الدراسات الاستشراقية في مختلف الدول الأجنبية، وتخصيص جزء من الدوريات العربية المعنية لمتابعة آخر تطوُّراته، ومواجهة آخر ما يصدر عنه من كتب ومجلَّات ونشرات وأنشطة علمية أخرى، كالزيارات المباشرة لمراكز الاستشراق وغيرها من الوسائل.

المشاركة في مختلف فعاليات الاستشراق ونشاطاته؛ قصدًا إلى لفت نظر العاملين في ميدانه إلى ما يقوم به المسلمون من نشاطات وأبحاث لا يحسنها غيرهم، ولا يستغني غيرهم عنها. والقصد من هذه المشاركة في النهاية خلخلة معايير الاستشراق

---

(١) انظر: خالد بن عبدالله القاسم. مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية. ـ مرجع سابق. ـ ١٢١٥ ص.

ومقاييسه الداخلية، حيث تنبثق مفهومات جديدة ومعايير ومستويات مختلفة عما هو سائد في ميدان الاستشراق. ويمكن أنْ تتم هذه المشاركة بوسائل شتَّى مناسبة، كالنشر في الدوريات الاستشراقية ونشر الكتب العلمية والترجمات باللغات الأجنبية، والمشاركة في المؤتمرات والندوات التي تقام حول الشؤون العربية والإسلامية في مختلف أنحاء العالم.

النقد الواعي المنبعث من المسلمين من خلال المشاركات، ويكون نقدًا موضوعيًا علميًّا بعيدًا عن التهجُّم الشخصي أو الطعن في الأشخاص، والمنبعث أيضًا من المستشرقين أنفسهم الذين ينقدون أترابهم ويوقفونهم عند أخطائهم، عندما يلحظون الوجود الإسلامي بينهم، ويلمسون الرغبة في فتح مجالات للحوار والوصول إلى الحقِّ.

تشجيع الإسهامات «الإيجابية» في النتاج الاستشراقي الجديد، فيُترجم إلى العربية ويُدعى المستشرقون الإيجابيون إلى مؤتمرات عربية إسلامية، والمساعدة بشتَّى الوسائل لهذه الأصوات المنصفة؛ لئلا تصبح صوتًا وحيدًا لا يجد من يتبنَّاه، فلا يلبث أنْ يخفت، فيضطرَّ صاحبه إلى مجاراة الآخرين؛ رغبةً في وجود مكانة بينهم.[١]

---

(١) انظر: عبد النبي أصطيف. نحن والاستشراق: نحو مواجهة إيجابية. ـ المستقبل العربي. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٤ ـ ٣٩.

إيجاد ـ أو العمل على إيجاد ـ موسوعة عربية، يُردُّ فيها على المستشرقين الذين أجحفوا في حقِّ الإسلام وأهله؛ قصدًا إلى الوقوف على الإسهامات الخاطئة وبيان وجه الخطإ فيها، وتكون الردود موضوعية مدعَّمة بالحقائق العلمية التي لا يفتقر إليها الكُتَّاب العرب والمسلمون، والشواهد التاريخية والبراهين العقلية المتوافرة في التراث الإسلامي، وفي مصادر التشريع الإسلامي قبل ذلك، وتكون الردود بعيدة عن النزعات الهجومية؛ قصدًا إلى الوصول إلى الأثر الإيجابي، مع الاقتصار على الموضوعات التي أثارت جدلاً لدى المستشرقين، لا سيَّما في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين. ولا ازدواجية بين هذه النقطة والنقطة السابعة الآتية؛ لاختلاف كلِّ الغرض في كلٍّ.

العمل على إيجاد صلة مع المستشرقين الذين أخطأوا في حقِّ الإسلام والمسلمين؛ قصدًا إلى بيان الجوانب التي أخطأوا في فهمها فأخطأوا في عرضها.[1] ولا بأس من إقامة حوار مع هذه الفئة، إذا كانت الأطراف المتحاورة تقف جنبًا إلى جنب، من حيث المكانةُ العلمية والتقدير والرغبةُ في الوصول إلى الحق، بعيدًا عن الفوقية الحضارية؛ وذلك لأن بعضًا من

---

(١) انظر: أحمد سعد حمدان الغامدي. الاستشراق والجهود المطلوبة. ـ المنهل. ـ مج ٥٥، ع ٤٧١ (٩ ـ ١٠/ ١٤٠٩هـ ـ ٤ ـ ٥/ ١٩٨٩م). ـ ص ٢٧٥ ـ ٢٨٢.

المستشرقين يعتريه شيء من الزهو والتعاظُم، فالمستشرق يكتب وهو يشعر بالفوقية الحضارية مفترضًا في المتلقِّي الدونية المطلقة. والتعامُل مع أولئك ينبثق من تلك المواصفات، الأمر الذي فصل بعض مفكرينا عن ماضيهم وأسرع في تشكيلهم على أعين المستشرقين، وقابلية الاستجابة والدونية، كرَّست إمامة أولئك وطردت الغربة عن الشواذِّ منهم.[1]

العمل على إيجاد دائرة معارف إسلامية جديدة، تحلُّ محل دائرة المعارف الإسلامية التي سطَّرها المستشرقون. وتكون جهودها موحَّدة بعيدة عن التنافُس بين الدول والتسابُق وتبديد الجهود بين الدول العربية والإسلامية؛ إذ إنَّ كلَّ فراغ فكري لدينا لا نشغله بأفكار من عندنا يكون عرضة لأفكار، أو للاستجابة لأفكار، غريبة عنا منافية لمبادئنا، وربَّما معادية لأنفسنا، كما يشير محمود حمدي زقزوق.[2]

ترجمة إسلامية دقيقة لمعاني القرآن الكريم، وعدم ترك المجال للأجنبي لترجمة المعاني، كما هو الحال منذ أكثر من قرن من الزمان. ويتبع هذا اختيار مجموعة مناسبة وكافية من أحاديث الرسول ﷺ وترجمتها إلى اللغات الحية؛ لتكون في

---

(١) انظر: حسن بن فهد الهويمل. محاور حول الاستشراق. ـ المنهل. ـ مج ٥٥ ع ٤٧١ (٩ ـ ١٠/ ١٤٠٩هـ ـ ٤ ـ ٥/ ١٩٨٩م). ـ ص ٢٨٣.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ـ مرجع سابق. ـ ص. ١٣٠.

متناول المسلمين الناطقين بغير اللغة العربية، وفي متناول غير المسلمين الذين يريدون التعرُّف على الإسلام. فتحلُّ هذه الترجمات الموثوقة محل الترجمات الأجنبية لمعاني القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، فيكون لها أثرها الحسن، بديلاً للآثار السيئة التي خلَّفتها الترجمات الأجنبية.[1]

ولا بدَّ من الإشادة هنا بجهود الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية التي أشرفت على إصدار نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، والجهود القطرية في ترجمة أحاديث عن الرسول ﷺ، وبجهود الأزهر الذي سبق أنْ وافق على ترجمة صحيحة معتمدة لمعاني القرآن الكريم سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م. وجهود مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنوَّرة الواضحة في توثيق ترجمات المعاني ونشرها بين الناس.

العمل على تنقية تراث المسلمين؛ فتراث المسلمين فيه السمين والغثُّ، لا سيَّما إذا ما أدركنا أنَّ القرآن الكريم والسنَّة النبوية المطهَّرة لا يدخلان في هذا المفهوم، والغثُّ من التراث هو أرض خصبة للمستشرقين للنيل من المسلمين، والمطلوب

---

(١) انظر: محمَّد محمَّد الدهَّان. قوى الشر المتحالفة، الاستشراق، التبشير، الاستعمار وموقفها من الإسلام والمسلمين. ـ ط ٢. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ـ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

إزالة الغثّ بالتركيز على أنه لا يمثِّل بالضرورة الإسلام، ولا يمثِّل بالضرورة النمط السائد بين المسلمين من خلال تطبيقهم للإسلام، ولكنه يمثِّل مراحل مرَّ بها المسلمون كانت مراحل ضعف في الفكر وفي الفهم، لجأ فيها بعضهم إلى الترف واللهو، وشجَّعوا أهلها ومواطنيها. ولذا فإنَّ هذا الغثَّ إنما يمثِّل الدخيل على التراث الإسلامي أسهم به بعض من يقصد الإساءة، ممن هم موجودون في كل زمان ومكان.

تقوية المنظَّمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، وإخراجها من النطاق المحلِّي للبلاد العربية والإسلامية وإكسابها عالمية في قراراتها، والتقليص من ولائها لأيِّ بلد بعينه، ولأيِّ توجُّه سياسي معيَّن. بل يكون ولاؤها لله ولرسوله ﷺ، فتسدَّ فراغاتٍ علميةً كبيرة وكثيرة تعاني منها الثقافة الإسلامية، فتستعير لسدِّ هذه الفراغات من ثقافات أخرى.

إقامة مركز عالمي للدعوة الإسلامية يغطِّي النقص الذي لا يتوقَّع تغطيته من المنظمة الإسلامية، إذ إنَّ طبيعتها علمية بحتة، وطبيعة المركز العالمي دعوية بحتة، لا تستغني عن العلمية في دعوتها، ولكنها لا تقوم بمشروعات علمية، وإنما تستقي معلوماتها العلمية من المنظمة الإسلامية، فتنطلق إلى العالم داخل الإطار الإسلامي وخارجه، وتبيِّن للناس الوجه الحقَّ للإسلام، لا ذلك الوجه الذي شوَّهته إسهامات أغلب المستشرقين.(١)

---

(١) انظر: محمَّد محمَّد الدهَّان. قوى الشر المتحالفة. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٣٠.

وهناك مجموعة يسيرة من الوسائل للمواجهة الإيجابية. ويذكر أصحاب الموقف الإيجابي وسائل أخرى متعدِّدة تعتمد على صحَّة تصوير الإسلام من الداخل؛ تحصينًا للمسلمين والمسلمات من القابلية للأفكار الدخيلة، كمراقبة جميع وسائل الإعلام وإخضاعها لتوجيهات سليمة، وتنقية الحياة الإسلامية المعاصرة من رواسب ما خلَّفه الاستشراق والتنصير والاحتلال والتيارات الأخرى في المدارس والمناهج والثقافة، وإبعاد العناصر المشبوهة عن المراكز القيادية في التوجيه والتربية والثقافة والإعلام والتخطيط وغيرها.[1]

الخاتمة: الخلاصة والنتيجة

لقد قمت بمحاولة حصر الإسهامات العربية، أيْ المكتوبة باللغة العربية، التي تعالج قضية الاستشراق والمستشرقين،[2] ووجدت أنَّ هذه الإسهامات لا تكاد تخرج عن هذه المواقف الثلاثة، بغضِّ النظر عن زمان المنشور ومكانه وموضوعه، من حيث سعةُ المعالجة وضيقُها.

---

(١) انظر: عدنان محمَّد وزَّان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٢١.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق والمستشرقون في الأدبيات العربية. ـ الرياض: مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. ـ القسم الثاني، الرصد الوراقي. ـ مرجع سابق. وانظر للمؤلِّف أيضًا: الاستشراق والمستشرقون في المراجع العربية في خمسة كتب سيأتي ذكرها.

كما وجدت أنَّ البلاد العربية جميعها قد أسهمت في الحديث عن المستشرقين، ولكن بنسب متفاوتة ولا شكَّ. كما وجدت جزءًا غير قليل من مثقَّفي العالم العربي والإسلامي قد تعرَّضوا للاستشراق، إمَّا بإسهامات مستقلَّة أو داخل إسهامات فكرية، ولكنني إلى الآن لم أجد من تخصَّصوا في الاستشراق تخصُّصًا مباشرًا وقويًا.[١] دون إلغاء وجود عدد لا بأس به من علماء ومفكِّرين مسلمين طرقوا هذا الباب، ولكنهم يعانون من تذليل الصعاب العلمية أمام استمرارهم في هذا الطريق.

ولم أجد المؤسَّسة التي عُنيت بالاستشراق عناية خاصة،[٢] فوفَّرت له المصادر والمراجع وكثَّفت من الأبحاث والدراسات والتمست الموضوعية في تحليلها لهذه الظاهرة.[٣]

---

(١) هناك طلبة دراسات عليا خصَّصوا أبحاثهم في قضية من قضايا الاستشراق، ولكن معظمهم توقَّفوا عند هذا الحدِّ، حتى رسائلهم لم ترَ في معظمها النور، ولم يُتح لهم المجال للاستمرار، أو أنهم هم لم يرغبوا في الاستمرار في مجال الدراسات الاستشراقية.

(٢) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤٩٠ ـ ٤٩١.

(٣) هناك أقسام في بعض الجامعات كأقسام الثقافة الإسلامية، وقسم الاستشراق بكليّة الدعوة الإسلامية بجامعة طيبة بالمدينة النبوية المعلَّق الآن، ويُعدُّ أحد هذه النماذج. ولكنها أقسام تحتاج إلى دعم قوي بالمتخصصين وبالمادة العلمية، كما تحتاج الدراسات العربية والإسلامية إلى أمثال هذا القسم، انظر إسماعيل أحمد عمايرة. الدراسات الاستشراقية وحتمية التخصُّصية». ـ المنهل مج ٥٥ ع ٤٧١ (٩ ـ ١٠/١٤٠٩هـ ـ ٤ ـ ٥/١٩٨٩م). ـ ص ٣٤٠ ـ ٣٤٦. وهو حوار أجرته معه المجلَّة عندما كان رئيسًا لقسم الاستشراق بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا، كلية الدعوة الإسلامية التابعة لجامعة طيبة حاليًا.

ولم أجد الدورية التي تخصَّصت بنشر ما يُكتب عن الاستشراق والمستشرقين، فيجد الباحثون في هذه الظاهرة «الوعاء المعلوماتي» الذي ينشرون فيه، وينهلون منه بدلاً من أنْ تكون الإسهامات متناثرة بين الجرائد السيارة والمجلاَّت الثقافية والدوريات العلمية. ولعلَّ هذا كله يعدُّ سببًا من مجموعة من أسباب أدَّت ـ إلى الآن ـ إلى الإخفاق في المواجهة الإيجابية لظاهرة الاستشراق.[١]

ومن خلال الاستقراء وملاحقة عنوانات الإسهامات أستطيع الخروج بالنتائج الآتية:

١ ـ إنَّ القابلين لإسهامات المستشرقين في مجال الثقافة الإسلامية والأدب العربي والشرقي عمومًا إنما صدروا عن انبهار بانشغال الآخرين بثقافة لم يكوِّنوا لها الثقة الكافية، فكان القبول منهم ممثِّلاً للنظرة التسويغية الاعتذارية التي يصدر عنها بعض المعتذرين عن الثقافة الإسلامية أمام الغربيين الذين تفوَّقوا في مجالات الحضارة المادِّية، وكان من أسرار تفوُّقهم تخلِّيهم عن تعليمات أديانهم المنحرفة، هذا في الوقت الذي كان يمرُّ فيه المسلمون بوقت حرج، خضعوا فيه تحت نير الاحتلال الذي أعان على تخلُّف المسلمين وتراجعهم الحضاري، وعمل على فصلهم عن دينهم الحقِّ.

---

(١) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤٩٠ ـ ٤٩١.

٢ ـ إنَّ الرافضين لإسهامات المستشرقين رفضًا مطلقًا إنما صدروا عن ردود فعل منشأها القابلون لها قبولاً مطلقًا، فأحسَّ هذا الفريق بالتهديد القادم من بعيد ويتبنَّاه بعض أبناء الأمّة، مما أدَّى إلى الخوف على الإسلام والمسلمين، وعدم تصوُّر أنْ يُنصَفَ الإسلامُ والمسلمون ممن لا يدين بالإسلام، وممن عُرف عن قومه عداؤهم التقليدي للإسلام وللمسلمين، وممن حصل من قومه اضطهاد للمسلمين بالغزو العسكري والاقتصادي والسياسي والثقافي، فكان لا بدَّ أنْ ينبري فريق من ذوي الغيرة على دينهم وثقافتهم ويكشفوا شيئًا من الزيوف التي يختبئ وراءها بعض المستشرقين.

إلا أن هذا الفريق قد لجأ إلى التعميم في أحكامه وخلط بين المستشرقين على اختلاف أخطائهم في الدرجة وفي الكثرة. وقد لاحظت أنَّ معظم أصحاب هذا الفريق ممن لم يتعمَّقوا في دراسة المستشرقين وإسهاماتهم، ولكنهم اكتفوا بترديد ما قاله أسلافهم، أو اكتفوا بالوقوف على أقوال بعض المستشرقين المغرضين في الكتاب الكريم وفي سنَّة المصطفى ﷺ، وفي سيرته ﷺ وسيرة الصحابة وفي الإسلام بشكل عامّ. ولا يعني هذا سطحية هذه الفئة من المفكِّرين، كما يحلو لبعض الباحثين أنْ يرميهم بها لحاجة في نفس يعقوب.(١)

---

(١) انظر: وقفات صادق جلال العظم. الاستشراق والاستشراق معكوسًا. ـ بيروت: دار الحداثة، ١٩٨١م. وفؤاد زكريا. نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العربية المعاصرة.

٣ ـ إنَّ الغالب على أصحاب الفريق الثالث ذوي المواجهة الإيجابية أنهم درسوا الاستشراق وتعمَّقوا فيه، وسيطروا على بعض لغاته، وكانت لهم حوارات ولقاءات مع المستشرقين، وبعضهم أخذ عن بعضهم، وبعضهم ناقش بعضهم، وحضروا مؤتمراتهم، وترجموا بعض أعمالهم ووثَّقوا الصلة معهم.

وهذه الأساليب في «التعاطي مع الاستشراق من قِبَل فئة من العلماء والمفكِّرين المسلمين ـ وإنْ بدت هذه الفئة قريبة إلى أن تُصنَّف من أصحاب الفريق الأول (القبول غير المشروط) ـ إلاَّ أنَّ هذه النشاطات أطلعتهم على حقيقة المستشرقين، فرأوا منهم المنصف ورأوا منهم المتحامل الموصوف بالخبيث.

وفي ترجمة للمستشرق الفرنسي الأب هنري لامانس،[١] يذكر محمود بدوي أنَّ «أبشع ما فعله خصوصًا في كتابه (فاطمة وبنات النبيّ) هو أنه كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحاتها. وقد راجعتُ معظم هذه الإشارات في الكتب التي أحال إليها فوجدتُ أنه إنما يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقًا

(١) الأب هنري لامانس (١٨٦٢ ـ ١٩٣٧م) مستشرق بلجيكي وراهب يسوعي شديد التعصُّب ضدَّ الإسلام. وقد تعلَّم في الكليّة اليسوعية ببيروت، ودرس فيها. رئس تحرير مجلَّة المشرق ومجلَّة تنصيرية أخرى اسمها البشير، وكتب في السيرة والخلافة الأموية. انظر: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. ـ ط ٢. ـ بيروت دار العلم للملايين، ١٩٨٩م. ـ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٩.

في هذه الكتب، أو فهمًا ملتويًا خبيثًا، أو يستخرج إلزامات بتعسُّف شديد يدلُّ على فساد الذهن وخبث النيَّة، ولهذا ينبغي ألا يعتمد القارئ على إشاراته إلى مراجع، فإنَّ معظمها تمويه وكذب وتعسُّف في فهم النصوص. ولا أعرف باحثًا من بين المستشرقين المحدَثين قد بلغ هذه المرتبة من التضليل وفساد النيّة». [١]

ونظرتهم إلى المنصفين كانت على أنهم مستشرقون اعتراهم سوء الفهم، فكان منهم سوء العرض، كما أنَّ أحكامهم عن إسهامات المستشرقين لم تكن أحكام القضاة العالمين علمًا تامًا بدقائق الأمور، فاكتفَوا منه بالمسحة الإيضاحية، وتركوا لهم مجالاً للخطإ والوقوع في الزلل، مع افتراض حسن النيّة وصفاء الطويّة. فالاستشراق عند هذه الفئة غير معصوم من الخطإ، ولكنه من ناحية أخرى ليس «كله» شرًّا على الإسلام والمسلمين. [٢]

وتظلُّ ظاهرة الاستشراق بين أخذ وردٍّ، وقبول ورفض. والمتوقَّع على مرِّ الأيام، ومع مزيد من التعمُّق أنْ يكثر أصحاب

---

(١) انظر: عبدالرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين. ـ المرجع السابق. ـ ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق. الإسلام في تصوُّرات الغرب. ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. ـ ص ٨.

المواجهة الإيجابية، ويقلَّ الفريقان الآخران ـ مع تفاوت في درجة القلَّة ـ إذ إنَّ الانبهار كظاهرة صاحبت إسهامات المستشرقين هي التي ستخفُّ حدَّتها، بعد أنْ بدأت الثقة تعود إلى النفس، وبعد أنْ تفتَّحت آفاق المعرفة لدى الباحثين وكثُر العائدون إلى الأصالة الإسلامية، وتبع هذه العودة عودة للوعي، ونتج عن الوعي اللجوء إلى الموضوعية والتجرُّد والتحليل والتمحيص في تقبُّل الآراء والتعامُل معها، ومن ثَمَّ وضوح المعيار الذي تقاس عليه جميع الإسهامات الواردة عن الإسلام والمسلمين، من المستشرقين وغير المستشرقين، ممن يطلقون ـ أحيانًا ـ أحكامًا سريعة في مناسبات خاصة، فيتلقَّفها البعض وتُكتب بالخطوط العريضة.

وقد وردت الإجابات على أسئلة البحث في ثنايا العرض للمواقف الثلاثة، فكان هناك عرض لمدى الثقة بالمعلومات الواردة عن المستشرقين. وكان هناك نقاش حول المعيار الذي لم يُتّفق عليه بعد اتِّفاقًا مطمئنًا، وكان هناك عرض لمبرِّرات الرفض المطلق والقبول غير المشروط والمواجهة الإيجابية.

وتظلُّ هذه كلُّها آراءً يقبل منها ما يُقبل ويُردُّ منها ما يُردُّ، ما دام جوهر الإسلام وأصوله واضحة في أذهان القابلين الرادِّين، وما دام القبول أو الردُّ مبنيًا على المعيار الشرعي في القبول والردِّ. أما أولئك الذين لا يؤمنون بالمعيار الشرعي فإنَّ الحاجة

ملحَّة إلى الاتِّفاق معهم على معيار مشترك باسم العربية أو باسم التراث، أو بأيِّ اسم قابل للاتِّفاق. وهذا الأمر يبدو متعذِّرًا في مجتمع قام أصلاً على المعيار الشرعي، وقاس عليه جميع حركاته وسكناته، ومما يقاس عليه في موضوعنا هذا هو مدى قبول إسهامات المستشرقين، في العلوم الإسلامية وما لها علاقة بها.

الفصل الثاني

مصــادر المستشـرقيـن
عن الإسلام والمسلمين[1]

«واليوم أرانا تبهرنا هذه القمم الشامخة ونتيه في عالم الخيال لما تذكرها أقلام المستشرقين، وإنْ نكرتها يعترينا مركَّب النقص، وفي كلتا الحالتين تصبّ هذه الدراسات في روحنا حرمانًا مزدوجًا، لا نستطيع التخلُّص منه إلا إذا تذكَّرنا السلَّم الذي وضعه القرآن ليتسلَّقه الفكر الإنساني، حتى يصلَ على درجاته إلى تلك الإنجازات العلمية التي تهيمن حتى اليوم على التقدُّم التكنولوجي. . . ، وإذا تذكّرنا هذا السلَّم فلنعلم أنه ما زال تحت يد أو تحت قَدَم المجتمع الإسلامي متى ما أراد استخدامه من جديد، وبحسبنا أنْ نقرِّر أنَّ مساهمة الفكر الإسلامي في تنمية تراث الإنسانية العلمي ليست تقدَّر فحسب بإنجازات يُقِرُّها أو ينفيها المستشرق، حسب هواه، بل تقدَّر

---

(١) نُشر هذا الفصل في مجلّة عالم الكتب. ـ مج ١٥، ع ٦ (الجماديان ١٤١٥هـ/ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٩٤م). ـ ص ٥٧١ ـ ٥٨٩.

بالتغيير الجذري الذي أحدثه المفهوم القرآني في المناخ العقلي والبناءات العقلية منذ كلمة «اقرأ»».[1]

مالك بن نبي

التمهيد

من الظاهرات التي صاحبت المدَّ الإسلامي وازدهار الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية حركة أو ظاهرة الاستشراق التي عُنيت بعلوم المسلمين بالدراسة والتحليل، واهتمَّت بتراث المسلمين المخطوط منه والمطبوع، تحقِّقه وتدرسه وتهتمُّ به في فترة من الفترات التي انشغل فيها المسلمون عن هذا التراث، وانصرفوا إلى متطلَّبات الحياة البدائية في معظم المجتمعات المسلمة، حتى أصبح العلم والعلماء غرباء في هذه المجتمعات.

وإذا كان المستشرقون يمثِّلون هذه الظاهرة فإنَّ اهتمام معظمهم بالثقافة الإسلامية لم يبدأ بالضرورة من منطلق حسن، إذ يرى بعض الدارسين العرب والمسلمين لظاهرة الاستشراق التي تدرس الثقافة الإسلامية بخاصَّة أنَّ هذه الظاهرة قد اتّكأت كثيرًا على «خلفية غير إيجابية» تجاه الإسلام والمسلمين، وذلك

---

(١) انظر: مالك بن نبي. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤١ ـ ٤٢.

حينما نظر الغرب، منشأ ظاهرة الاستشراق، إلى الإسلام على أنه التهديد العقدي والثقافي الأوَّل للوجود الثقافي والحضاري للغرب، الأمر الذي تجدَّد الآن مع بروز ظاهرة العودة إلى الدين بين الأمم قاطبة، بما فيها الأمّة الإسلامية، هذه الظاهرة التي تعارف جمعٌ من المفكِّرين المسلمين على تسميتها بالصحوة أو الإحيائية،[1] كما يسمِّيها رضوان السيِّد.[2] وفي الوقت نفسه يتفرَّغ الغرب بثقافته القائمة على الخلفية النصرانية واليهودية ـ وما شاب معظم طوائفهما من تدخُّل الصهيونية ـ للعالم الإسلامي معتقدًا أنه هو العدوُّ القادم.

ومن منطلق هذه النظرة وهذه الخلفية درس معظم المستشرقين ذوي الدوافع الدينية الإسلامَ؛ قصدًا إلى الإساءة إليه، وذلك لتحقيق رغبة الكنيسة في الحدِّ من انتشار الإسلام بين الأوساط الغربية بخاصَّة، ثم على المستوى العالمي بعامَّة، ومن ثَمَّ حماية الكنيسة من مزاحمة المسجد لها فيما يعتقد أنها «عقر دارها».[3] ويؤيِّد هذا المنحى أنَّ طلائع المستشرقين قد

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. كُنه الاستشراق: المفهوم ـ الأهداف ـ الارتباطات. ـ مرجع سابق. ـ ٢٧٧ ص.

(٢) انظر: رضوان السيِّد. الصراع على الإسلام: الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٢٧٧ ص.

(٣) انظر: عبد العظيم محمود الديب. المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٨ ـ ٣٩.

انطلقوا من الأديرة والكنائس.[1] كما يؤيِّده كذلك أنَّ الاهتمام الرسمي بالدراسات العربية والإسلامية قد انطلق من مؤتمر «فيينَّا» الكنسي سنة ٧٢٠هـ/ ١٢١٣م الذي أوصى بإنشاء كراسي للغات عدة ومنها اللغة العربية في أكثر من مؤسَّسة تعليمية عالية في أوروبَّا.[2]

ولتحقيق هذه الأهداف ذات المنطلق الديني المبني أساسًا على نتائج الحروب الصليبية التي انهزم فيها الصليبيون، وأُخرجوا من الشرق الإسلامي،[3] وإلى ما قبل الحروب الصليبية، كان لا بدَّ من إظهار الإسلام وأهله ورموزه كالقرآن الكريم وسنَّة المصطفى ﷺ وسيرته وصحابته وعلماء الإسلام وقادة المسلمين بمظهر غير لائق بهذه الرموز.

وفي سبيل الخروج بهذا كان لا بدَّ أنْ يقف ثلَّة من الغربيين حياتهم على دراسة الإسلام، يغوصون في علومه وآدابه ولغته

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ ط ٥. ـ ٣ مج. ـ القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٦م. ـ ١: ١١٠ ـ ١٣٧.

(٢) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ١١٠.

(٣) امتدَّت الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي قرابة مئتي سنة، وقد بدأت من ربيع الأوَّل من سنة ٤٩١هـ الموافق مارس ١٠٩٨م وانتهت في شعبان من سنة ٦٩٠هـ الموافق أغسطس من سنة ١٢٩١م. انظر في ذلك: سعيد عاشور. الحركة الصليبية. ـ ٢ مج. ـ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م. ـ ٢: ١١٢٦.

وتاريخه وكلِّ ما له به علاقة، «واقفين عليه مواهبهم ومناهجهم وميزاتهم، مصطنعين لنشره المطابع والمعاهد والمجلات ودوائر المعارف والمؤتمرات، حتى بلغوا فيه ـ منذ مئات السنين، وفي شتّى البلدان، وبسائر اللغات ـ مبلغًا عظيمًا من العمق والشمول والطرافة وأصبح جزءًا لا ينفصل من تراثنا...».[1]

وقد خلّف هذا الاتجاه في الدراسة وراءه زخمًا هائلاً من المعلومات المغلوطة في الغالب عن الإسلام والمسلمين، كانت هي «القاعدة المعلوماتية» التي بنى عليها المتأخِّرون من المستشرقين وغيرهم دراساتهم التالية استند إليها صنَّاع القرار في رسم سياساتهم في المنطقة، رغم المحاولات المتأخِّرة من بعضهم في طرْق أبواب الموضوعية والتجرُّد، ولكن ظلت فكرة «تهديد» الإسلام للغرب مسيطرة، ليس على مستوى العلماء والمحيط العلمي «الأكاديمي» فحسب، ولكن على مستوى القيادات السياسية والتخطيط للعلاقات الغربية مع «العالم الآخر»، التي استمدَّت معظم معلوماتها من الدراسات الاستشراقية المخصَّصة لهذه الأغراض أو الدراسات الشاملة عن الإسلام والمسلمين. ولا يزال هذا الأسلوب في استقاء المعلومات مسيطرًا على الدراسات الغربية عن الإسلام والمسلمين. على أنَّ الدراسات الاستشراقية، التي استطاعت

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ١: ٧.

التحرُّر من هذه الخلفية لم تتّكئ كثيرًا على دراسات استشراقية سابقة، قليلة جدًا.

ورغم محاولات التجرُّد والموضوعية التي حاولها بعض المستشرقين، ولا سيَّما بعض المتأخرين منهم، إلا أنَّ طبيعة دراسة الإسلام والمسلمين، مهما كانت درجة التجرُّد والموضوعية فيها، تستلزم توافُر الانتماء العقدي فيها، هذا الانتماء الذي يفرض جانبًا كبيرًا من التوثيق والتوثُّق من الأخبار والروايات، والتثبُّت من مصادر المعلومات التي تكون عادة مادَّة «دسمة» لتقرير موقف ما يعين على الخروج بحكم على الإسلام، بينما يتبيَّن بعد التثبُّت والتوثّق أنَّ هذا الحكم قد قام على معلومات موضوعة ومختلقة أو ضعيفة أو اعتراها خلل في الرواية أو الراوي، على ما هو مبسوط في علم الرجال عند المسلمين.[(١)]

صعوبة الدراسة

ويصعب في وقفة واحدة إجراء دراسة مستقصية عن مصادر المعلومات عند المستشرقين، وذلك لأسباب عدَّة، لعلَّ من أهمها:

طول المدَّة التي قام فيها المستشرقون بدراسات عن الإسلام والمسلمين، منذ نشأة الاستشراق إلى اليوم. فإذا افترضنا أن

(١) ويسمَّى علم الإسناد أو علم الجرح والتعديل.

البدايات العلمية للاستشراق تعود إلى سنة ٧٢٠هـ/ ١٣١٢م،[(١)] فإنَّ المدة الزمنية تصل إلى، أو يزيد عن، سبع مئة وعشر سنين من سنة ٧٢٠هـ/١٣١٢م إلى سنة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م. ولذا يمكن تصنيف التوجُّهات الاستشراقية بحسب الزمان. وعلى سبيل المثال نجد أنَّ إدوارد سعيد[(٢)] يعيد أسباب عدم الأمانة العلمية لدى المستشرقين المعاصرين إلى عوامل ثلاثة هي:

أ ـ التحيُّز الشعبي ضدَّ العرب والمسلمين.

ب ـ الصراع العربي الصهيوني.

ج ـ الغياب شبه الكلِّي لأيِّ موقع ثقافي مؤثِّر.[(٣)]

وهذه الأسباب حديثة لم تكن تؤثّر في الماضي؛ لأنَّ مسبّباتها لم تكن موجودة بالصورة التي هي عليها الآن، كما يذكر عبدالجليل شلبي أنَّ «موقف المستشرقين اليوم قد تغيَّر كثيرًا عن موقفهم بالأمس. ولكن هذا التغيُّر يبدو في التخلّي عن

---

(١) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ١١٠.

(٢) إدوارد إبراهيم وديع سعيد (١٩٣٥م ـ ٢٠٠٣م)، أستاذ أمريكي من أصل فلسطيني، درّس في جامعة كولومبيا بنيويورك. وله كتابات متعدِّدة حول نظرة الغرب إلى الإسلام، منها «تغطية الإسلام» [وكان الأَوْلى أن يُترجم «حَبُّ الإسلام»] و«فهم الإسلام» وغيرها، وهو عضو في المجلس الوطني الفلسطيني. ويذكر أنه أقام في القدس، وواصل نشاطه الصحفي في المجال نفسه حتى وفاته. لاقى كتابه «الاستشراق» ردود فعل شديدة على المستويين العربي والغربي.

(٣) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق: ـ المرجع السابق. ـ ص ٧٦ ـ ٧٧.

الأكاذيب والاختلاقات، وليس ثَمّة تخلٍّ عن طعن الإسلام وتلمُّس مواطن للهجوم عليه».[1] فالنمط السالف في التعامُل مع الإسلام يختلف عن النمط الحالي، وهكذا.

تعدُّد الموضوعات التي طرقها المستشرقون داخل الثقافة الإسلامية ورموزها، فقد درسوا جميع العلوم العربية والإسلامية من علوم القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة والعلوم الإسلامية الأخرى والعلوم العربية كذلك، بما في ذلك الدراسات الاجتماعية المعاصرة، ومتابعة التطوُّرات التي تمرُّ بها المجتمعات العربية والإسلامية.

وتعدُّد الموضوعات يؤذن بعدم الدقَّة الموضوعية في إطلاق الأحكام على الجميع، دون النظر إلى الموضوعات التي طرقوها، ودون النظر إلى الزمان الذي أجريت فيه الدراسات والزمان الذي أجريت حوله هده الدراسات.

تعدُّد اللغات التي كتب بها المستشرقون دراساتهم، مع ضآلة الترجمات العربية لها، فقد كتبوا بالألمانية والروسية والفرنسية والإسبانية والإنجليزية والبولندية والبرتغالية والعربية كذلك، وغيرها من اللغات الأوروبية الأخرى، وإنْ كان بعض الباحثين يرى أنَّ اللغة الألمانية تُعدُّ في هذا المجال أمَّ اللغات

---

(١) انظر: عبد الجليل شلبي. صور استشراقية. ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٦هـ. ـ ص ٣٠.

الأخرى، وأنها جميعها تعدُّ عالةً عليها مباشرة أو عن طريق اللغات التي أخذت عنها.(١)

تعدُّد المدارس الاستشراقية بحسب الزمان، أو بحسب المكان، والاختلاف الطفيف في المنطلقات العقدية لكثير من المستشرقين، بحسب انتماءاتهم، فهناك المدرسة الألمانية والمدرسة الإنجليزية والمدرسة الفرنسية والمدرسة الإسبانية والمدرسة الروسية، وغيرها من المدارس.(٢)

تعدُّد فئات المستشرقين، بحسب مواقفهم من الإسلام والمسلمين، وبحسب الخدمات التي يقدِّمونها في دراساتهم، فهناك المستشرقون الكاثوليك والمستشرقون البروتستانت والمستشرقون الملحدون والمستشرقون الشيوعيون والمستشرقون اليهود، وهكذا.(٣)

---

(١) انظر: صلاح الدين المنجِّد. الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله. ـ الهلال. ـ مج ٨٢، ع ١١، (١٠/ ١٣٩٤هـ ـ ١١/ ١٩٧٤م). ـ ص ٢٢ ـ ٢٧.

(٢) في تصنيف الاستشراق إلى مدارس انظر: ساسي سالم الحاج. نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية. ـ ٢ ج. بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢م. . ـ ١: ١١٩ ـ ١٩٦.

(٣) في مناقشة فئات المستشرقين انظر: عبّاس محمود العقّاد. ما يقال عن الإسلام. ـ القاهرة: دار الهلال، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م. ـ ص ٩ ـ ١٨. ـ (سلسلة كتاب الهلال؛ ١٨٩). وانظر أيضًا: محمَّد عبد الفتّاح عليّان. أضواء على الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٥٣ ـ ٥٧.

٦ ـ تعدُّد أغراض المستشرقين وأهدافهم، بل ومنطلقاتهم التي ساروا منها لدراسة الإسلام والمسلمين بين الدينيّة والسياسية والاقتصادية والاحتلالية والعلمية النزيهة وغير النزيهة، على ما هو مبسوط في الإنتاج العلمي المقصود به التعريف بالاستشراق والمستشرقين.[1]

كثرة الدراسات المنشورة «الإنتاج العلمي»، إذ إنَّ مجموع ما نشره المستشرقون بين سنة ١٩٠٦ إلى سنة ١٩٩١م فقط يزيد على ٧٥،٠٠٠ دراسة نُشرت في الدوريات الاستشراقية والعربية، منها ٣٥،٠٠٠ دراسة بين سنة ١٩٠٦ إلى سنة ١٩٦٠م.[2] هذا عدا عن الكتب والمحاضرات ووقائع المؤتمرات.

ويعمل الأستاذ فؤاد سزكين مدير معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت بألمانيا على حصر وراقي (ببليوجرافي) للدراسات الاستشراقية باللغة الألمانية. وقد أظهر إلى الآن مجموعة ضخمة من المجلّدات التي دأب المعهد على إظهارها منذ حوالي ربع قرن. وتشمل القائمة الوراقية

---

(١) انظر في مناقشة أهداف المستشرقين وأغراضهم: علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية: عرض للنظرات ورصد وراقي للمكتوب. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤٣ ـ ٥٨. وانظر للمؤلِّف ايضًا: كُنه الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ٢٧٧ ص.

(٢) انظر: أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٠٥.

(البيليوجرافية) المقالات العلمية والكتب. وقد تابعت هذا العمل عندما كان يقوم به فريق من المتخصِّصين في مجالات الدراسات الإسلامية، مثل الأستاذ إسماعيل بالتش ـ رحمه الله تعالى ـ (١٣٣٨ ـ ١٤٢٤هـ الموافق ١٩٢٠ ـ ٢٠٠٢م) في معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت بألمانيا.

وكان الأستاذ الدكتور محمَّد فؤاد سزكين يحرص على اقتناء هذه المواد في مكتبة المعهد المتميزة. ولا يزال يقوم بهذا وتُتَّخذ لهذا جميع الوسائل الممكنة من استعارة الكتب وتصويرها وتصوير المقالات بعد استعارة الدوريات استعارة خاصة باتِّباع أسلوب الإعارة بين المكتبات.

ويشير إدوارد سعيد إلى أنَّ مجموع ما نُشر من الكتب فقط في قرن ونصف القرن من الزمان من بدء القرن التاسع عشر الميلادي/ الثالث عشر الهجري إلى منتصف القرن العشرين الميلادي/ الرابع عشر الهجري قد وصل إلى ستّين ألف (٦٠،٠٠٠) كتاب.[١]

تشتُّت الإنتاج العلمي الاستشراقي جغرافيًّا، وتعذُّر وجوده، أو وجود غالبيّته، في جهة واحدة أو جهات محدَّدة، يمكن متابعتها والوقوف على نسبة «معقولة» من المنشور منها.

ومن أجل هذه الأسباب مجتمعة، ومعها غيرها، تبرز

---

(١) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٢١ ـ ٣٢٢.

الصعوبة العلمية في تقصّي الإنتاج العلمي الاستشراقي الذي يتيح المجال لتقصّي مصادر المعلومات لدى المستشرقين عن الإسلام والمسلمين.

تضييق مجال الدراسة

قد يعين على التغلُّب على بعض هذه العوامل السالف ذكرها تضييق مجال الدراسة، إما من الناحية الزمانية، أو من الناحية المكانية، أو من الناحية الفكرية فيما يتعلّق بالفئات والمدارس، أو من الناحية اللغوية، إذ قد يصل الباحث إلى نتائج «أولية» إذا ما درس مرحلة من مراحل الاستشراق ـ مثلاً ـ من حيث أطواره التي مرَّ بها.[1]

وفي هذا يقول رودي بارت: «... فمن ذا الذي يستطيع الإحاطة بمادَّة في هذا اليمّ. ليس أمام العلماء من حلٍّ سوى اختيار طائفة محدَّدة من الموضوعات من بين الكمِّية الهائلة من موضوعات العلم والبحث المتشعِّبة، وتركيز البحث الخاصّ على نقط بعينها، والرضا فيما عدا ذلك بفكرة إجمالية عامَّة عن العلم في مجموعه».[2]

ولذا فإنَّ «كلَّ دراسة في هذا الميدان هي في حقيقتها جزء

---

(١) في أطوار الاستشراق انظر: أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. ـ مرجع سابق. ـ ص٧٠ ـ ٨١.

(٢) انظر: رودي بارت. الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية. ـ مرجع سابق. ـ ص ٥٧.

صغير أو ضئيل من كلٍّ كبير، ولا سبيل إلى بلوغه، بل إلى الاقتراب منه في أحسن الأحوال إلا بخطًى صغيرة».[١]

وتؤكِّد الدراسات حول الاستشراق والمستشرقين على أنَّ بعض المدارس الاستشراقية قد اعتمدت في تكوينها الأوَّل على مدارس سابقة لها، ثم أخذت مسارًا مختلفًا استحقَّت معه أنْ تكون مدرسة مستقلَّة متميِّزة، فالمدرسة الاستشراقية الروسية ـ على سبيل المثال ـ قد اعتمدت في نشأتها على المدرسة الاستشراقية الفرنسية، التي تُعدُّ أشدَّ المدارس جورًا على الإسلام والمسلمين،[٢] ممثَّلة بالمستشرق الفرنسي دي ساسي[٣] الذي تتلمذ على يديه مجموعة من المستشرقين الروس، ومنهم جيرجاس[٤] الذي رحل إلى فرنسا. كما أنَّ دي

(١) انظر: رودي بارت. الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٠٧.

(٢) انظر: محمَّد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. ـ ط ٥. ـ بيروت: دار الفكر، ١٩٧٣م. ـ ص٤١٥ ـ ٤٥٦.

(٣) البارون دي ساسي (١٧٥٨ ـ ١٨٩٢م)، ويكتب أحيانًا دو ساسي مستشرق فرنسي، انتخب رئيسًا للجمعية الآسيوية سنة ١٨٢٢م. وألَّف في الدروز وعني بهم. ولقِّب بالبارون سنة ١٨١٣م جزاءً لجهوده وخدماته. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ١: ١٦٢ ـ ١٦٥.

(٤) جيرجاس (١٨٣٥ ـ ١٨٨٧م) تخرَّج باللغات الشرقية في جامعة بطرسبرج، وانتقل إلى باريس وتعلَّم العربية على مستشرقي فرنسا، وانتقل إلى مصر وسورية ولبنان وعاد إلى بطرسبرج ودرّس بها، وعُدَّ أوَّل مؤسس للدراسات العربية الحديثة في روسيا. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٣: ٧٤ ـ ٧٥.

ساسي نفسَه قد استعانت به جامعة بطرسبرج في إنشاء المدرسة التهذيبية العالية سنة ١٨١٦م، وتتلمذ عليه، غير جيرجاس، ديمانج[١] وشارومي،[٢] وغيرهم ممن هم عالة على المدرسة الاستشراقية «الغربية».[٣]

الاعتماد على المستشرقين السابقين

من المقرّر أنَّ كثيرًا من المستشرقين قد اعتمدوا على سابقيهم في توثيق أبحاثهم ودراساتهم عن الإسلام والمسلمين. وهذا أمر وارد؛ إذ إنَّ المتأخِّرين من المستشرقين ينظرون لسلفهم من علماء المستشرقين نظرة إجلال وإكبار من ناحية،[٤] ومن ناحية أخرى يجدون هذه الدراسات السابقة

---

(١) ديمانج درس الاستشراق في فرنسا، وتتلمذ على دي ساسي وغيره من المستشرقين الفرنسيين، وقع اختيار دي ساسي عليه مع شارومي لتدريس اللغات الشرقية في جامعة بطرسبرج بناء على رغبة إسكندر الأول. انظر: نجيب العقيقي. ـ المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٣: ٦٩.

(٢) شارومي (١٧٩٣ ـ ١٨٥٥م) رحل إلى باريس وتتلمذ على دي ساسي وودي برسفال، وأرسل من فرنسا إلى جامعة بطرسبرج ليدرّس الفارسية بها. نال أوسمة عدة وله آثار في التاريخ. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٣: ٦٩.

(٣) انظر: ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية. ـ مرجع سابق. ـ ص١٦٧ ـ ١٧٣.

(٤) انظر: نعمان عبد الرزّاق السامرّائي. الفكر العربي والفكر الاستشراقي بين د. محمَّد أركون ود. إدوارد سعيد. ـ الرياض: دار صبري، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م. ـ ص

هي المصادر القريبة منهم، من حيث توافرُها، ومن حيث لغتُها التي يجيدونها إجادةً تامَّة، فقد تكون هي لغتهم الأمّ، أو اللغة الثانية التي تعلّموها؛ لأنها ثرَّة بالإنتاج العلمي الاستشراقي كالألمانية مثلاً.[1] بل إنَّ هناك بضعةً من المستشرقين الذين تركوا لغتهم الأمَّ وجنحوا إلى لغة «استشراقية» قوية في مجال الدراسات الاستشراقية، كما هي الحال مع إجناس جولدتسيهر المجري «الهنجاري» الذي تبنّى اللغة الألمانية لغةً علميةً لإنتاجه العلمي في مجال الدراسات الاستشراقية.[2]

كما أنَّ دواعي الاستشهاد المرجعي ودوافعه قد تكون عاملاً مهمًّا من عوامل اعتماد المتأخِّرين من المستشرقين على أسلافهم في توثيق معلوماتهم. ومن هذه الدوافع ـ عدا إظهار الفضل والريادة للسابقين ـ مجاملتهم أو الدفاع عن آرائهم التي بثُّوها في

---

(١) انظر: صلاح الدين المنجِّد. المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية. ـ ج ١. ـ بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م. ـ ص ٧ ـ ١٣.

(٢) إجناس جولدتسيهر (١٨٥٠ ـ ١٩٢١م) مستشرق مجري (هنجاري)، اتَّجه إلى دراسة العبرانية في بداية حياته العلمية، وتخرَّج في اللغات السامية، ثم اهتمَّ باللغة العربية والإسلام، ونشر أبحاثه بالألمانية والإنجليزية والفرنسية. يذكرون عنه أنه أعطى الدراسات العربية والإسلامية قالبًا جديدًا. انظر: محمَّد بن عبّود. الاستشراق والنخبة العربية. ـ المجلة التاريخية المغربية. ـ مج ٩، ع ٢٧ و٢٨، (١٩٨٢م).ـ ص ١٩٩ ـ ٢١٥.

دراساتهم، أو تنفيذها والردُّ عليها، أو تصحيحها، أو ما إلى ذلك من دواعي الاستشهادات المرجعية العلمية وغير العلمية.[1]

إلا أنَّ الميل هنا ينصبُّ على عاملين مهمَّين يقفان وراء اتّكاء المستشرقين المتأخِّرين على أسلافهم في توثيق أبحاثهم ودراساتهم، هما توافر المصادر العلمية مادِّيًا، وكونها مكتوبة بلغة يجيدونها وبقية دواعي الاستشهاد المرجعي الأخرى تكون عادة مضمّنة في ثنايا الاستشهادات المرجعية للمستشرقين.

واعتماد المستشرقين في معلوماتهم حول دراساتهم عن الإسلام والمسلمين على من سبقهم من المستشرقين يؤدِّي إلى أنْ يقع المتأخِّرون في الأخطاء نفسها التي وقع فيها المتقدِّمون عن غير قصد، وهذا هو الأصل، وعن قصد؛ وهذا قد يحصل إذا ما كانت الدوافع والأهداف غير علمية، مما عرف الآن من دوافع المستشرقين وأهدافهم.[2]

وفي هذا يقول مونتجمري وات: «جدَّ الباحثون منذ القرن

---

(١) انظر في دوافع الاستشهادات المرجعية: حشمت علي قاسم. دراسات في علم المعلومات. ـ القاهرة: دار غريب، (١٩٨٤م). ـ ص ١١٧.

(٢) في مناقشة الدوافع والأهداف لدى المستشرقين بعامة انظر: علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية. ـ مرجع سابق. ـ ص٣٣ ـ ٥٨.

الثاني عشر في تعديل الصورة المشوَّهة التي تولَّدت في أوروبا عن الإسلام. وعلى رغم الجهد العلمي الذي بُذل في هذا السبيل، فإنَّ آثار هذا الموقف المجافي للحقيقة التي أحدثتها كتابات القرون المتوسِّطة في أوروبا لا تزال قائمة. فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتنابها».(١)

والمؤلِّف مونتجمري وات نفسه قد وقع ضحية نظريته هذه، فلم يستطع التخلُّص من الاتّكاء على الماضي الاستشراقي في كتاباته حول الرسول محمَّد ﷺ.(٢)

وإنْ لم يصل في هذا الاعتماد على من سبقوه إلى ما وصل إليه قسٌّ من قرطبة يُدعى إلجوس قرطبة الذي كتب بحثًا عن الرسول ﷺ ينمُّ عن جهل فاضح، «أو كذب متعمَّد، كما تبدو فيه الصيغة المسيحيَّة؛ إذ جاء فيه أنَّ النبيّ محمَّدًا ﷺ كان يخبر أصحابه أنه بعد ثلاثة أيام من موته سيُرفع إلى السماء، فلما مات

---

(١) انظر: إبراهيم اللبّان، المستشرقون والإسلام. ـ القاهرة، الأزهر، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م. ـ ص ٣٦ ـ ٣٧. ـ (ملحق مجلَّة الأزهر).

(٢) في متابعة ما كتبه مونتجمري وات عن النبيّ ﷺ بجد المرء هناتٍ يصعب وقوع باحث منصف فيها. ومن أقربها إلى ضرب المثال قوله عن النبيّ ﷺ أنه كان يصعد إلى غار حراء ليتبرَّد من حرِّ مكَّة، إذ لم يتمكَّن لفقره من الصعود إلى الطائف للاصطياف! كما كانت بفعل أغنياء قريش. والثابت في مصادر سيرة المصطفى ﷺ أنه كان يصعد إلى الغار للتأمُّل لا للاصطياف. انظر: مونتجمري وات. محمَّد في مكَّة. ـ كراتشي: جامعة أكسفورد، ١٩٧٩م. ـ ص ٤٤. W. Montgomery Watt. Muhammad At Mecca. Karachi: Oxford University Press, 1979, p 44.

بقي بدون دفن حتى يُرفع جسده، ولكنه لم يُرفع حتى تعفَّن جسده، وأخذت الكلاب تنهش منه...».[1]

ويعلِّق عبد الجليل شلَبي على هذا بقوله إنَّ هذا القسَّ لم يكن يعرف اللغة العربية، ولكنه اعتمد في نقل معلوماته المغلوطة هذه على مخطوطة لاتينية عثر عليها صدفة في مدينة بامبالونا.[2] ومصادر سيرة المصطفى ﷺ تذكر أنه توفِّي ـ عليه الصلاة والسلام ـ منتصف يوم الإثنين ١٢/ ٣/ ١١هـ ودُفن يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء ١٣ ـ ١٤/ ٣/ ١١هـ، ولم يمضِ عليه سوى يوم ونصف اليوم قضاها المسلمون في تجهيزه وتصريف أمور خلافته ﷺ.[3]

ويذكر نورمان دانيال أنه «على الرغم من المحاولات الجدِّية المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرُّر من المواقف التقليدية للكُتَّاب النصارى من الإسلام فإنهم لم يتمكّنوا أنْ يتجرَّدوا منها تجرُّدًا تامًّا».[4] كما يقول برنارد لويس: «لا تزال آثار التعصُّب الديني الغربي ظاهرةً في مؤلَّفات

---

(١) انظر: عبد الجليل شلبي. صور استشراقية. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٧.

(٢) انظر: عبد الجليل شلبي. صور استشراقية. ـ المرجع السابق. ـ ص٢٨.

(٣) انظر: عبد الملك بن هشام المعافري. السيرة النبوية لابن هشام. ـ ج ٤، مج ٢. ـ القاهرة، مكتبة الكليّات الأزهرية، د. ت. ـ ٤: ٢٢٢، وانظر أيضًا: محمَّد بن عبد الوهّاب وعبد الله بن محمَّد بن عبد الوهّاب. مختصر سيرة الرسول ﷺ. ـ الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د. ت. ـ ص٤٦٤.

(٤) انظر: قاسم السامرّائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. ـ مرجع سابق. ـ ص ٦٩.

عدد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية». [1]

والحواشي المرصوصة في الغالب مأخوذة من دراسات المستشرقين السابقين. [2] ولذا نجد «سلسلةً من المستشرقين يردِّدون ويطوِّرون النظريات نفسها القائمة على ما كتبه المستشرقون من قبل... وأسوأ ما في الأمر جميعًا أنَّ المستشرقين سايروا في كثير من الأحيان تقاليد معيَّنة، حيث يمدُّون الجمهور الغربي بما يتوقَّع منهم أنْ يمدُّوه به... بل إنَّ الأسوأ أنْ نجد كثيرًا من المستشرقين قد بنَوا مواقفهم على الموقف العام للاستشراق دونما نقد أو تمحيص كدليل على كماله، أو باعتباره أمرًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، على الرغم من أنَّ الدراسات النقدية الحديثة لهذه الحركة قد زلزلت بدرجة كبيرة البرج العاجي الذي يعيشون فيه». [3] وهم في هذا «يريدون قتل حضارة الشرق عمدًا لأنهم يريدون إخفاء الحقيقة». كما يذكر بريستيد في كتابه عن انتصار الحضارة. [4]

---

(١) انظر: إبراهيم اللبّان. المستشرقون والإسلام. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٦.

(٢) انظر: إبراهيم اللبّان. المستشرقون والإسلام. ـ المرجع السابق. ـ ص٣٦.

(٣) انظر: محمَّد بن عبود. منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي. ـ في مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية. ـ ٢ مج. ـ الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ١: ٣٦٤.

(٤) انظر: عبد الحميد متولّي. الإسلام وموقف علماء المستشرقين، اتّهامهم الشريعة بالجمود وعلماءَها الأقدمين بالتأثُّر بالقانون الروماني. ـ جدة: شركة مكتبات عكاظ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ص ١٢.

ومع صعوبة الدراسة المنهجية العلمية الجادَّة عن مصادر المعلومات لدى المستشرقين بعامَّة، ومع إمكانية دراسة الحقب التاريخية التي مرَّ بها الاستشراق والمستشرقون فإنّه من الممكن أنْ تبرز ظاهرة الاستشهادات الخاطئة في الأزمنة الأولى للاستشراق. كما أنه من الممكن الافتراض بأنَّ ظاهرة الاستشهادات الخاطئة في الدراسات الاستشراقية تخفُّ حدَّتها كلَّما تقدَّم بنا الزمان، رغم الافتراض كذلك أنَّ المستشرقين اللاحقين هم عالة على أسلافهم من المتقدِّمين، إلا أنَّ الرغبة في الاستقلالية العلمية والتميُّز والظهور بمنهجية جديدة والتقرُّب من العلماء العرب والمسلمين، والاستجابة لانتقادات العلماء العرب والمسلمين وملاحقة الاستشراق بالنقد، كلُّ هذه تؤيِّد خفَّة الحدَّة في ظاهرة الاستشهادات المرجعية الخاطئة. ومع هذا فإنَّ هذه الافتراضات تحتاج إلى وقفات بحثية متأنِّية في سبيل إثباتها أو دحضها.

ومع هذا الميل إلى تبرئة المستشرقين المحدَثين من «تسنُّم» آثار سالفيهم نجد في الجانب الآخر هناك تأكيدًا على عدم التجرُّد والموضوعية لعوامل مستحدثة، يلخِّصها إدوارد سعيد في الآتي:

١ ـ التحيُّز الشعبي ضدَّ العرب والإسلام، الذي ينعكس في تاريخ الاستشراق قديمه وحديثه.

٢ ـ الصراع العربي الصهيوني. ولو قيل الصراع بين المسلمين واليهود لكان التعبير أدقَّ.

٣ ـ الغياب شبه الكلّي لأيٍّ موقع ثقافي مؤثِّر. هذا بالإضافة إلى عوامل آنية مثل صورة اليهود في فلسطين المحتلة التي تصوّرهم على أنهم يمثّلون الديمقراطية في المنطقة، في مقابل صورة العرب لدى الغرب، الذين يُصوَّرون على أنهم إرهابيون متخلّفون.(١)

دراسة أعلام المستشرقين

لعلَّ من الأنسب في سبيل دراسة مصادر المعلومات في الدراسة الاستشراقية أنْ يُنظر إلى كبار المستشرقين الذين كوَّنوا منهجية متميِّزة تابعهم فيها كثير ممن أتى بعدهم، فيُدرس هؤلاء المستشرقون الكبار كلٌّ على حدة، ليُنظر مدى اعتمادهم على المصادر المعتبرة في موضوعاتها في دراساتها الثرّة. ويأتي من أبرز هؤلاء المستشرقين الذين عُرفت عنهم منهجية متميّزة في دراسة الإسلام والمسلمين المستشرق المجري (الهنجاري) إجناس جولدتسيهر والهولندي كريستيان سنوك هورخرونيه(٢) والألماني كارل هينرش بيكر والكندي دنكن بلاك ماكدونالد

---

(١) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٧٦ ـ ٧٧.

(٢) كريستيان سنوك هورخرونيه (١٨٧٥ ـ ١٩٣٦م) مستشرق هولندي، رحل إلى جاوة وخدم حكومته فيها، يذكر أنه أسلم، وتسمّى بعبد الغفّار، ودخل مكّة المكرّمة، وأقام فيها ستة أشهر خرج منها بكتاب عن الحج. ويناقش قاسم السامرّائي مسألة إسلامه في: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. ـ مرجع سابق. ـ ص ١١٠ ـ ١٣٧..

والفرنسي الأب لوي ماسينيون[١] والإنجليزي هاملتون جبّ والإنجليزي يوسف (جوزف) شاخت والألماني كارل بروكلمان[٢] وغيرهم من «أئمة» المستشرقين ومشهوريهم.

ودراسة أعلام المستشرقين كلاً على حدة كفيلة بأنْ تبيِّن مدى اعتمادهم على المصادر العربية وغير العربية التي يسعون فيها إلى إلباس دراساتهم اللباس العلمي الموضوعي المتجرِّد المطلوب في كل دراسة علمية. كما أنها كفيلة بالرجوع إلى هذه المصادر كلِّها أو جلِّها للتبيُّن من مدى الدقَّة في النقل.

وفي ترجمة للمستشرق الفرنسي الأب هنري لامانس،[٣]

---

(١) الأب لوي ماسينيون (١٨٨٣ ـ ١٩٦٢م) مستشرق فرنسي وأستاذ في الدراسات العربية والإسلامية، تتلمذ عليه جملة من المستشرقين، واستعانت به كثير من مراكز الاستشراق العالمية كالمدرسة الروسية، اهتم كثيرًا بالتصوُّف والمتصوِّفة كالحلّاج وابن سبعين. درّس في مصر، وأدار مجلَّة العالم الإسلامي التي تحوَّلت إلى مجلَّة الدراسات الإسلامية. انظر: محمود بدوي. موسوعة المستشرقين. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٦٣ ـ ٣٧٠.

(٢) كارل بروكلمان (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦م) مستشرق ألماني، تخرّج في اللغات الساميّة، وكتب في الآداب العربية والتاريخ الإسلامي. ومن أشهر آثاره تاريخ الأدب العربي وتاريخ الشعوب الإسلامية. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٢: ٤٢٤ ـ ٤٣٠.

(٣) الأب هنري لامانس (١٨٦٢ ـ ١٩٣٧م) مستشرق بلجيكي وراهب يسوعي شديد التعصُّب ضدَّ الإسلام. وقد تعلَّم في الكليّة اليسوعية ببيروت، ودرس بها. رأس تحرير مجلَّة المشرق ومجلَّة تنصيرية أخرى اسمها البشير، وكتب في السيرة والخلافة الأموية. انظر: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٩.

يذكر محمود بدوي أنَّ «أبشع ما فعله خصوصًا في كتابه (فاطمة وبنات النبي) هو أنه كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحاتها. وقد راجعتُ معظم هذه الإشارات في الكتب التي أحال إليها فوجدتُ أنه إنما يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقًا في هذه الكتب، أو فهمًا ملتويًا خبيثًا، أو يستخرج إلزامات بتعسُّف شديد يدلُّ على فساد الذهن وخبث النيَّة، ولهذا ينبغي ألا يعتمد القارئ على إشاراته إلى مراجع، فإنَّ معظمها تمويه وكذب وتعسُّف في فهم النصوص. ولا أعرف باحثًا من بين المستشرقين المحدَثين قد بلغ هذه المرتبة من التضليل وفساد النيّة».[(١)]

وقد أورد عبد العظيم محمود الديب ـ رحمه الله تعالى ـ نماذجَ من هذه التجاوُزات المتعمَّدة مع نصوص المصادر الإسلامية بيَّن فيها شيئًا من التمويه والكذب والتعسُّف في فهم النصوص الذي يتحدَّث عنه محمود بدوي في حال واحدة مع مستشرق واحد.[(٢)] وقد أوردتُ جملةً منها في وقفة لاحقة مع الاستشراق مصدرًا من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين.[(٣)]

---

(١) انظر: عبدالرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين. ـ المرجع السابق. ـ ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

(٢) انظر: عبد العظيم محمود الديب. المستشرقون والتراث. ـ المحرَّق: مكتبة ابن تيميّة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ص ٤٥.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم النملة، أعمال المستشرقين مصدرًا من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين. مجلَّة جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية. ـ ع ٧، (٤/ ١٤١٣هـ ـ ١٠/ ١٩٩٢م). ـ ص ٥١٩ ـ ٥٦٤. =

ومن ذلك أيضًا ما قام به جورج سَيل[(١)] في ترجمته لمعاني القرآن الكريم، إذ يترجم عبارة يا أيها الناس بيا أهل مكَّة. وهذا المستشرق يعَدُّ من أوائل من ترجموا معاني القرآن الكريم، وقد اتّكأ عليه كثيرون في ترجمات تالية. ويثني آربري على ترجمة جورج سيل، يثني على مقدِّمته التي قرَّر فيها أنَّ القرآن الكريم من تأليف محمَّد ﷺ.[(٢)] والغرض من هذه التحريفات في العبارة يعود إلى رغبة كثير من المستشرقين في نفي الرسالة وحصر تأثير الرسول ﷺ في جزيرة العرب فقط.[(٣)]

والحكم التعميمي على هذه المجموعة من المستشرقين وغيرها غير ممكن في دراسة فردية محدودة في زمانها وفي مصادرها، غير قادرة على الاستقراء الدقيق والمتابعة لجميع ما أنتجه هؤلاء. ولذا تبرز الحاجة والدعوة إلى إيجاد المؤسَّسات

= ومجمل المعلومات في هذه الوقفة مستقاة من هذا المرجع ومرجع آخر للمؤلف تحت عنوان: مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. ـ ٥٦ ص، وهما يؤلِّفان الفصلين الأول والثالث من هذا الكتاب.

(١) جورج سَيل (١٦٩٧ ـ ١٧٣٦م) مستشرق إنجليزي، اهتم بالإسلام وترجم معاني القرآن الكريم ترجمة متقدمة ما أتي بعدها يعدُّ عالة عليها، وقد قدَّم لها بمقدمة ضافية «حشاها بالإفك واللغو والتجريح» كما يذكر نجيب العقيقي في: المستشرقون. ـ ٢: ٤٧.

(٢) انظر: أ. ج. آربري. المستشرقون البريطانيون/ تعريب محمَّد الدسوقي النويهي. ـ لندن: وليام كولينز، ١٩٤٦م. ـ ص ٤.

(٣) انظر: محمَّد أحمد دياب. أضواء على الاستشراق والمستشرقين، القاهرة: دار المنار، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م. ـ ص ٥٢.

العلمية التي تتابع إنتاج المستشرقين،[1] كما برزت الدعوة إلى قيام موسوعة إسلامية في الرد على المستشرقين. ومن الرد عليهم بيان منهجيَّتهم في الرجوع إلى المصادر وانتقاؤهم المعلوماتِ منها.[2]

وفي هذا المجال ظهرت على الساحة العلمية العربية والإسلامية الدراسات المتخصِّصة بمستشرقين بأعيانهم مثل الدراسة التي تابعت إسهامات كارل بروكلمان وفيليب حتِّي[3] في التاريخ الإسلامي،[4] ودراسة مستشرقين آخرين بأعيانهم.[5]

---

(١) انظر: عدنان محمَّد وزَّان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر. ـ مكَّة المكرَّمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. ـ ص ١٦١ ـ ١٩٥. ـ (سلسلة دعوة الحق؛ ٢٤).

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ـ ط ٢. ـ القاهرة: دار المنار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. ـ ص ١٥٥ ـ ١٦٤.

(٣) فيليب خوري حتِّي (١٨٨٦ ـ ١٩٧٨م) مستشرق أمريكي من أصل عربي لبناني، تخرَّج في الجامعة الأمريكية ببيروت، وأنهى دراسته العليا من كولومبيا بنيويورك، ودرَّس في برنستون وهارفارد والجامعة الأمريكية ببيروت، ألَّف أكثر من ٢٥ عملاً بالعربية والإنجليزية، و٥٠٠ دراسة عن الشرق العربي، انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٣: ١٤٨ ـ ١٥١.

(٤) انظر العمل الذي قام به عبد الكريم علي الباز بعنوان: افتراءات فيليب حتّي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي. ـ جدَّة: تهامة، ١٤٠٣هـ. ـ ص ١٧٤. (سلسلة رسائل جامعية؛ ١٦). والعمل الآخر الذي قام به شوقي أبو خليل بعنوان: موضوعية فيليب حتّي في كتابة تاريخ العرب المطوَّل. ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م. ـ ص ٢٢٠.

(٥) درس مازن صلاح المطبَّقاني المستشرق الأمريكي المعاصر برنارد لويس في رسالة لنيل درجة الدكتوراة في الاستشراق من كليّة الدعوة الإسلامية بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية بالمدينة النبوية، ونشرت الدراسة=

بل ربّما دُرست ناحية واحدة من النواحي التي أسهم بها مستشرق واحد كما فعل ـ مثلاً ـ غيثان علي جريس في تتبُّعه لافتراءات كارل بروكلمان على السيرة النبوية.(١) والمستشرق المذكور مشهور بدراساته الموسوعية عن الأدب العربي بالمفهوم الأجنبي الآخر لكلمة أدب «Literature» في كتابه تاريخ الأدب العربي،(٢) بالإضافة إلى كتابه الآخر تاريخ الشعوب الإسلامية،(٣) وإسهاماته الأخرى المتعدِّدَة.

= عن مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، وجاءت في ٦١٤ ص، كما خرجت دراسات عن مستشرقين آخرين من كليّة الشريعة وكليّة أصول الدين من الجامعة المذكورة، وغيرها من الدراسات، ودرس الجيلي محمَّد يوسف الكبشاني المستشرق بولند ألن نيكلسون ومفترياته على الإسلام في رسالة لنيل درجة الدكتوراه في المذاهب المعاصرة من كليّة أصول الدين بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ، ودرس محمود حمزة عزولي كتاب الدعوة إلى الإسلام لتوماس ووكر آرنولد في رسالة لنيل درجة الماجستير في الدعوة والاحتساب من المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة النبوية (كلية الدعوة) بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ.

(١) انظر: غيثان علي جريس. افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية. ـ أبها: نادي أبها الثقافي والأدبي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م. ـ ٨١ ص.

(٢) ظهر الكتاب في مجلدين، وأعقبهما المؤلف بملحقين كبيرين باللغة الألمانية، وقد ترجم هذا العمل إلى اللغة العربية على يد الأساتذة عبدالحليم النجّار والسيد يعقوب بكر ورمضان عبد التوّاب، ونشرته دار المعارف بمصر بين سنة ١٩٧٧ وسنة ١٩٨٣م.

(٣) ترجمه إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، وظهر سنة ١٩٤٨م، وتوالت طبعاته إلى أنْ وصلت إلى الثامنة التي أظهرتها دار العلم للملايين، ببيروت سنة ١٩٧٩م.

إتقان اللَّغة العربية

برزت فئة من المستشرقين ممن درسوا اللَّغة العربية ودرَّسوا بها، وحاولوا الإلمام بها وإجادتها ورجعوا في دراساتهم إلى بعض المصادر العربيّة، إلا أنَّ دراستهم للَّغة العربية لم تكن قويّة، رغم قدم الدراسة بقِدم اتصال الغرب بالشرق الإسلامي عن طريق الأندلس وصقلّية،(١) فكان القصور واضحًا في فهمهم للنصوص العربية التي استعانوا بها دراسةً وتحقيقًا، فوقعوا في أخطاء أدَّى إليها سوء الفهم الناتج عن الضعف اللُّغوي لديهم.

ورغم أنَّ هذه الفئة كانت تحاول إبراز هذه الميزة في اللقاءات والمؤتمرات، وتظهر الحرص على سلامة اللسان، من حيث المفرداتُ المنتقاةُ والإعرابُ والتصريفُ، إلا أنها لم تتمكَّن من اللغة العربية التمكُّن الذي يعينها على الاستناد التامِّ على النصوص العربية مصادرَ لدراساتها، دون اللجوء إلى أهل اللغة العربية وأربابها؛ لتبيان أيِّ مشكل لغوي يمرُّ على المستشرق، ولا ريب أنها مرَّت بهم مشكلات مهما بدا أنهم أتقنوا اللغة العربية إلى حدٍّ نظم الشعر بها.(٢)

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ١: ٨٣.

(٢) وقد نظم المستشرق يوسف فون هامر ـ بورجستال أبياتًا أورد شيئًا منها صلاح الدين المنجِّد في: المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٧ ـ ٣٨، وهي ترجمة للأصل الألماني نقلتها إلى العربية آنا ماري شمّل.

ويجدر هنا تكرار الاستشهاد بنصٍّ كتبه العلاَّمة محمود محمَّد شاكر ـ رحمه الله ـ في رسالته في الطريق إلى ثقافتنا، حيث يقول: «المستشرق» فتًى أعجميٌّ ناشئٌ في لسان أمَّته وتعليم بلاده، ومغروس في آدابها وثقافاتها (ألماني، أو إنجليزي، أو فرنسي)، حتى استوى رجلاً في العشرين من عمره أو الخامسة والعشرين، فهو قادر أو مفترض أنه قادر تمام القدرة على التفكير والنظر، ومؤهَّل أو مفترض أيضًا أنه مؤهَّل أنْ ينزل ميدان «المنهج» و«ما قبل المنهج» بقدم ثابتة. نعم، هذا ممكن أنْ يكون كذلك»[1].

ويضيف محمود محمَّد شاكر: «ولكن هذا الفتى يتحوَّل فجأة عن سلوك هذه الطريق ليبدأ في تعلُّم لغة أخرى، (هي العربية هنا)، مفارقة كل المفارقة للسان الذي نشأ فيه صغيراً، والثقافة التي ارتضع لبانها يافعًا، يدخل قسم «اللغات الشرقية» في جامعة من جامعات الأعاجم، فيبتدئ تعلُّم ألف باء تاء ثاء، أو أبجد هوَّز، في العربية، ويتلقَّى العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها وسائر آدابها وتواريخها عن أعجمي مثله، وبلسان غير عربي، ثم يستمع إلى محاضر في آداب العرب أو أشعارها أو تاريخها أو دينها أو سياستها بلسان غير عربي،

---

(١) انظر: محمود محمَّد شاكر. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٥٩.

ويقضي في ذلك بضع سنوات قلائل، ثم يتخرّج لنا «مستشرقًا» يفتي في اللسان العربي والتاريخ العربي والدين العربي!! عجب وفوق العجب». [1]

ومن أبرز المؤيِّدات لنصِّ محمود محمَّد شاكر ما ذكره رفاعة رافع الطهطاوي[2] أحد تلامذة دو ساسي من أنه كان «حين يقرأ ينطق كالعجم، ولا يمكنه أنْ يتكلَّم بالعربية إلا إذا كان بيده الكتاب». [3]

وفي رسالة جوابية من دي ساسي إلى أحد مراسليه من الشرق يقول فيها: «... وأنت تريد أنْ تعلم إذا ما كان لي شيوخ علَّموني اللغة العربية..، وإني أستطيع أنْ أؤكِّد لك أنه لم يكن لي من معلِّم سوى الكتاب. وأنا لا أستطيع أنْ أحفظ بالعربية شيئًا، ولا أفهم ما يقال بها، إذ لم تتح لي في شبابي

---

(١) انظر: محمود محمَّد شاكر. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. ـ المرجع السابق. ـ ص ٢٥٩.

(٢) رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١ ـ ١٨٧٣م) تخرَّج في الجامع الأزهر، ويعدُّ شيخ المترجمين المصريين، تعلَّم الفرنسية في ديارها وأسهم بالترجمة عنها، ووصف رحلته إليها في كتابه تخليص الإبريز في تلخيص باريز، وله آثار غيره، انظر: الموسوعة العربية الميسَّرة/ بإشراف محمَّد شفيق غربال. ـ القاهرة: دار الشعب، ١٩٦٥م. ـ ص ٨٧٣.

(٣) انظر: رفاعة بك بدوي رافع الطهطاوي. تخليص الإبريز في تلخيص باريز أو الديوان النفيس بإيوان باريس. ـ بيروت: دار ابن زيدون، د. ت. ـ ٣٣٥ص.

أيُّ فرصة لممارسة الكلام أو الاستماع للأحاديث بالعربية. وقد أطريتني كثيرًا ما قلته لي عن مؤلَّفاتي، وعليَّ أنْ أقرَّ لك بأني آسف لأني لم أرحل في شبابي إلى مصر أو الشام، وبأنني بعيد جدًّا عن امتلاك معرفة تامَّة بهذه اللُّغة الواسعة كالمحيط». (١)

والمستشرق المذكور درَّس اللغة العربية، وكتب فيها وعنها عدَّة أعمال، لعلَّ من أهمِّها التحفة السنيَّة في علم العربية، وهو في النحو والعروض العربيين! وهو الذي حقَّق مقامات الحريري، (٢) ونشر ألفية ابن مالك. (٣)

ومما يؤيِّد نصَّ محمود محمَّد شاكر ـ رحمه الله ـ كذلك ما

---

(١) انظر: محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا. ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م. ـ ص ٢٣٦. ـ (سلسلة عالم المعرفة؛ ١٦٧).

(٢) الحريري، أبو محمَّد القاسم بن علي بن محمَّد بن عثمان البصري الحرامي الحريري، ولد بقرية المشان من أعمال البصرة، واشتهر بالمقامات، توفي بالبصرة سنة ٥١٦هـ وعمره سبعون عامًا، انظر: محمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي. سير أعلام النبلاء. ـ ٢٣ مج. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م. ـ ١٩: ٤٦٠ ـ ٤٦٥.

(٣) ابن مالك، محمَّد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الشافعي، إمام النحاة وحافظ اللغة، ولد سنة ٦٠٠هـ بجيان بالأندلس، وانتقل إلى دمشق وبها عاش، وقد وصلت أعماله إلى الثلاثين مصنفًا، وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢هـ، انظر: محمَّد عبد العزيز النجّار. ضياء السالك إلى أوضح المسالك. ـ ٤ مج. ـ القاهرة، مطبعة الفجّالة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م. ـ ١: ٢٠.

ذُكِر عن الترجمة التي أعدَّها فرانز روزنتال[١] لمقدِّمة ابن خلدون،[٢] حيث ظهرت هزيلةً وغيرَ مستقيمة، وأبرزت الروح اليهودية لدى المستشرق المترجَم، كما أبرزت جهله باللغة العربية.[٣]

ويشير تقريرٌ للامبرت حول الدراسات الإسلامية إلى أنَّ الذين يهتمُّون بالإسلام والعربية لا يجيدون اللغة العربية، وأنَّ

---

(١) فرانز روزنتال مستشرق أمريكي، من أساتذة جامعة ييل. وقد تناول العلاقات الثقافية اليهودية والإسلامية، وأثر الفلسفة اليونانية في العالم الإسلامي، وكتب في مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. انظر: ساسي سالم الحاج. ـ نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية. ـ مرجع سابق. ـ ١: ١٥٦. وانظر أيضًا: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٣: ١٦٢ ـ ١٦٣،

(٢) عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨) يعدُّ من أبرز علماء المسلمين في جميع العصور عمل في التدريس، وتنقّل إلى بلاد كثيرة، اشتهر بمقدمة كتابه في التاريخ (العبر...) التي أرست مبادئ علم الاجتماع. انظر: علي عبدالواحد وافي. عبد الرحمن بن خلدون. ـ القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٢م. ـ (سلسلة أعلام العرب؛ ٤).

(٣) إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٠، بالإنجليزية، طبعة لندن نقلاً عن: عدنان محمَّد وزّان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٢٩. ولم أعثر عليه في الترجمة العربية والنسخة الإنجليزية التي بين يديّ. ورجعت إلى نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٣: ١٦٢ ـ ١٦٣، فلم أجد العقيقي يذكر أنَّ روزنتال قد ترجم مقدِّمة ابن خلدون. على أنه قد يكون ترجمها بعد ترجمة العقيقي له، فهي موجودة في المراجع التي لحقت العقيقي، وقد ظهرت في ثلاثة مجلَّدات.

نسبة من مجيديها لا تصل إلى ١٧٪ (١٦,٧٪) فقط من مجموع المهتمِّين بالإسلام والمسلمين وبلغة العرب والمسلمين.

أمَّا الذين اعتمدوا على مصادر إسلامية لمعلوماتهم في دراساتهم عن الإسلام والمسلمين فقد نظروا إلى هذه المصادر وما تحويه من معلومات نظرتهم هم، ولم يلبسوا لباس النظرة الإسلامية للمعلومات الإسلامية، التي تعتمد على أنَّ الأصل في هذه المعلومات الصحَّة حتى يثبت عكس ذلك.

ولا تتأتَّى هذه النظرة إلا إذا توافرت الروح الإسلامية التي يتعامل فيها المسلم مع النصوص والمصادر، ولذا تقوى هذه النظرة عند النظر إلى النصِّ القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد،[١] ثم نصوص السنَّة الثابتة صحَّتُها بالمعايير التي وضعها رجال الحديث،[٢] ثم تأتي بالمرتبة الثالثة نصوص العلماء المسلمين من السلف والخلف التي يحكمها من حيث القبولُ والردُّ، النصُّ الإسلامي

(١) من الآية الكريمة: قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصِّلَت].

(٢) في علم مصطلح الحديث تفريع لأنواع الحديث الشريف من حيث المتن ومن حيث السند من الصحيح والحسن والمرسل والمتواتر والآحاد والمتصل والضعيف والموضوع وغيرها من التفريعات التي تبين مدى اهتمامنا نحن المسلمين بالتوثيق والوصول إلى الثابت مما ينسب للمصطفى ﷺ.

المشهور: «كُلٌّ يؤخذ من كلامه ويردُّ إلا المعصومَ محمَّدًا ﷺ[1] الذي لا ينطق عن الهوى، وما يقوله إنما هو وحيٌ يوحى وذلك مصداقًا للآية الكريمة: قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم].

ويفتقد المستشرقون لهذه الروح التي نتعامل فيها مع النصوص الإسلامية، ولا ننتظر منهم أنْ يكونوا مسلمين، وعندها لا يكونون مستشرقين. يقول محمود حمدي زقزوق: «ونحن لا نطلب من كل مستشرق أنْ يغيِّر معتقده ويعتقد ما نعتقده عندما يكتب عن الإسلام، ولكن هناك أوَّليَّات بديهية يتطلَّبها المنهج العلمي السليم...».[2] ومن أبرز سمات هذه الأوَّليات التحقُّق من الأخبار والروايات قبل قبولها قبولاً مطلقًا

(١) وهذا الأمر منسوب إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى في قوله: «ليس أحد بعد النبيّ ﷺ إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبيّ ﷺ، وقد أثرت هذه العبارة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وأخذها عنه مجاهد ـ رحمه الله ـ وأخذها عن مجاهد مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ، وأخذها عن مالك أحمد بن حنبل ـ رحمه الله .. انظر في هذا: محمَّد ناصر الدين الألباني، صفة صلاة النبيّ ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها. ـ ط ١٣. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ص ٢٦ و٢٧.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ـ مرجع سابق. ـ ص ٥٩، وانظر أيضًا: الملحقية الثقافية بسفارة المملكة العربية السعودية بواشنطن. دليل الدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية بالجامعات الأمريكية. ـ ط ٢. ـ واشنطن: الملحقية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ـ ص ٢٧٩.

من منطلق النصِّ القرآني الكريم، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات].

معايير النقد لدى المستشرقين

والمستشرقون يُعمِلون النظر في النصوص الإسلامية من المصادر الإسلامية، ويطبِّقون عليها معايير نقدية تاريخية هي نفسها المعايير التاريخية التي يطبِّقونها على تاريخ الفكر عندهم، يقول رودي بارت في هذا الشأن: «فنحن معشر المستشرقين، عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الإسلامية لا نقوم بها فقط لكي نبرهن على ضعة العالم الإسلامي، بل على العكس، نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثِّله الإسلام ومظاهره المختلفة والذي عبّر عنه الأدب العربي كتابة»[(١)].

ويضيف رودي بارت القول: «ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كلَّ شيء ترويه المصادر على عواهنه دون أنْ نعمل فيه النظر، بل نقيم وزنًا فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخي أو كأنه يثبت أمامه. ونحن في هذا نطبِّق على الإسلام وتاريخه، وعلى المؤلّفات العربية التي نشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبِّقه

---

(١) انظر: رودي بارت. الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٠.

عندنا وعلى المصادر المدوَّنة لعالمنا نحن. وإذا كانت إمكانيات معرفتنا محدودة ـ وهل يمكن أن تكون إلاَّ كذلك؟ ـ فإننا نؤكِّد بضمير مطمئن أننا في دراستنا لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافية، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة. أما الرأي المضادُّ لذلك والذي نشره عالم الأزهر الأستاذ البهي في كتيِّبه الذي صدر أخيرًا باسم المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، فنحيط به علمًا ونحن هادئو البال». (١)

وهم بهذا يزعمون أنهم يهدُفون من دراساتهم للثقافة الإسلامية واللغة العربية إلى العمل على تمحيص الإسلام من منطلق علمي يتّسم بالموضوعية التي تُخضع لقواعد المنهج العلمي. (٢)

ولم يسلم كتاب الله تعالى، القرآن الكريم، من هذا التمحيص، فقد وقفوا معه وقفاتٍ طويلةً في مجمله وفي بعض سوره وآياته، فأثبتوا ونفوا وحلَّلوا وفسَّروا بالرأي والهوى، مما هو غير جائز للمسلمين المنتمين لهذا الكتاب، فكيف يجوز لمن يفتقرون إلى الانتماء. (٣)

---

(١) انظر: رودي بارت. الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٠.

(٢) انظر: عدنان محمَّد وزَّان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر. ـ مرجع سابق. ـ ص ١١٩ ـ ١٣٨.

(٣) يقول ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: «.. فأما تفسير القرآن بمجرَّد الرأي فحرام لما رواه محمَّد بن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ حيث قال: ثنا محمَّد=

على أننا نحن المسلمين نؤمن بأنَّ القرآن الكريم كلامُ الله المنزّل غير المخلوق، وأنه ثابت غير قابل في محكمه ومتشابهه للنفي أو النقد أو التعديل أو التحريف أو الزيادة أو النقص. ونتعامل مع القرآن في دراسته، من حيث تفسيرُه وقراءاتُه وأسبابُ نزول الآيات فيه، والناسخُ والمنسوخُ مما هو معلوم في علوم القرآن الكريم، مما يدور حوله ولا يدخل في صلب النص، من حيث ثباتُه من عدمه. وقد تتبع محمَّد حسين علي الصغير وقفات المستشرقين هذه وغيرها مع القرآن الكريم والدراسات القرآنية.[1]

هذا مع فئة من المستشرقين الأوائل الذين نظروا إلى الثقافة الإسلامية وطبَّقوا على دراستها معاييرهم النقدية. وهذا خطأ علمي منهجي كان يُتوقَّع أنْ يتخلَّص منه المستشرقون المتأخِّرون الذين يظهرون أنهم علميون جامعيون موسوعيون. ولكن نذير حمدان يفنِّد هذا بنفيه العلمية والجامعية والموسوعية عن الغالبية

= بن بشَّار، ثنا يحيى بن سعيد، ثنا سفيان حدَّثني عبد الأعلى وهو ابن عامر الثعلبي عن سعيد بن جبير عن ابن عبَّاس عن النبيّ ﷺ قال: من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوَّأ مقعده من النار». انظر: إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، الحافظ عماد الدين، أبو الفداء. تفسير القرآن العظيم. ـ ٤ مج. ـ بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ١ : ٥.

(١) انظر: محمَّد حسين الصغير. المستشرقون والدراسات القرآنية. ـ بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ص١٣٥.

العظمى من المستشرقين، حيث يقول في ردِّه على «ميكائيل أنجلو جويدي»:[(١)] «إنَّ السِّمات العلمية التحليلية التي طرحها الكاتب على الاستشراق لا تعبِّر عن أعمال المستشرقين عمومًا، وليست نتيجة لجهودهم المدرسية، فإنَّ الموسوعية والنموذجية والقياسية والجامعية سمات يندر أنْ تجتمع في بعضهم، إنْ لم نقل يستحيل أنْ تتوفَّر في أحدهم، وإنْ ظهر منهم أعلام لهم سمعتهم الثقافية المرموقة».[(٢)]

ومما يؤيِّد صعوبة الخروج كذلك من النظرة الغربية للفكر الإسلامي اللجوء إلى التعصُّب، والخروج بنتائج سالفة تُبنى عليها فيما بعد الأدلة، أي أنَّ الاستنتاج يُبنى قبل أنْ تحلَّل الوقائع والأحداث، فتطوَّع الوقائع والأحداث للاستنتاج المسبَّق على غرار ما كانت تقوم به دواوين التفتيش في العصور الوسطى. يقول محمَّد أسد: «... وعلى الجملة فإنَّ طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتَّبعها أكثر المستشرقين تذكِّرنا بوقائع دواوين التفتيش، تلك الدواوين التي أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية

---

(١) مايكل أنجلو جويدي (١٨٨٦ ـ ١٩٤٦م) مستشرق إيطالي، وهو ابن علَّامة المستشرقين إغناطيوس جويدي (١٨٤٤ ـ ١٩٣٥م)، تعلَّم العربية ودرس في إيطاليا ومصر، أكبَّ على كتابة تاريخ العرب، إلا أنه توفي قبل إكماله، وقد صدر الجزء الأوَّل منه سنة ١٩٥١م، وينتهي بوفاة الرسول محمَّد ﷺ، انظر: نجيب العقيقي. ـ المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ١: ٤٤١ ـ ٤٤٢.

(٢) انظر: نذير حمدان. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين. ـ ط ٢. ـ جدَّة: دار المنارة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م: ـ ص ٣٢.

لخصومها في العصور الوسطى، أي إنَّ تلك الطريقة لم يتَّفق لها أبدًا أنْ نظرت في القرائن التاريخية بتجرُّد، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متَّفق عليه من قبلُ قد أملاه عليها تعصُّبُها لرأيها. ويختار المستشرقون شعورهم حسب الاستنتاج الذي يقصدون إليه مبدئيًا». (١)

ويستحضر هنا النصُّ الذي طالما رَدَّدته في مثل هذه المناسبات، ذلك الذي قاله أبو الحسن الندْوي: «ومن دأب كثير من المستشرقين أنهم يعيِّنون لهم غايةً ويقرِّرون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يقومون لها بجمع معلومات ـ من كل رطب ويابس ـ ليس لها أيُّ علاقة بالموضوع، سواء من كتب الديانة والتاريخ، أو الأدب والشعر أو الرواية والقصص، أو المجون والفكاهة، وإنْ كانت هذه الموادُّ تافهةً لا قيمةَ لها، ويقدِّمونها بعد التمويه بكلِّ جرأة، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في نفوسهم وأذهانهم». (٢)

ويذكر حسين مؤنس «أنَّ المستشرق المعاصر جاستون

---

(١) انظر: محمَّد أسد. الإسلام على مفترق الطرق/ ترجمة عمر فرُّوخ. ـ بيروت، دار العلم للملايين. ـ ١٩٧٤م. ـ ص ٥٣.

(٢) انظر: أبو الحسن علي الحسني الندْوي. الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين: تقييم لكتابات المستشرقين، واستعراض لبحوث المؤلفين، المسلمين في الموضوعات الإسلامية. ـ ط ٣. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ص ١٦.

فييت[1] قد عرض تاريخ الإسلام في كتابه مجد الإسلام عن طريق صفحات مختارة من أقوال المؤرِّخين والكُتّاب المعاصرين لكلٍّ فترة من فترات تاريخ الإسلام والمسلمين. وعلى الرغم من ذلك فإنَّ كتاب مجد الإسلام ينضح بالحقد والطعن في الإسلام والمسلمين وتاريخهم، لأنَّ المؤلِّف جاستون فييت اختار فقط النصوصَ التي تتَّفق مع الاتِّجاه الذي اختاره هو سلفًا، وهو اتِّجاه يتَّسم بالعداء والكراهية للإسلام». [2]

الحكم من الواقع

من المستشرقين من استهوتهم الرحلة إلى عالم الشرق، فقضى أيامًا أو أشهُرًا في إحدى ديار المسلمين، ودرس أحوالهم على ما هم عليه من تخلُّف تركه لهم الاحتلال، وأعان عليه الجهلُ بالدين والحياة، ثم ظهر من ذلك بكتاب أو عدَّة مقالات تُنشر في دوريات علمية استشراقية. وجعل من هذا الواقع الذي عاينه مجالاً واسعًا للحكم على الإسلام

---

(١) جاستون فييت (١٨٨٧ ـ ١٩٧١م) مستشرق فرنسي تخرج باللغة العربية الفصحى، وأجاد بعض اللهجات العربية المحلية واللغة الفارسية والتركية، وكتب كثيرًا عن مصر الحاضرة، وترجم لبعض أدبائها المعاصرين. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ١: ٢٧٦ ـ ٢٨٠.

(٢) انظر: حسين مؤنس. كتاب مجد الإسلام لجاستون فييت. ـ في: محمَّد البهي. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤٥٧ ـ ٤٧١.

والمسلمين في ماضيهم وحاضرهم، وفي مختلف المواقع التي يعيشون عليها.

فإذا زار أحد المستشرقين مصر ـ مثلاً ـ ورأى ما فيها من عادات وتقاليد في المدن والأرياف لا تتَّفق بالضرورة مع روح الإسلام، بل إنها منافية للأحكام الإسلامية، جعل هذه التقاليد عامَّة على المسلمين، وإنْ يكن شيء منها ليس من الإسلام ولا يمارس في بلاد إسلامية أخرى.

وإذا زار مستشرق آخر مضربًا من مضارب البادية في جزيرة العرب ـ مثلاً ـ كتب عن هذه المضارب على أنها تمثِّل المجتمع المسلم كلَّه، وإنْ يكن من عادات أهل هذه المضارب ما لا يتَّفق بالضرورة مع الأحكام الإسلامية. والقاعدة عندنا أنَّ تصرُّفات العباد تُقاس بمدى تمسُّكهم بالإسلام، فالإسلام هو الحجَّة على الناس، وليس العكس.

والإنتاج العلمي في هذا المجال كثير تزخر به كتب الرحلات. ولعلَّ من قبيل التمثيل العودة إلى كتاب العقل المسلم للمستشرقة الأسترالية تساريس وادي، وهو كتاب وصفي لأوضاع المسلمين في الزمن الذي كانت فيه هذه الكاتبة تجوب بعض المجتمعات الإسلامية.[1]

---

(١) انظر: عبد الجليل شلَبي. صور استشراقية. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٠١ ـ ٢١٦.

ومثل ذلك الكتاب الذي ظهر به المستشرق الإنجليزي إدوارد وليم لين[1] بعنوان المصريون المحدَثون: شمائلهم وعاداتهم. وقد وقف معه عدلي طاهر نور في مجلَّة الرسالة وقفات نقدية طويلة.[2]

ومثل هذا الإنتاج الأدب الوصفي القائم على المشاهدات والانطباعات والخروج منها بأحكام عامة زمانًا ومكانًا من شأنها أنْ تقدِّم صورة غير دقيقة عن الإسلام والمسلمين، تبعد الآخرين عن تلمُّس الموضوعية في دين هو حجَّة على الناس، ويقاسون به بدلاً من أنْ يكونوا حجَّة عليه ويُقاس بهم. وسيفرد لذلك فصل مستقلٌّ في هذا الكتاب.

الخلاصة والنتيجة

يُتَّهم بعضٌ من المستشرقين بضعف أمانتهم العلمية، فيما يتعلَّق ببحوثهم ودراساتهم حول الإسلام والمسلمين. وتتَّضح

---

(١) إدوارد وليم لين (١٨٠١ ـ ١٨٧٦م) مستشرق إنجليزي نبغ في الرياضيات، وألمَّ بالعربية، ودرس حضارة قدماء المصريين، وقصد مصر، وألَّف كتابه بإنجلترا، وترجم كتاب ألف ليلة وليلة. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٢: ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) انظر: عدلي طاهر نور، المصريون المحدَثون: شمائلهم وعاداتهم، تأليف المستشرق الانجليزي إدوارد وليم لين ـ ١. الرسالة. ـ مج ٩، ع ٤٢٤ (٢٥/٧/١٣٦٠هـ ـ ١٨/٨/١٩٤١م). ـ ص ١٠٤٢ ـ ١٠٤٥، إلى مج ١١، ع ٥٠٦ (٩/٣/١٣٦٢هـ ـ ١٥/٣/١٩٤٣م). ـ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٦.

هذه التهمة من خلال استقراء الإنتاج العلمي لهؤلاء المستشرقين. إلا أنَّ الاستقراء والاستقصاء متعذِّران إذا ما أريدت الإحاطة التامَّة بالإنتاج العلمي للمستشرقين، بل الذي يظهر أنَّ أخذ عيِّنات من فئات ومدارس وأزمنة مختلفة للمستشرقين تدخل في حكم المتعذِّر على الباحثين الأفراد، ولذا يصعب التعميم الذي يطلقه بعض الباحثين العرب من وصف جميع المستشرقين بانتفاء الأمانة العلمية لديهم في استشهاداتهم المرجعية، وانتفاء التعميم يعني وجود حالات من انعدام الأمانة العلمية لدى بعض المستشرقين.

ولعلَّ مما ساعد على إطلاق هذا الاتِّهام بضعة عوامل من أهمِّها:

١ ـ انطلاق المستشرقين ابتداءً من الأديرة والكنائس، مما يؤكِّد الخلفية الدينية لظاهرة الاستشراق.

٢ ـ كون المستشرقين ينطلقون ثقافيًا من معتقدات لا تؤمن بالإسلام دينًا شاملاً لكل الأماكن والأزمنة.

٣ ـ الشعور المستمرُّ بالعداء بين الإسلام والديانات الاخرى، وأنَّ الإسلام يهدِّد وجود هذه الأديان ورعاتها.

٤ ـ اعتماد المستشرقين المتأخِّرين في مصادر معلوماتهم عن الإسلام والمسلمين على المستشرقين المتقدِّمين زمنيًا، ممن عُرف عنهم عداؤهم المفضوح للإسلام والمسلمين.

٥ ـ جهل معظم المستشرقين لغةَ الإسلام الأمّ وهي اللغة العربية، واللغات الأخرى التي يتحدث بها المسلمون غير العربية.

وتتبُّع هذه الحالات من أجل إثباتها بالشواهد الماديّة يحتاج إلى جهود علمية مضنية مؤسَّسية جماعية من أجل الخروج بحكم علمي موثَّق، قد يصل في النهاية إلى عدم الاكتراث بإسهامات المستشرقين في مجال الدراسات الإسلامية،(١) وليس بالضرورة في مجالات خدمة التراث الإسلامي من نواحٍ علمية أخرى، كحفظ المخطوطات وفهرستها، والأعمال «الخدمية» الأخرى التي لا تتعلَّق بالدراسة والتحليل والغوص في النصوص.

وليس في هذا محاولة لـتحريم النصوص الإسلامية من الوحي وغيره على الآخرين، فلا أحد يملك اليوم هذا التحريم عمليًا، ولكن المقصود هو دراسة وضع هذه الدراسات التي تنتفي فيها الأمانة العلمية، من حيث استخدامُها في مصادر الدراسات العلمية الجادّة.

ويظهر أنَّ الوصول إلى هذا الحكم متعذِّر الآن، ذلك أنَّ دراسات المستشرقين قد نالت قبولاً قويًا لدى الأوساط الثقافية العربية والإسلامية، وبدا تأثيرها واضحًا على الإنتاج العربي

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. أعمال المستشرقين مصدرًا من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين. ـ مرجع سابق. ـ ص ٥٥٩ ـ ٥٦٤.

والإسلامي، مما يحتاج إلى دراسات مستقلَّة تتتبَّع مدى هذا التأثير.

ويؤيِّد تعذُّر الوصول إلى حكم تعميمي على انتفاء الأمانة العلمية لدى المستشرقين في نقلهم من المصادر العربية عوامل عدَّة منها:

كثرة الإنتاج الفكري لدى المستشرقين.

تعدُّد الموضوعات التي طرقها المستشرقون داخل إطار الثقافة الإسلامية والعربية.

تعدُّد منابع الإنتاج الفكري لدى المستشرقين، بحيث يشمل الغرب كلَّه تقريبًا وأجزاءً من الشرق كذلك.

تعدُّد لغات الإنتاج الفكري التي كتب بها المستشرقون دراساتهم وأبحاثهم،

طول المدَّة الزمانية التي يدرسها المستشرقون، إذ إنها تمتدُّ من الجاهلية إلى الزمن الحاضر.

طول المدَّة الزمانية التي باشر فيها المستشرقون دراساتهم وأبحاثهم، فهي تمتدُّ من سنة ٧٢٠هـ/ ١٣١٢م أو قبل ذلك بكثير إلى الزمن الحاضر.

تعدُّد فئات المستشرقين، بحسب انتماءاتهم الدينية والفكرية، مما ينعكس على مدى موقفهم من الموضوعات الإسلامية التي يدرسونها.

تعدُّد المدارس الاستشراقية التي ينطلق منها المستشرقون، مما يؤثِّر في النظرة إلى الثقافة الإسلامية.

اختلاف الدوافع التي ينطلق منها المستشرقون، والأهداف التي يرمون إليها من خوضهم في الثقافة الإسلامية.

ويمكن علميًا ـ على ما يظهر ـ متابعة فرضية عدم الأمانة العلمية لدى المستشرقين في نقلهم من المصادر الإسلامية إذا ما ضُيِّقَتْ النظرة، بحيث تقتصر على إحدى الزوايا التالية من ظاهرة الاستشراق:

دراسة الإنتاج الفكري لمستشرقين محدَّدين من أعلام الاستشراق، وتتبُّع استشهاداتهم المرجعية.

دراسة مدرسة واحدة من مدارس الاستشراق، وتتبُّع استشهاداتها المرجعية.

دراسة فئة واحدة من فئات المستشرقين، وتتبُّعها في مدى دقَّتها في استشهاداتها المرجعية من المصادر الإسلامية.

دراسة حقبة زمانية من حقب الاستشراق التي مرَّ به وتتبُّع مدى عنايتها بالاستشهادات المرجعية من المصادر الإسلامية.

دراسة موضوع واحد من الموضوعات التي طرقها المستشرقون، وتتبُّع مدى اهتمامهم بالمصادر الإسلامية حول هذا الموضوع.

دراسة الإنتاج الفكري الاستشراقي بلغة بعينها، ومتابعة

مدى التزام هذه اللغة بالأمانة العلمية في الاستشهاد بالمصادر الإسلامية. والذي يبدو أنَّ دراسة الإنتاج الفكري الاستشراقي بلغة من لغات الاستشراق من الأمور المتعذِّرة علميًا، إلا إذا ربطت الدراسة بمتغيِّر آخر من أحد المتغيِّرات التي مرَّت، كالموضوع أو العَلَم أو الزمان.

ودون أخذ هذه المتغيِّرات في الحسبان يصعب الحكم السريع على ظاهرة الاستشراق من حيث مصادرُ المستشرقين بناءً على انطباعات مسبقة تقود إلى الأحكام التعميمية. والخروج بنتائج علمية قائمة على البرهان بالأدلة والشواهد كفيل بأنْ يضع هذه الظاهرة في موضعها الذي يليق بها في مجالات الإسهام في دراسة الإسلام دينًا وفكرًا.

الفصل الثالث

الاستشراق والمستشرقون
مصدراً عن الإسلام والمسلمين[1]

ثم غلا قومنا غلوًّا غير مستساغ في تمجيد المستشرقين والإشادة بذكرهم، والاستحذاء لهم، والاحتجاج بكلٍّ ما يصدر عنهم من رأي خطأ أو صواب، يتقلَّدونه ويدافعون عنه، ويجعلون قولهم فوق كلٍّ قول، وكلمتهم عالية على كل كلمة، إذ رأوهم أتقنوا صناعةً من الصناعات، صناعةَ تصحيح الكتب، فظنوا أنهم بلغوا فيما اشتغلوا به من علوم الإسلام الغاية، وأنهم اهتدوا إلى ما لم يهتدِ إليه أحدٌ من أساطين الإسلام وباحثيه، حتى في الدين، التفسير والحديث والفقه.

أبو الأشبال

أحمد محمَّد شاكر

(١) نُشر هذا الفصل في مجلَّة جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية. ـ ع ٧ (ربيع الآخر ١٤١٣هـ/ أكتوبر ١٩٩٢م). ـ ص ٥١٩ ـ ٥٦٣.

سبق القول إنَّ الاستشراق ظاهرة تمثِّل الاهتمام بعلوم الشرق بعامَّة وبعلوم المسلمين بخاصَّة، ولم يقتصر اهتمامها على العلوم فحسب، بل امتدَّ الاهتمام إلى الثقافة والآداب والعادات والتقاليد والأساطير ونحوها.

وقد كان لهذه الظاهرة في الآونة الأخيرة أثرُها في الدراسات الإسلامية، منذ بدأت حركة التأليف الجادَّة في المحيط العربي الحديث بعد الصحوة من سيطرة الاحتلال. فقد تنبَّه العرب والمسلمون على إسهامات المستشرقين في تراث المسلمين، وكان هذا التنبُّه قد جاء في وقت كان المسلمون فيه قد وصلوا إلى مرحلة خطيرة من التراجُع السياسي والاجتماعي والاقتصادي؛ نتيجة للبعد عن الدين نفسه في القول والفعل، مما أثَّر في جزء غير قليل منهم في ثقتهم بانتمائهم لهذا الدين.(١)

فكان أنْ انبهر جزء كبير منهم بهؤلاء المستشرقين وهم ينتمون إلى ثقافة غير الثقافة الإسلامية، فيتحدَّثون عن القرآن الكريم، وعن سيرة الرسول محمَّد ﷺ وسنَّته، وعن التاريخ

---

(١) انظر: علي عبدالحليم محمود. التراجُع الحضاري في العالم الإسلامي وطريق التغلُّب عليه. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. ـ ٤٥٦ص.

الإسلامي وسيَر رجاله، عائدين في توثيق أحاديثهم إلى أمَّهات الكتب والمصادر الإسلامية لعلوم المسلمين.[1]

ومع وصول المسلمين إلى مرحلة خطيرة من التقهقر كانت هناك فئة منهم تمسَّكت بدينها على أصوله الصحيحة. فلم يثق هؤلاء بالمستشرقين وهم يتحدَّثون عن الإسلام وتراث المسلمين، لأنَّ هذه الفئة المتنبِّهة أدركت أنه لن يخدم الإسلام والمسلمين إلا أهلُ الإسلام وأبناءُ المسلمين، وبنت هذا الإدراك على استقراء آيات القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة]، وعلى استقراء التاريخ ومواقف اليهود والنصارى من الإسلام والمسلمين، منذ بعثة محمَّد ﷺ، فقد بدأت السبئية تضرب أطنابها في المجتمع المسلم منذ سنيه الأولى.[2] وقد عُرف في التاريخ الموثَّق أنَّ اليهود سمّوا الرسول ﷺ[3] وأنَّ لهم

---

(١) نؤكِّد دائمًا للطلبة الدارسين لمصادر التراث بالأقسام العلمية، وفي كلِّ مقام أنَّ القرآن الكريم وسنَّة المصطفى ﷺ ليست من التراث؛ لأنه لا ينطبق عليها ما ينطبق على مفهوم التراث من المراجعة والأخذ والردِّ والنقد، ونحوها مما لا يصدق على كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ.

(٢) نسبة إلى عبد الله بن سبأ. وستأتي إشارة إلى هذا التوجُّه في ما يلي من الصفحات.

(٣) وكان هذا في خيبر. وسيأتي الحديث عن هذه الحادثة في ما يلي من الصفحات.

ضلعًا في فتنة مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ وأنَّ كيدهم استمرَّ مع استمرار هذا الدين، مما يوحي بالاستمرار في هذا الخبث؛ لأنَّ هذا الدين مستمرٌّ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩].

ولم يكن موقف النصارى من الإسلام والمسلمين بأقلَّ من موقف اليهود خُبثًا، وإنْ لم يبدُ هذا ظاهرًا، إلا إبَّان الحروب الصليبية التي امتدَّت مئتي سنة من سنة ٤٩١ ـ ٦٩٠هـ الموافق ١٠٩٨ ـ ١٢٩١م.[١]

فكان أنْ عدَّ هؤلاء المنتبهون من المسلمين إسهاماتِ بعض المستشرقين داخلة في هذا الصراع، إذ أدركوا أنَّ هذا المستشرق أو ذاك ممن يتحدَّث عن الإسلام والمسلمين قد نشأ وتربَّى على هذه الخلفية المعادية للإسلام والمسلمين، فعرَّفوا المستشرق على أنه «أعجمي ناشئ في لسان أمّته وتعليم بلاده، ومغروس في آدابها وثقافتها (ألماني أو إنجليزي أو فرنسي)، متى استوى رجلاً في العشرين من عمره أو الخامسة والعشرين فهو قادر، أو مفترض أنه قادر تمام القدرة على التفكير والنظر، ومؤهل، أو مفترض أنه مؤهل أنْ ينزل في ثقافته ميدان «المنهج» و«ما قبل المنهج» بقدم ثابتة. نعم، هذا ممكن أنْ يكون كذلك. ولكن هذا الفتى يتحوَّل فجأة عن سلوك هذا الطريق ليبدأ في تعلُّم لغة

---

(١) انظر: سعيد عاشور. الحركة الصليبية. ـ مرجع سابق. ـ ٢: ١١٢٦.

أخرى،[1] مفارقة كل المفارقة للِّسان الذي نشأ فيه صغيرًا، ولثقافته التي ارتضع لبانها يافعًا «يدخل قسم» اللغات الشرقية في جامعة من جامعات الأعاجم، فيبتدئ تعلُّم ألف باء تاء ثاء، أو أبجد هوَّز في العربية، ويتلقَّى العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها وسائر آدابها وتواريخها من أعجمي مثله، وبلسان غير عربي، ثم يستمع إلى محاضرين في آداب العرب أو أشعارها أو تاريخها أو دينها أو سياستها بلسان غير عربي، ويقضي في ذلك بضع سنوات قلائل، ثم يتخرَّج لنا «مستشرقًا» يُفتي في اللسان العربي والتاريخ العربي والدين العربي».[2]

فهو هنا يتحدَّث عن ثقافة لا يؤمن بها ولا يُتقن لغتها، ولا يعمل بها، ولا ينتمي إليها، وتلك هي أعمدة الثقافة الثلاثة وأركانها (الإيمان والعمل والانتماء)، لا يكون لها وجود ظاهر إلا بها.[3]

---

(١) ويصدق هذا على بعض المستشرقين اليهود الذين بدأوا رحلتهم بدراسة العبرانية، ثم توسَّعوا لدراسة اللغات الساميّة، فوجدوا منها العربية أكثرها حيوية وتراثًا ومتحدِّثين، فانعطفوا عليها يدرسونها ويدرسون تراثها وأهله؛ قصدًا إلى إيجاد الثغرات فيه، مما يوحي بالامتداد في الكيد للإسلام وأهله. ولعل إمام هؤلاء المستشرق المجري إجناس جولدتسيهر، حيث مرَّ بهذه المراحل حتى استقرَّ به المقام أنْ يكون علمًا من أعلام المستشرقين. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٣: ٤٠ ـ ٤٢.

(٢) انظر: محمود محمَّد شاكر. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. ـ مرجع سابق. ـ ص ٩٩ ـ ١٠٠.

(٣) نقلاً عن محمود محمَّد شاكر في رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. ـ المرجع السابق. ـ ص ٩٨. وانظر: عبدالعظيم محمود الديب. المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي. ـ الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، ١٤١١هـ. ـ ص ٧٣. ـ (سلسلة كتاب الأمّة؛ ٢٧).

وبين هذين الموقفين كان أخذٌ وردٌّ وهجوم ودفاع وتكريم وتشهير، حتى تخطَّى الإنتاج الفكري في هذا المجال أكثر من أربعة آلاف (٤،٠٠٠) عمل بين كتاب ومقالة ومحاضرة وحديث في المجلاَّت الثقافية السيَّارة في اللغة العربية فقط.[(١)]

ولم يتَّفق المثقَّفون العرب والكاتبون بالعربية من غير العرب على تحديد موقف إزاء هذه الظاهرة، فكان أنْ أوصلها البعض إلى علم له نظريته ومنهجه، وله وصفه وأهدافه وغاياته، وأوقفها البعض عند مجرَّد الظاهرة المؤثِّرة في المجتمع المسلم المثقَّف وغير المثقَّف، مثله في هذا مثل التنصير والاحتلال، فجعلها معْولاً من معاول الهدم وجناحًا من أجنحة المكر.[(٢)]

ولم يتَّفق المثقَّفون العرب والكاتبون بالعربية من غير العرب على تعريف لمفهوم الاستشراق، كما لم يتَّفقوا على بداياته

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق والمستشرقون في الأدبيات العربية. ـ مرجع سابق. ـ وقد جرى تحديث هذا العمل فظهر في خمسة كتب عن نقد الاستشراق والاستشراق والإسلام والاستشراق والقرآن الكريم والاستشراق والسنَّة والسيرة والاستشراق وعلوم المسلمين.

(٢) انظر: عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير ـ الاستشراق ـ الاستعمار: دراسة وتحليل وتوجيه. ـ مرجع سابق. ـ وانظر إسهامات أنور الجندي، مثل الإسلام في وجه التغريب: مخططات التبشير والاستشراق، وسموم الاستشراق في العلوم الإسلامية، والشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، وشبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي.

الأولى. فهناك أربعة مفهومات حول الاستشراق تبدأ من المفهوم الأعمِّ إلى المفهوم الأخصِّ، كما أنَّ هناك أكثرَ من اثني عشر رأيًا حول انطلاقة الاستشراق وبداياته.

فالتعريف الأعمُّ للاستشراق هو دراسة الشرق في ثقافاته ومعتقداته وآدابه وعاداته وتقاليده وأساطيره وتاريخه من قِبل علماء ومؤسَّسات علمية غربية،[١] وبين الأعمِّ والأخصِّ عامٌّ وخاصٌّ. والتعريف الأخصُّ هو دراسة العلوم الإسلامية وآداب المسلمين وعقائدهم وثقافاتهم وتراثهم وأساطيرهم من علماء غير مسلمين ومؤسَّسات علمية غير مسلمة.

وواضح أنَّ هذا التعريف الأخصَّ يُخرج أولئك الذين يدرسون ثقافة شرقية غير إسلامية، كما يُدخل أولئك العرب غير المسلمين ممن لهم إسهامات مباشرة في علوم المسلمين. ومثل هذا التعريف يُحدث شيئًا من اللُّبس والقلق والاضطراب ناتجٍ عن غموض فكرة الاستشراق نفسها.

والبدايات الأولى للاستشراق عند الباحثين العرب والباحثين بالعربية من غير العرب تختلف إلى مدًى قد يصل إلى أكثر من سبع مئة (٧٠٠) سنة. فالبداية عند البعض تعود إلى غزوة مؤتة

---

(١) انظر: رودي بارت. الدراسات الإسلامية في الجامعة الألمانية. ـ مرجع سابق. ـ ص ١١.

على عهد النبيّ ﷺ[1] وهي عند البعض من علماء المسلمين ومثقفيهم تبدأ رسميًا سنة ١٣١٢ ميلادية مع صدور قرار مَجْمَع فينّا الكنسي بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية وغيرها من اللغات في عدد من الجامعات الأوروبية.[2] وبين تلك وهذه يبرز العالم النصراني يوحنا الدمشقي،[3] الذي كتب لإخوانه في النصرانية ـ مما كتب ـ كتاب محاورة مع مسلم وكتاب إرشاد النصارى في جدل المسلمين. وكان هذا في القرن الأول الهجري/ نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الميلاديين.[4]

ولست بصدد التوسُّع في هذه الوقفات، فليرجع إليها في مظانّها، ولكنها على أيِّ حال تفتح لنا المجال لنغوص في الإسهامات نفسها؛ لنرى مدى المنهجية في التعامُل مع الثقافة الإسلامية والتراث الإسلامي من هذه الفئة التي لم تقتصر إسهاماتها على التراث فحسب، بل هي لا تزال تبحث في الواقع

---

(١) ومؤتة قرية من أرض البلقاء بالشام. وكانت الغزوة في جمادي الأولى سنة ثمانٍ للهجرة، وقابل فيها المسلمون الروم، وهي التي تعدُّ الانطلاقة العملية الأولى للمسلمين خارج الجزيرة العربية. انظر: عبد السلام هارون. تهذيب سيرة ابن هشام. ـ ط ٣. ـ د. م: المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٩٦هـ. ـ ص ٢٧٠.

(٢) انظر: إدوارد سعيد، الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٨٠.

(٣) يوحنا الدمشقي، معلّم الكنيسة، ألَّف في اللاهوت والفلسفة والخطابة والتاريخ والشعر، انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ١ : ٧٢.

(٤) انظر: نجيب العقيقي المستشرقون. ـ المرجع السابق. ـ ١ : ٧٢.

الذي نعيشه اليوم، وتقدِّم حوله الدراسات التي يعتمد عليها في القرار السياسي والعسكري والاقتصادي والعلمي. ويتحمَّل المستشرقون غير يسير مما وصلت الحال إليه اليوم فيما قبل الأزمات التي عصفت بالمنطقة وما بعدها.[1] بل إنه يظهر رأى أنَّ لهم قصبَ السبق في توجيه دفَّة تلك القرارات.[2]

وكما اختُلف في المفهوم والبدايات اختُلف كذلك في الدوافع والغايات، ويؤكِّد أحد الباحثين أنَّ الدوافع والأهداف مهما اختلفت وتنوَّعت فإنها لا تخرج عن غايتين يمكن تلخيصهما بأنهما حماية الإنسان الغربي من أنْ يرى نور الإسلام، فيؤمن به ويحمل رايته أولاً، ثم معرفة الشرق ودراسة

---

(١) المقصود هنا الأزمة التي نتجت عن غزو العراق للكويت في ١١/ ١/ ١٤١١هـ ٢/ ٨/ ١٩٩٠م، ثمَّ أحداث يوم الثلاثاء ٢٢/ ٦/ ١٤٢٢هـ الموافق ١١/ ٩/ ٢٠٠١م، ثم احتلال العراق وأفغانستان، بالإضافة إلى القضية الفلسطينية التي يظهر أنها مستعصية، وقد لا تكون كذلك.

(٢) شاع الآن أنَّ بعض مراكز الدراسات العربية والإسلامية في الولايات المتَّحدة الأمريكية وكندا وأوروبا، ضمن عدد من مراكز البحوث والدراسات الإستراتيجية، مدعومة من قبل وكالات الاستخبارات، وأنها تُستأجر في إجراء دراسات حول الأوضاع الراهنة في المنطقة. وهناك وثائق تؤيِّد هذا صدرت عن بعض رؤساء هذه المراكز، التي تدرس المجتمع الإسلامي المعاصر، وتنظر إلى التغييرات التي يعيشها المجتمع، وترتكز على منبع هذه التغييرات وتوصي بمواجهتها، إنْ بدا منها ما يهدِّد مصلحة الوجود الأجنبي في المنطقة. وأهمُّ هذه التغييرات متابعة الصحوة أو الإحيائية وأثرها على القرار السياسي. والمركز التابع لجامعة هارفرد في الولايات المتحدة الأمريكية مثال على ذلك.

أرضه ومياهه وطقسه وجغرافيَّته ورجاله وتراثه؛ قصدًا إلى الوصول إليه ثانيًا.[1]

وهناك من يفصِّل في الدوافع والغايات فيوزِّعها إلى سياسية وتنصيرية واحتلالية وتجارية وعلمية، والعلمية، إما نزيهة وإما مشبوهة. بل إنَّ هناك من يفرِّق بين الدوافع والأهداف، فيعطي لكلٍ عواملها المستقلة.

ولكنَّ المستشرقين لن يصلوا إلى هذا الشرق ما دام قد تمثَّل الثقافة بأعمدتها الثلاثة، الإيمان والعمل والانتماء، فكان لا بدَّ من السعي إلى زعزعة هذه الأركان الثلاثة أو بعضها، بحيث تصبح الثقافة «مجرَّد معلومات ومعارف وأقوال مطروحة في الطريق متفكِّكة لا يجمع بينها جامع ولا يقوم لها تماسُك ولا ترابُط ولا تشابُك».[2]

ويمكن أنْ تتزعزع هذه الأركان الثلاثة عندما يتمكَّن الاستشراق من إبعاد سلطان الدين عن النفوس. وتلك محاولة

---

(١) انظر: عبد العظيم محمود الديب. المنهج في كتابات الغربيين. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٨ ـ ٣٩. وينبغي التنويه هنا إلى أنَّ هذه الوقفة إنما هي عالة على هذا الكتاب وكتاب آخر للمؤلف نفسه من المستشرقين والتراث سيأتي بيانه. ورغم إثباتهما في أكثر من موضع إلا أنه من المهم التوكيد على أنَّ الفكرة والمعلومات مستقاة منهما ثم من المراجع المساندة الأخرى.

(٢) انظر: عبد العظيم محمود الديب. المنهج في كتابات الغربيين. ـ المرجع السابق. ـ ص ٧٢.

صرَّح بها هاملتون جب في كتابه وجهة الإسلام،[١] حيث يقول عن العمل الاستشراقي: «كانت النتيجة الخالصة لهذه الحركة التعليمية (على الطريقة الغربية) أنها حرَّرت ـ بقدْر ما كان لها من التأثير ـ نزعة الشعوب الإسلامية من سلطان الدين، دون أنْ تحسَّ الشعوب بذلك غالبًا، وهذا تقريبًا هو جوهر كل نزعة غربية فعَّالة في العالم الإسلامي».[٢] ويقول كذلك في الكتاب نفسه: «تحاول الدراسات الاستشراقية الحديثة التركيز على أهمية القوانين الوضعية وتطبيقها على المسلمين، بدلاً من شريعة القرآن».[٣]

ولا يستطيع المستشرقون ـ أو غيرهم ـ أنْ ينزعوا العلم من صدور الناس، كما لا يستطيعون إبعاد سلطان الدين عن النفوس إلا بتقويض الأعمدة الثلاثة للثقافة. فنحن ندرك أنَّ التحوُّل لا يكون سريعًا، ولكن العلم يتضاءل من الصدور، فيكثر الخلط والجهل، وتهتزُّ الثقة، فيكون البحث عن البديل، فيخرج في

---

(١) ذكر نجيب العقيقي في المستشرقون. ـ (٢/ ١٣٠) أنَّ من كتبه «الاتجاهات الحديثة في الإسلام» وهو خير كتبه، وقد كلَّف مجموعة من المستشرقين بالكتابة فيه، واكتفى منه بالمقدمة والخاتمة.

(٢) انظر: عابد بن محمَّد السفياني. المستشرقون ومن تابعهم ومواقفهم من ثبات الشريعة وشمولها: دراسة وتطبيقًا. ـ مكَّة المكرَّمة، مكتبة المنارة، ١٤٠٨هـ. ـ ص ١.

(٣) نقلاً عن: عابد بن محمَّد السفياني. المستشرقون ومن تابعهم ومواقفهم من ثبات الشريعة وشمولها. ـ المرجع السابق. ـ ص ١.

الأمَّة من يتمثَّل فيه ذلك، فيدعو إلى نبذ الماضي، وإعادة التشكيل الثقافي وفق النمط الغربي، والتقليل من قيمة الميراث الثقافي أو قراءته بأبجدية النسق الغربي،(١) وإنْ لم يكن ذلك ممكنًا فلا بأس من الانتقاء من التراث الديني والأدبي والثقافي نقاطًا تهزُّ الثقة، مرَّت عبر التاريخ الحافل، بكل شيء حسن في معظمه، سيّئ في بعض مواضع منه، ولا بأس من وأد اللغة الأمّ وجعلها مقصورة على المعابد، وجعل لغات أخرى هي لغة المعاهد، فالفرنسية في المغرب، والإنجليزية في المشرق، وربما الروسية بينهما، حتى تصل لغة المعابد إلى مستوى غير مفهومة فيها، خاضعة للترديد دون إدراك للمعنى، مع إدخال اللهجات فيها ليتمَّ إحلالُها محلَّها، فتتفكَّك الرابطة، ويصبح العربي في بلاده وأهله غريب اليد واللسان، وإنْ لم يكن غريب الوجه، ويصبح لزامًا عليه أنْ يسير مع الركب وإلا صدقت عليه ادِّعاءات التخلُّف والرجعيّة والماضوية والتقوقع على الذات، دون الإفادة من الثقافات الأخرى المحيطة بالمجتمع المسلم قديمِهِ وحديثِهِ.

فيؤدِّي الخوف من الوصم بالتخلُّف والرجعية والتقوقع إلى أنْ يتبنَّى بعض أبناء المسلمين الثقافات الغريبة عليهم وعلى مجتمعهم. واستدعى هذا التبنِّي محاولة الانسلاخ من الماضي

---

(١) انظر: عمر عبيد أبو حسنة. في مقدِّمة كتاب عبد العظيم محمود الديب. المنهج في كتابات الغربيين. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٨.

بإهانته والتقليل من شأنه وحصر آثاره على الوقت الذي ظهرت فيه هذه الآثار دون امتداد إلى المستقبل، مما يستدعي ـ في نظر هؤلاء المنبهرين بالثقافة الغربية ـ السير في «ثقافة عالمية معولمة» قادمة من الغرب أو من الشرق.(١)

وتلك ربما تكون نتيجة من نتائج إبعاد سلطان الدين من النفوس التي تأتي نتيجة من نتائج الفعل الاستشراقي.

وإذا سلَّمنا بأنَّ العلم والثقافة لا تُنتزع من الصدور انتزاعًا ـ ونحن مسلِّمون بهذا ـ سلَّمنا بأنَّ الوقت عامل مهمٌّ في تحقيق ذلك، ومع الوقت تأتي الجهود في تحقيق الهدف أو الغاية الثانية التي مرَّ ذكرها آنفًا، وذلك أنها تسعى في النهاية إلى السيطرة على هذا الشرق سيطرةً قد لا تكون بالضرورة مباشرة. وهذا متحقِّق إذا ما نُزع العلم من الصدور.(٢)

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشناء الثقافي في مواجهة العولمة/ ثنائية الخصوصية والعولمة. ـ الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٥٠ ص.

(٢) وهذا مستوحًى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله لا ينزع العلم من الناس بعد أن يعطيهم إياه، ولكن يذهب بالعلماء. وكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم، فيتَّخذ الناس رؤساء جهَّالاً فيستفتوا فيَفتوا بغير علم فيَضلُّوا ويُضلُّوا». انظر أحمد عبد الرحمن البنّا. الفتح الربَّاني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الربّاني. ـ ٢٤ ج. ـ القاهرة: دار الشبهات، د. ت. ـ ١: ١٨١.

ومن أبرز الجهود على الساحة العلمية والثقافية والإسلامية اليوم قبل الأمس ولوج المستشرقين التراث، والكتابة عنه دراسةً وتحقيقًا ونشرًا وتبويبًا وتصنيفًا وتكشيفًا، حيث وصلت مؤلَّفاتهم في مدَّة مئة وخمسين (١٥٠) سنة (١٨٠٠ ـ ١٩٥٠م) إلى ما يربو على ستِّين ألفًا (٦٠,٠٠٠) بين كتاب ومقالة في الفلسفة والتاريخ والتصوُّف وتاريخ الأدب واللغة العربية.[1]

ونحن بحاجة اليوم إلى إحصاء ما نشروه في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي.[2] وهو عمل أسهل بكثير من إحصاء الناتج الفكري في المدَّة السابقة، حيث تطوَّرت أدوات الحصر الوراقي (الببليوجرافي)، وانتشرت المعرفة بحكم تقنية نقل المعلومات.[3]

ويضاف إلى هذا إصدار أكثر من خمس مئة (٥٠٠) دورية

---

(١) انظر: عبد العظيم الديب، المنهج في كتابات الغربيين. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٨.

(٢) انظر مناقشة هذه الفكرة عند عبد السّتار الحلوجي. المستشرقون، والعمل الببليوجرافي. ـ في: دراسات في الكتب والمكتبات. جدّة: مكتبة مصباح، ١٤٠٨هـ. ـ ص ١٢١ ـ ١٢٩.

(٣) ويقوم معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت بحصر وراقي «ببليوجرافي» لكل ما كتب عن الإسلام بالألمانية. وقد ظهر من هذا العمل الضخم، مجموعة من الأجزاء أشرف عليها الأستاذ فؤاد سزكين مدير المعهد.

ذات علاقة بالاستشراق، وإصدار أكثر من ثلاث مئة (٣٠٠) دورية متخصِّصة به.[١] ومنها ما يحمل عنوانات لها جاذبية للمسلمين أنفسِهم. أما المعاهد والمراكز التي تهتمُّ بالاستشراق والدراسات العربية والإسلامية فهي اليوم تعدُّ بالمئات، في آسيا وأوروبا وأستراليا وأمريكا.[٢]

ونحن بحاجة إلى مزيد من التقويم الموضوعي لهذه المعاهد من خلال إسهاماتها، إذ لا يكفي أنْ نتَّخذ موقف المدافع الذي يترقَّب سهمًا فيحتمي دونه، أو رصاصة فيهرب منها، أو صاروخًا فيطلق عليه آخر مضادًّا له! أو ندافع عنها ونرى أنها تقدِّم خدمات جليلة لثقافتنا، دون أنْ ندرك مدى ارتباطاتها بجهات لا تخدم ثقافتنا، بقدر ما تخدم مشروعات

---

(١) انظر: عمر عبيد أبو حسنة: في تقديمه لكتاب عبد العظيم الديب. المنهج في كتابات المستشرقين. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٢.

(٢) انظر مثلاً: رودي بارت. الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية. ـ مرجع سابق، وإسهامات أخرى فيما يتعلَّق بالروسية والإنجليزية. ولعل آخر ما صدر في هذا المجال الحصر الذي قامت به الملحقية الثقافية السعودية في واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث حصرت عدد المعاهد والمراكز المهتمة بالدراسات العربية والإسلامية في كل من كندا والولايات المتحدة الأمريكية فأوصلتها إلى مئة وثلاثين (١٣٠) مركزًا وقسمًا. انظر سفارة المملكة العربية السعودية، الملحقية الثقافية بواشنطن. دليل برامج الدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية بالجامعات الأمريكية. ـ واشنطن: السفارة، الملحقية، ١٤١١هـ. ـ ٢٦٨ص.

الهيمنة على الشرق عمومًا، وعلى منطقتنا على وجه الخصوص.

ولكننا في الحقِّ لا ندري كيف نبدأ. هل نبدأ بتصحيح الأخطاء التي وقع فيها كثير من المستشرقين عمدًا أو عن غير قصد؟ إذًا لا نكون قد خرجنا عن موقف الدفاع. هل نتهجَّم على المستشرقين عمومًا، ونطلق عليهم عبارات بعيدة عن الروح العلمية القادرة على المواجهة والإقناع؟ إذًا نحن نغالط أنفسنا، لأنَّ القوم مستمرُّون في طريقهم، ولا تصلهم رشقاتنا. هل نفتح بابًا للحوار المباشر، وننشر لهم أعمالهم ونعقد المؤتمرات معهم في ديارهم وفي ديارنا؟ وهنا نقف عاجزين إذا ما قابلناهم بالشعور أنهم متفوِّقون علينا، وتكون نظراتنا لهم نظرات المستجدي الذي يطلب من الطرف المتفوِّق عليه الاستماع لما لديه، وليس فقط الاستماع له من طرف واحد.

وهنا تبرز أمامنا مشكلة الثقة، كما تبرز أمامنا مشاعر مختلطة قوامها أنَّ القوم ضدُّنا، فهم يريدون التأثير علينا لا التأثُّر بنا.(١) ويبدو أنَّ المجال هنا غير محدَّد في مدى السماع منهم ولهم، ويبدو أنَّ معظمهم قد حدَّدوا موقفهم منا، فيقرِّبون منا من يسير على نهجهم ويبدو عليه تأثيرهم، كما يبدو عليه شيء

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. مجالات التأثُّر والتأثير بين الثقافات. ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ١٧٩ ص.

من القدرة على أنْ يسهم في هذا النهج، ليس في جميع الأحوال، ولكن في غالبها.(١)

ولذا نراهم أبعدوا من دائرتهم ذلك الباحث الذي كتب رسالة الماجستير عن أمَّهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ كتابة إسلامية، فلم يتيحوا له الاستمرار في الدراسة ناصحين إياه أنْ يتوجَّه إلى (الأزهر) إذا كان سينظر إلى موضوعات الدراسة هذه النظرة.(٢) وكانوا يتوقَّعون منه أنْ يسهم في طرحٍ يغيِّر فيه النظرة ـ ولو قليلاً ـ حول زوجات الرسول ﷺ أمَّهات المؤمنين؛ وبخاصَّة منهن من كان لها التأثير القوي على المجتمع المسلم إلى اليوم مثل خديجة بنت خويلد وعائشة بنت أبي بكر الصدّيق ـ رضي الله عنهما ـ ومن كان لهن إسهام في رواية الحديث، فما استطاعوا أنْ يُمْلوا على الباحث الكفيف وجهة نظرهم في هذا المجال. ولم يستطيعوا تشكيله ثقافيًا في ضوء رؤيتهم المحدودة، ولم يتمكَّنوا من أنْ يُمْلوا عليه وجهة نظرهم بشكل أو بآخر.

---

(١) يسعى معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت بألمانيا إلى تحقيق هذه النظرة. كما أنَّ هناك جهودًا بدأت سنة ١٤١١هـ، تحاول إقامة مؤسَّسة علمية في ألمانيا أيضًا تسعى إلى قيام حوار مباشر مع المستشرقين، وهي في خطواتها الأولى، ولا يدرى مدى قدرتها على الوقوف على قدميها إذا لم تكن رؤيتها واضحة فتلقى الدعم والتشجيع المعنوي والمادي والمتابعة من قبل المهتمين بمثل هذه الجهود.

(٢) Farouq Mohamed El-Zayat. Mutter des Glaubigen. Munchen: HKD Bavaria - Handels Verlogs, (1982), 109 s.

وهنا يقول عمر عبيد أبو حسنة: «لقد اهتمَّ المستشرقون بالتشكيل الثقافي للأمَّة المسلمة في ضوء رؤية معيَّنة، وخطَّة مدروسة، لذلك ولجوا جميع الميادين، وحاولوا الوصول والتحكُّم بالموارد الثقافية كلِّها، وبحثوا ونقَّبوا وأثبتوا وجهة نظرهم، وتفسيرهم في الكثير من القضايا المعرفية إلى درجة يمكن معها القول بأنَّ الاستشراق استطاع أنْ يُملي على الكثير منا وجهة نظره في مجالات متعدِّدة بشكل أو بآخر، وإنْ كان مدى التأثير يختلف من شخص إلى آخر».(١) ولعلَّ صاحبنا الزيَّات هنا لم يخضع لهذا التشكيل.

وإذا لم يوفَّقوا إلى كثير من التلاميذ العرب والمسلمين فإنَّ هذا يُعدُّ عندهم هدفًا ثانويًا،(٢) وإنْ كان يدخل ـ أيضًا ـ في الغاية الثانية المذكورة سلفًا، ومع هذا فالأدبيات حول الاستشراق تتحدَّث عن التلاميذ وتذكِّرهم بالأسماء، وتبيِّن مدى تأثُّرهم بأساتيذهم من المستشرقين.(٣)

---

(١) انظر: عمر عبيد أبو حسنة: في تقديمه لكتاب عبد العظيم الديب. المنهج في كتابات المستشرقين. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٧.

(٢) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ الصفحات الأخيرة.

(٣) انظر مثلاً: محمَّد الغزالي. دفاع من العقيدة والشريعة ضدَّ مطاعن المستشرقين. ـ القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٥م. ـ ص ٨. وانظر ايضًا: محمَّد أحمد دياب. أضواء على الاستشراق والمستشرقين. ـ القاهرة: دار المنار، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م. ـ ص ١٤٧ ـ ١٥٩. وقد ركَّزت كثير من الإسهامات على أبرز التلاميذ، ويبدو أنَّ الأمر ليس مقصورًا عليهم وحدهم فحسب، فالتلاميذ كثر، البارز منهم وغيره.

وإذ لم يوفَّقوا إلى كثير من التلاميذ العرب والمسلمين فقد نجحوا في التأثير على مجتمعاتهم فيما يتعلَّق بالنظرة إلى الإسلام وإلى نظام الإسلام في الحياة. وكان التأثير منطلقًا للنظرة إلى المجتمع المسلم المعاصر، حيث يبرز تأثُّر المثقَّفين العرب تأثُّرًا غيرَ مباشر بهؤلاء المستشرقين، وإنَّما التأثُّر ينصبُّ على الأفكار التي جاء بها المستشرقون فساحت وانتشرت آخذةً سبلاً وقنواتٍ عدَّة في هذا التأثير، وكان هذا أسهل بكثير من التلقي المباشر لهذه الأفكار على أيدي المستشرقين وفي معاهدهم، فكان أنْ أسهموا في الفجوة بين المسلم وثقافته. وهذا واضح في كثير من الإسهامات التي اعتمدت على دراسات بعض المستشرقين مراجعَ لها في مادَّتها العلمية.

وذكرُ أسماء مؤلَّفات بعينها متأثِّرة بهذه الدراسات قد يعني الحصر أو يوحي به، والحصر غير ممكن. وبالإمكان إعادة قراءة إسهامات طه حسين في الشعر الجاهلي وفي السيرة والخلفاء الراشدين والوعد الحق، وإسهامات أحمد أمين في فجر الإسلام وضحاه وظهره ويومه، وغيرها كثير جدًا إلى أنْ نصل إلى الأكثر منها سطحية مع بروزه ـ سياسيًا ـ على الساحة وهو إسهام الكاتب المسلم الأصل الهندي المولد البريطاني الجنسية سلمان رشدي في روايته آيات شيطانية. فهذا نموذج بارز وواضح التأثُّر، وإن كان التأثُّر قد صيغ بشكل غالٍ جدًا، ولكنه يذكِّر دائمًا بأعمال المستشرق البريطاني مونتجمري وات عن النبيّ ﷺ

محمَّد في مكَّة ومحمّد في المدينة ومحمّد النبيّ القائد. بل ربما ذهب الزعم ـ كما مرَّ في الفصل الأوَّل من هذا الكتاب ـ إلى حدّ أنَّ عنوان الرواية نفسَه مستقًى من فصل من فصول كتاب محمَّد في مكَّة، إذ يأتي الفصل الخامس من الكتاب متحدِّثًا عن تنامي المعارضة للرسول ﷺ، وكل فصل من الكتاب مقسَّم إلى مباحث، والمبحث الأوَّل من الفصل الخامس يركِّز على بدايات المعارضة The Beginning of Opposition وفي هذا المبحث مما يتبع العنوان عبارة هي نفسها عنوان الرواية The Satanic Verses. ويتحدَّث فيها مونتجمري وات عن قصَّة الغرانيق.(١)

أسئلة البحث

حيث فشا الاعتماد على إسهامات المستشرقين في مجالات

---

(١) W. Montgomery Watt. Muhammad at Mecca. Karachi. Oxford University Press, 1979, p:100 - 109. وقد تصدَّى للوقوف على هذا العمل مجموعة من المؤلِّفين المسلمين، وبيّنوا ارتباطه بالغايتين اللتين ورد ذكرهما آنفًا. انظر مثلاً: فهمي الشنّاوي. من وراء سلمان رشدي: أسرار المؤامرة على الإسلام، . القاهرة: المختار الإسلامي، د. ت. ـ ٦٣ ص. ومحمّد يحيى. الآيات الشيطانية: الظاهرة والتفسير. ـ القاهرة: المختار الإسلامي، د.ت. ـ ١٠١ ص، ورفعت سيد أحمد. آيات شيطانية: جدلية الصراع بين الإسلام والغرب. ـ القاهرة: الدار الشرقية، ١٤٠٩هـ. ـ ١٩٦ ص، وأحمد ديدات. شيطانية الآيات الشيطانية وكيف خدع سلمان رشدي الغرب/ نقله إلى العربية وقدَّم له علي الجوهري. ـ القاهرة: دار الفضيلة، (١٩٩٠م). ـ ١١٢ ص.

عدَّة، كالدراسات والتحقيق والنشر والتكشيف والفهرسة، فإنَّ أسئلة البحث هنا هي:

ما مدى الاعتماد على هذه الإسهامات في الكتابة عن الإسلام والمسلمين؟

ما مدى علمية إسهامات المستشرقين في الحديث عن الثقافة الإسلامية؟

هل يمكن الاعتماد على هذه الإسهامات مصدرًا موثوقًا من مصادر المعلومات عن الإسلام وعن تراث المسلمين؟

هل تكتسب الأعمال العلمية التي يقوم بها باحثون مسلمون علميةً أكثر إذا ما اقتبست من أعمال المستشرقين أو استشهدت بآرائهم؟

هل بالإمكان قبول اقتباسات المستشرقين واستشهاداتهم من أمّهات الكتب العربية من دون التوثيق أوّلاً، اعتمادًا على أنَّ منهجيَّتهم في البحث والدراسة قد أملت عليهم قسطًا كبيرًا من التجرُّد والموضوعية؟

ثم هل يمكن الاستغناء عن إسهامات بعض هؤلاء المستشرقين في هذا المجال، بعد أنْ تبيَّنت للباحثين والدارسين المسلمين أخطاءٌ كثيرة وقع فيها كثير من المستشرقين، تحول دون قبول ما وصلوا إليه من نتائج؟

هل يمكن تصحيح هذه الأخطاء من خلال حوار مباشر أو

غير مباشر مع المستشرقين بعامَّة، يُدعون فيه إلى مزيد من الموضوعية ومن العلمية والتجرُّد؟

هل المستشرقون قابلون لهذا الحوار، ولديهم الرغبة في تصحيح الأخطاء التي وقع فيها أترابهم؟ أم عندهم الرغبة في عدم الوقوع فيها من خلال نقلهم عن أترابهم؟

ولا يُتوقَّع لهذا الفصل أنْ يجيب إجابةً شافيةً ومقنعةً عن جميع هذه الأسئلة. ولعله يُكتفى منه بإثارة الأسئلة والتدليل على إمكان الإجابة عن جزء منها؛ سعيًا إلى الاستمرار في الإجابة عن جزء كبير منها، مع التوكيد على أنَّ جهودًا للمستشرقين تدخل في جانب الإسهامات المحمودة التي لا ينبغي إغفالها أو تناسيها، فلم تكن إسهامات المستشرقين كلهم سيئةً أو متحاملةً على تراث المسلمين وثقافتهم، وهذا في النهاية يؤدِّي إلى عدم القدرة على تعميم النتائج على ظاهرة الاستشراق. ولعلَّ هذا سرٌّ من أسرار عدم الاتِّفاق بين العلماء والباحثين والدارسين والمفكِّرين المسلمين على موقف موحَّد تجاه المستشرقين قدمائهم ومحدَثيهم.

مصادر المعلومات عن التراث العربي

ومنذ انطلاقة التدوين، في بداية البعثة المحمَّدية، ثم التجميع في عهد الخلفاء الراشدين ثم التصنيف والتبويب في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)، إلى نهاية القرن التاسع

الهجري (الخامس عشر الميلادي)، والمسلمون في رصد مستمرٍّ للتراث في أعمال موسوعية أو موضوعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية والطبية والرياضية وسائر المعارف. ومنذ انطلاقة التدوين من قرطبة غربًا إلى سمرقند شرقًا والمكتبات الإسلامية مجالٌ للتنافُس بين الولاة والأمراء،[1] وهناك مظاهر كثيرة ذكرها دارسو التراث حول مجالات التنافُس.[2]

وليس الغرض من هذه الوقفة استعراض الجهود العلمية للمسلمين، إذ سيدخل هذا الأسلوب في الجانب الدفاعي والاعتذاري، الذي لجأ إليه بعض المتحمِّسين للثقافة الإسلامية عندما أرادوا أنْ يلفتوا أنظار الآخرين لها.[3] ولكن الغرض من هذه الوقفة التوكيد على أنَّ المعلومات التراثية كانت موضع اهتمام المسلمين أنفسهم، على أقلِّ تقدير في القرون الثمانية التي حُدِّدت بين القرنين الثاني والتاسع الهجريين، ومعظم

---

(١) انظر: عز الدين إسماعيل. المصادر الأدبية واللغوية في الأدب العربي. ـ ط ٢. ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م. ـ ص ٣ ـ ٧.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. ـ ط ٣. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. ـ ٢٠٤ ص.

(٣) Charles G. Adams. Islamic Religious Tradition. انظر العرض عنه في: دليل الدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية بالجامعات الأمريكية، مرجع سابق. ـ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣، حيث يقسِّم المؤلف المداخل لدراسة الإسلام إلى ثلاثة هي: المدخل التقليدي التبشيري، والمدخل الاعتذاري، والمدخل السلبي.

الأعمال التي جاءت بعد القرن التاسع الهجري أخذت طابع الشروح والتعليقات والتلخيصات،[1] وكل ما يدور حول مصادر المعلومات عن التراث، إلى الوصول إلى التحقيق والنشر في القرنين الأخيرين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، مع عدم إغفال الجهود العلمية التي انطلقت ابتداءً، ولكن الطابع العام في هذه القرون التالية كان يهمس إلى الدارسين والمؤلفين أنهم بطريقة أو بأخرى عالة على علماء السلف.

ولا يعني هذا أنَّ الخلف لم يكونوا على مستوى التفكير وتأليف الأعمال العلمية ابتداءً، ولو كان هذا المقصود لوقعنا في محظور، هو مجرَّد ردٍّ فعل لأولئك المتعلِّقين بالثقافات الحديثة على حساب الماضي. ولكننا نقدِّر هنا أنَّ بعض الأعمال العلمية ذات الصبغة التراثية تستمدُّ معلوماتها من مصادر التراث التي ألَّفها السلف في زمن الازدهار العلمي والفكري، ثم أُخضع شيء منها للشرح أو الاختصار أو التعليق في زمن الشروح والاختصارات.[2] فيأتي زمننا ـ وهو المعدُّ زمن العودة البطيء إلى الازدهار ـ فيبتدئ أعمالاً علمية تقرُّ بالفضل لما أسهم به علماء السلف، فتكون امتدادًا لهذه الإسهامات.

---

(١) انظر: السعيد الورقي. في مصادر التراث. ـ بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٨٦.

(٢) انظر: سيد حامد النسَّاج. رحلة التراث العربي. ـ ط ٢. ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥م. ـ ص ٣٦.

ومع أنَّ هذه الوقفة مع مصادر المعلومات عن التراث تحاول التوكيد على وجود الأساس، وهو المصادر نفسها، إلا أنها لا تملك إلا أنْ تذكر للمستشرقين جهودهم في إظهار شيء من هذه المصادر، خصوصاً في مجالات الحفظ أو النشر أو الطبع الابتدائي دون تحقيق.[1] إلا أنَّ هذه الجهود تحتاج إلى تمحيص ودراسة متأنِّية، يُبيَّن فيها مدى هذه الجهود ونوعية التركيز على المجالات. وفيما يلي من الصفحات إشارات سريعة إلى مثل هذا. وفيها وقفاتٌ تفتح المجال إلى مزيد منها في سبيل الوصول إلى حكم قابل للتعميم، مما يحتاج معه إلى مزيد من البحث والغوص والتحليل.

مصدرية الاستشراق والمستشرقين

المقصود في هذه الوقفة هو مناقشة أعمال كثير من المستشرقين للنظر في مدى الاعتماد عليها مصدرًا من مصادر المعلومات في الدراسات العربية الإسلامية. وهل تصل هذه الأعمال إلى درجة من الثقة يمكن الاستشهاد بها؟

وقد ذكرت أنَّ قسطًا من الإسهامات العربية في مجالات التراث قد بدا عليها التأثُّر غير المباشر، وكان لهذا التأثُّر أثره في الفجوة بين المسلم وثقافته. هذه الفجوة التي حفرها المستشرقون

---

(١) انظر: السعيد الورقي. في مصادر التراث. ـ مرجع سابق. ـ ص ٨ ـ ٩.

بالغوص في معلومات التاريخ، ينقلونها من مصادر معلومات عربية معتمدة عندنا على أنها من أمَّهات الكتب، ولكنَّ رهطًا منهم بغوصهم هذا يعتمدون سوء النقل وسوء الاقتباس وسوء الاستشهاد، ضاربين صفحًا عن مفهومات علمية كالأمانة والدقَّة والتجرُّد والموضوعية. وسيأتي رأي عبدالرحمن بدوي حول اقتباسات الأب هنري لامانس.

وهم بهذا يلجأون إلى المعلومات الغربية غير الموثّقة في أمَّهات الكتب العربية فيتَّكئون عليها.

١ ـ وتراهم يحيلونك إلى المصادر التي يستشهدون بها أو يقتبسون منها ببياناتها الوراقية (الببليوجرافية) التامَّة، فتعود إلى هذه الإحالات في هذه المصادر فلا تجد لها أثرًا فيها.

٢ ـ أو ربَّما يتبيَّن لك عندما تعود للموضع المستشهد به أو النصِّ المقتبس منه أنه على خلاف تامٍّ ومناقضٍ للمقصود من الاستشهاد أو الاقتباس.

٣ ـ أو ربما يتبيَّن أنَّ في الأمر تحريفًا أو تصحيفًا مع الرجوع إلى المصادر العربية التي تترك عند القارئ أثرًا بأنَّ هؤلاء المستشرقين قد اعتمدوا على مصادرنا في تعضيد أفكارهم التي يسعون إلى الإتيان بها.

٤ ـ أو تراهم من وجه رابع يسعَون إلى تفسير بعض المعلومات بما يؤمنون به هم، أو بما يريدونه من

المتلقِّين أنْ يؤمنوا به إزاء معلومات حول حادثة تاريخية، لها مساس بالثقافة والخلفية الفكرية والعلمية التي يتبنَّاها المسلم في حياته.

وكلُّ هذه الأساليب لها أمثلة في الإنتاج الفكري للمستشرقين، وتساق لها أمثلة هنا، وربما دعا الأمر إلى الوقوف على كل أسلوب على حدة، ودراسته دراسة واسعة والخروج بالنتيجة التي تمثِّلها الدراسة وتجيب على سؤال من أسئلة البحث، فيصدق السؤال البحثي، أو تثبت عدم صحته. وهذه نماذج لما ينبغي ولما يتوقَّع أنْ تكون عليه الدراسة.

في مجال الدراسات

١ ـ كتاب النظام والفلسفة والدين في الإسلام لهاملتون جبّ[1] مليء بالمغالطات التي لا تغيب عن ذهن القارئ العادي. ومع أنها تحتاج إلى وقفة طويلة مستقلَّة إلا أنَّ هذه ومضات سريعة لما يذكره المؤلِّف المستشرق حول القرآن الكريم، والرسول الكريم ﷺ، يقول:

أ ـ «سأتحدَّث في المقالة الثانية عن المسارب الجديدة التي يسَّرها القرآن للطاقات الشعورية والخيالية لدى

---

(١) انظر: هاملتون جبّ. النظم والفلسفة والدين في الإسلام. ـ دمشق: المركز العربي للكتاب، د. ت. ـ ص ١٠٨.

العرب،[1] وعن أثرها في المواقف الدينية الإسلامية. أما في هذا المقام فإنَّ ما يهمنا هو جمهور العرب الوثنيين الذين تقبَّلوا التعاليم القرآنية، من دون أنْ يتخلَّوا تمام التخلّي عن معتقداتهم القديمة، فكان ما حقَّقه محمَّد لديهم هو أنه فرض قوَّة سيطرة عليا باسم (الله القوي المتعال)،[2] وجعلها فوق ما عندهم من حصيلة (نسميه)،[3] وبذلك ظلَّ الموروث العربي القديم قائمًا تحت هيمنة ذلك القادر الأعلى، وظل لديهم إيمانهم بالسحر وبالقوى الغيبية، وبخاصَّة الشرِّير منها كالجنِّ وبالقرينة أو التابع ـ كلُّ هذه المعتقدات وأشباهها ظلَّت قائمة مصبوغة بصبغة إسلامية، تكثف هنا أو

(١) جرت عادة المؤلفين في الغرب على استعمال لفظ «السرسان» للمسلمين العرب وغيرهم، واستعمل المستشرقون الأوائل «المحمديين» وتطور الاستعمال واختلف من بلد أوروبي إلى آخر حتى استقر على لفظ «الأتراك» بمعنى المسلمين منذ القرن الخامس عشر الميلادي في أوروبا، ولفظ «الموريسكو» في إسبانيا. واختلف الاستعمال بعد ذلك في أوروبا من الخلط الموجود بين العرب وغير العرب في الاستعمال الاستشراقي الآن.

(٢) الأولى المتعالي، وهذه من هنات المترجم الذي لم يفصح عن اسمه، رغم الجهد الذي قام به.

(٣) التسمية استخدمها المترجم لتقابل كلمة Animism بالإنجليزية وهي تعني الاعتقاد بأن كل كائن موجود أو مخلوق من حيوان أو إنسان أو جماد وريح ونبات وما إلى ذلك له روح، وأن هذه الأرواح توجد منفصلة عن الأجساد.

ترقُّ هناك، لتلعب دورًا كبيرًا في أفكار المسلمين من العالم».[1]

ب ـ ويقول: «وبما أنَّ كلَّ دين ظلَّ في قاعدته مرتبطًا بالحياة التخيُّلية فإنه لا يستطيع أنْ يمسَّ الروح دون توجُّه نحو الحواسِّ والمشاعر. وإذا لم تكن الحواسُّ متنبِّهة، ولم تستثر شعائره ورموزه استجابة شعورية بقي الدين هيكلاً من التعاليم العقائدية والأخلاقية. وظلَّ مفتقرًا إلى الروح والرؤى. ليس الفنُّ فحسب خادمًا للدين، بل هو حارس قدس أقداسه.

وذلك هو الحال أيضًا بالنسبة للمسلم، فالذي يمنح القرآن قوَّة على تحريك قلوب الناس وتشكيل حياتهم ليس محتواه من مبادئ ونُذُر،[2] وإنما هو سياقه اللفظي، إذ يتكلَّم كأسفار النبوءات في التوراة بلغة الشعر،[3] وإنما لم يخضع لقيود الشعر من وزن وقافية».[4]

---

(١) انظر: هاملتون جبّ. النظم والفلسفة والدين في الإسلام. ـ المرجع السابق. ـ ص ٨٥.

(٢) لو قال «فحسب» لما احتاج المرء معه إلى وقوف.

(٣) جرت عادة كثير من المستشرقين التوكيد على اقتباس القرآن الكريم من الكتب السماوية والثقافات السابقة كما سيأتي بيانه.

(٤) انظر: هاملتون جب. النظم والفلسفة والدين في الإسلام. ـ المرجع السابق. ـ ص٧٣ و٧٤.

ج ـ ويقول جبّ: «إنَّ الكنيسة المسيحية لجأت إلى عون الموسيقى لتُعلي من التوتُّر الشعوري في الصلوات، وإنَّ الإسلام كذلك طوَّر في القراءة المرتَّلة للقرآن؛ كي يشحذ من قدرته على اجتذاب الخيال والشعور. والفرق بين الفنَّين الموسيقيين لدى الدينين لافت للنظر، حتى إنه يستحقُّ أنْ يكون موضع تحليل ممتع. ولكنه يجب ألا يحجب وجه الحقيقة هنالك، وهي أنَّ الغاية القصوى واحدة في الحالين» .[1]

د ـ ويواصل جبُّ القولَ: «سعينا في الفصل السابق[2] لنبيِّن أنَّ القرآن سجلٌّ لتجربة محمَّد الحدسية من ناحية. وأنه المنبع الذي يعود إليه المسلم بين الحين والحين لينعش رؤاه الروحية من ناحية أخرى» .[3]

هـ ـ ويضيف المستشرق جبُّ: «في التصوُّف قاعدة فعَّالة هي قدرته على استثمار التجربة الدينية على نحو منظَّم، وهو ينشأ كعلم الكلام في مرحلة راقية من

---

(١) انظر: هاملتون جبّ. النظم والفلسفة والدين في الإسلام. ـ المرجع السابق. ـ ص ٧٤.

(٢) جعله المترجم داخلاً تحت عنوان «مبنى الفكر الديني في الإسلام» ووزَّعه إلى أربع فقرات، الثانية منها محمَّد والقرآن. ـ ص ٦٦ ـ ٧٧.

(٣) انظر: هاملتون جبّ. النظم والفلسفة والدين في الإسلام. ـ المرجع السابق. ـ ص ٧٨.

مراحل التطوُّر الديني. ولم يكن في القرن الأوَّل من تاريخ الإسلام متكلِّمون أو متصوِّفة، ففي ذلك القرن كانت الجماعة الدينية المسلمة تمثِّل نوعًا من المجتمع الأخلاقي القائم على المبادئ المحسوسة حول الله واليوم الآخر، وعلى الواجبات الدينية المحسوسة التي وردت في القرآن»[١].

و ـ ويقول: «وأنا أرى أنَّ وحدة الوجود ـ شبه الإسلامية ـ تحاول النقيض التامَّ لما أخذ محمَّد نفسه بتحقيقه، فقد حاول حين واجهته عقائد النسمية العربية أنْ يحكمها فجاء بفكرة إله منزِّل متعالٍ على العالم المادِّي الذي خلقه، حرَّم عبادة أيِّ مخلوق، وعرف في الوقت نفسه من تجربته الصوفية[٢] أنَّ الله أيضًا موجود في العالم الذي خلقه على نحو خفي لا يستطاع التعبير عنه»[٣].

وإذا خلت هذه الاقتباسات من التعليق التحليلي فإنما ذلك

---

(١) انظر: هاملتون جبّ. النظم والفلسفة والدين في الإسلام. ـ المرجع السابق. ـ ص ٩٣.

(٢) كان المؤلِّف قد ذكر في الفقرة السابقة أنَّ القرن الأول من تاريخ الإسلام كان خاليًا من المتكلِّمين والمتصوِّفة.

(٣) انظر: هاملتون جبّ. النظم والفلسفة والدين في الإسلام. ـ المرجع السابق. ـ ص ٩٨.

عائد إلى الوضوح في الخلط الذي لجأ إليه المؤلف، مما جعله يوحي به كالمسلَّمات.

٢ ـ يحدِّد ولفرد كانتول سميث في كتابه الإسلام في التاريخ الحديث معنى الدين بقوله: «العرب لا يدركون كُنه الإسلام الحقيقي، فهناك ثلاثة أنواع من الدين الإسلامي: دين القرآن، ودين العلماء، ودين الدهماء، ويتَّسم النوع الجديد (الأخير) منها بالخرافة والجمود، أما الثاني (دين العلماء) فمثقل بتراث قديم عقيم، وهو بعد ذلك غير عصري، ومادَّته صعبة تقضي على الإنسان ألا يتصرَّف في أيِّ شيء إلا بحسب فتوى العلماء. وقد تخلَّصت تركيا من هذا النوع الثاني، ووجدت أنَّ الوقت قد حان للقضاء عليه. وبذلك كان الأتراك قادة العالم الإسلامي،[١] وما زال العرب وغيرهم من الحمقى مقيَّدين في تفكيرهم بأنَّ تركيا تركت الإسلام، وهذا غير صحيح».[٢]

٣ ـ ويربط المستشرق مورو بيرجر في كتابه العالم العربي اليوم بين الدين والبيئة. فإذا تطوَّرت البيئة تطوَّرت القيم، فالشريعة الإسلامية نشأت متأثِّرة بالبيئة العربية من حيث اهتمامُها

---

(١) الواضح أنَّ العثمانيين كانوا قادة العالم الإسلامي امتدادًا للخلافة الإسلامية، والخلط هنا في قيادة العالم الإسلامي أثناء الخلافة العثمانية وانتهاء الخلافة الإسلامية في تركيا على يد القوميين الأتراك. فالواقع يكذب ولفرد سميث فتركيا تحت الخلافة العثمانية كانت في أشد حالاتها ضعفًا أقوى منها الآن.

(٢) انظر: عابد بن محمَّد السفياني، المستشرقون ومن تابعهم ومواقفهم من ثبات الشريعة وشمولها. ـ مرجع سابق. ـ ص ٩.

بالكرم، عندها كانت البيئة بدوية رعوية، هذه البيئة التي قامت على الحاجة إلى الأمطار، فنشأت فيها سجية الخوف من الله، الذي يحجب المطر فيحلُّ بالقوم جوعٌ ومرض وموت. والقِصاص جاء ليشبع مفهوم الثأر في المجتمعات الصحراوية. وهذه كلها تتطوَّر في المجتمع الصناعي «الذي عرف شيئًا كثيرًا عن تطبيقات علم النفس والمبادئ الإنسانية، فلم يحتج إلى مبدأ القِصاص لأنه سيراعي جانب المجرم»،[1] ولم يعد يهتمُّ بالخوف من الله؛ لأنَّ وسائل الحصول على الماء متوافرة، ولم يعد بحاجة إلى الكرم؛ لأنَّ كلاً مشغول بحياته المتطوِّرة، وهكذا يبدو التبرير لتطوير الدين ونقل القيم حسب البيئات.

٤ ـ في مادة «إجماع» في دائرة المعارف الإسلامية[2] يذكر المستشرق الأمريكي دونكان بلاك ماكدونالد أنَّ ما كان في أوَّل الأمر بدعةً أصبح بفضل الإجماع أمرًا مقبولاً نسخ السنَّة الأولى.

---

(١) انظر: عابد بن محمَّد السفياني. المستشرقون ومن تابعهم ومواقفهم من ثبات الشريعة وشمولها. ـ المرجع السابق. ـ ص ٥٢.

(٢) برغم الجهود المبذولة في بعض الأقطار العربية والإسلامية، إلى الآن لم يوفَّق العرب والمسلمون إلى إصدار دائرة معارف إسلامية موثوقة، أو موسوعة عربية إسلامية مؤصَّلة، وإنما اعتمدوا كثيرًا على ترجمات موسوعات أجنبية، وتصرَّفوا فيما له علاقة بالثقافة الإسلامية والعربية. انظر مناقشة هذه الفكرة في العمل الذي قام به نسيم الصمادي. دائرة المعارف العربية: أزمة فكر لا أزمة نشر. ـ عمّان: دار الكرمل، ١٩٨٨م. ـ ص ٨٥. وانظر أيضًا: خالد بن عبدالله القاسم. مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية. ـ ٢ مج. ـ الرياض: دار الصميعي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ١٢١٥ ص.

فالتوسُّل بالأولياء مثلاً صار عمليًا جزءًا من السنَّة، وأعجب من هذا أنَّ الاعتقاد بعصمة النبيّ قد جعل «الإجماع» ينحرف عن نصوص واضحة في القرآن، فلم يقتصر الإجماع هنا على تقرير أمور لم تكن مقرَّرة من قبل فحسب، بل غيَّر عقائدَ ثابتةً وهامَّةً جدًا تغييرًا تامًا. وعلى هذا فهم يقولون إنَّ المسلمين يستطيعون أنْ يجعلوا من الإسلام ما شاؤوا على شريطة أنْ يكونوا مجتمعين. على أنَّ الآراء غير متَّفقة فيما يمكن أنْ يكون له شأنٌ كبير، على خلاف سنوك هورغرونيه الذي يرى أنَّ (الفقه) قد جمد، ولذلك لا رجاء في الإجماع.(١)

٥ ـ عُني المستشرقون بترجمة معاني القرآن الكريم، ووضعوا للترجمات مقدِّمات لهم تحدَّثوا فيها عن القرآن الكريم من حيث طبيعتُه ومصدرُه، كما تحدَّثوا عن منهجهم في الترجمة.(٢)

---

(١) د. ب. ماكدونالد، «إجماع» في: دائرة المعارف الإسلامية/ يصدرها باللغة العربية أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس. ـ بيروت: دار المعرفة، د. ت. ـ ١: ٤٣٨ ـ ٤٤٠.

(٢) بدأت فكرة ترجمة معاني القرآن الكريم في القرن الأول الهجري ـ السابع الميلادي، وترجمت المعاني إلى ما يربو على مئة وإحدى وعشرين لغة في أنحاء العالم، منها ثماني لغات أوروبية هي الألمانية، والإنجليزية والإيطالية والروسية والفرنسية والإسبانية، واللاتينية والهولندية، على الترتيب حسب عدد الترجمات. انظر مناقشة ترجمات معاني القرآن الكريم في: محمَّد صالح البنداق. المستشرقون وترجمة معاني القرآن الكريم. ـ بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٨٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ص ٢٤٠. وانظر أيضًا: علي بن إبراهيم النملة. المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٦٩ ص.

وكمثال على ذلك يقول جورج سيل في مقدِّمة ترجمته لمعاني القرآن الكريم التي صدرت سنة ١٧٣٤م: «أما أنَّ محمَّدًا كان في الحقيقة مؤلِّف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل. وإنْ كان المرجَّح ـ مع ذلك ـ أنَّ المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطَّته لم تكن يسيرة. وهذا واضح في أنَّ مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك.[1]

ويوصف جورج سيل بأنه نصف مسلم؛ نظرًا لاهتمامه البالغ بالإسلام، وقد صادفت مقدِّمتُه هذه «التي جزم فيها بتأليف محمَّد للقرآن نجاحًا عظيمًا في أوروبا، الأمر الذي أدَّى بمستشرق آخر هو كاسميرسكي[2] أنْ يجعل من مقدِّمة جورج سيل مقدِّمة لترجمته الفرنسية لمعاني القرآن الكريم التي صدرت عام ١٨٤١م. وقد استطاعت هذه المقدِّمة أنْ تثبت وجودها زمنًا طويلاً جدًا كمصدر علمي موثوق به لدى المستشرقين، من حيث اشتمالُها على عرض شامل للدين الإسلامي».[3]

---

(١) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ـ مرجع سابق. ـ ص ٨٣.

(٢) ألبر كاسميرسكي (١٨٠٨ ـ ١٨٨٧م)، مستشرق بولوني، كتب بالفرنسية، متهم في أمانته العلمية. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٢: ٤٩٨ ـ ٤٩٩.

(٣) انظر: محمود حمدي زقزوق. الإسلام في تصوُّرات الغرب. ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ. ـ ص ٢٣ ـ ٢٤. وانظر للمؤلِّف: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ـ مرجع سابق. ـ ص ٨٣.

ومسألة مصادر معلومات القرآن الكريم، واستعانة الرسول ﷺ بمصادر معلومات الثقافات السابقة كالنصرانية واليهودية وغيرها مما ظهر به بعض المستشرقين، مسألة مُتداولة بين المهتمِّين بمصادر المعلومات عن الإسلام.

وقد أعاد بعض المستشرقين المعلومات في القرآن الكريم إلى مصادر ووزِّعت توزيعًا عجيبًا على الحضارات والثقافات السابقة. ويزعم بعض المستشرقين أنَّ الرسول ﷺ قد ألَّف القرآن مستعينًا بهذه المصادر على النحو الآتي:

أ ـ استعان بالمصادر الجاهلية في فكرة صلاة الجمعة، وصوم عاشوراء، وتطييب البيت الحرام وحظِّ الذكَر في الميراث مثل حظِّ الأنثيين، والتكبير والأشهر الحرم، والحجِّ والعمرة، ونتف الإبط، وحلق العانة، والوضوء والاغتسال، والختان وتقليم الأظافر.

ب ـ واستعان بالمصادر الصابئة في مسألة الصلوات الخمس، والصلاة على الميْت، وصيام شهر رمضان المبارك، والقِبلة، وتعظيم مكَّة المكرَّمة، وتحريم الميتة ولحم الخنزير، وتحريم الزواج من القرابات.(١)

(١) لم تُذكر المدينة المنوَّرة ضمن هذه القائمة، رغم أنَّ الرسول ﷺ قد اتَّخذها مقامًا، وبها توفِّي ودُفن ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ج ـ واستعان بالمصادر اليهودية في المعلومات عن قصَّة هابيل وقابيل، وقصَّة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقصَّة ملكة سبأ، وقصَّة يوسف ـ عليه السلام ـ.

هـ ـ واتَّكأ الرسول ﷺ على المصادر النصرانية في استقاء المعلومات عن قصة أهل الكهف، وقصَّة مريم ـ عليها السلام ـ وقصَّة طفولة المسيح عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ.[(١)]

٦ ـ وفي قصَّة الحضارة يقول وِل ديورانت عن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «وقد أعانه نشاطه وصحته على أداء جميع واجبات الحب والحرب. ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره، وظن أنَّ يهودَ خيبر قد دسُّوا له السمَّ في اللحم قبل عام من ذلك الوقت، فأصبح بعد ذلك الحين عرضة لحميات ونوبات غريبة. وتقول عائشة إنه كان يخرج من بيته في ظلام الليل ويزور القبور، ويطلب المغفرة للأموات، ويدعو الله لهم جهرة ويهنئهم على أنهم موتى».[(٢)]

ولم يكن دسُّ السُّمّ ظنًا، بل هو مشهور وموجود في مصادر المعلومات العربية الموثوقة عن السيرة النبوية، فقد أورده

---

(١) انظر: إبراهيم خليل أحمد. الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية. ـ القاهرة: مكتبة الوعي العربي، (١٩٧٣م). ـ ص ٦٧ ـ ٦٨.

(٢) انظر: ول ديورانت. قصَّة الحضارة/ ترجمة محمَّد زيدان. ـ بيروت: الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، د. ت. ـ مج ٤، ج ٢، ص ٤٦.

ابن هشام في سياق غزوة خيبر،[١] وأورده ابن سعد في الطبقات،[٢] ورواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والدارمي.[٣]

٧ ـ وينقل عن إجناس جولدتسيهر قوله عن زياد بن عبد الله البكائي نقلاً عن وكيع: إنه مع شرفه كان كذوبًا. وقد جاء في التاريخ الكبير للإمام البخاري ـ رحمه الله ـ قوله عن زياد: «وقال ابن عقبة السدوسي عن وكيع إنه (أي زياد) أشرفُ من أنْ يكذب».[٤]

---

(١) انظر: عبد الملك بن هشام المعافري. السيرة النبوية لابن هشام. ـ القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د. ت. ـ ٣: ٢١٨.

(٢) وعند ابن سعد قوله من غزوة خيبر: «وفي هذه الغزوة سمَّت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم رسول الله ﷺ أهدت له شاة مسمومة فأكل منها رسول الله ﷺ وناس من أصحابه فيهم بشر بن البراء بن معرور فمات منها» انظر: محمَّد بن سعد. الطبقات الكبرى، ج. ـ بيروت: دار صادر، ١٤٨٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ٢: ١٨٧.

(٣) ونصُّه في مسند الإمام أحمد: «عن أنس بن مالك أنَّ يهودية جعلت سمًا في لحم ثم أتت به رسول الله ﷺ فأكل منه رسول الله ﷺ فقال: إنها جعلت فيها سمًا. قالوا ألا نقتلها: قال: لا، قال: فجعلت أعرف ذلك في لهوات رسول الله ﷺ. انظر: أحمد عبد الرحمن البنّا. الفتح الربّاني. ـ مرجع سابق. ـ ٢٢: ٦٦.

(٤) انظر: مصطفى السباعي. السنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي. ـ ط ٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٦هـ. ـ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١. وينقل الذهبي عن عبد الله بن إدريس قوله: «ما أحد في ابن اسحاق أثبت من زياد البكائي لأنه أملى عليه مرَّتين». انظر: محمَّد بن عثمان الذهبي. سير أعلام النبلاء. ـ ٢٣ مج. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٨٢هـ/ ١٩٨٢م. ـ ٩: ٥ ـ ٦.

٨ ـ وينقل عنه كذلك قوله عن الزهري: «قد كانت تقواه تجعله يشكُّ أحيانًا، ولكنه لا يستطيع دائمًا أنْ يتحاشى تأثير الدوائر الحكومية، وقد حدَّثنا معمر عن الزهري بكلمة مهمَّة وهي قوله: أكرهنا هؤلاء الأمراء على أنْ نكتب أحاديث». وعن ابن عساكر وابن سعد أنَّ الزهري كان يمتنع عن كتابة الأحاديث للناس فأصرَّ عليه هشام أنْ يملي على ولده، فأملى عليه أربع مئة (٤٠٠) حديث، وخرج على الناس وناداهم أنْ «كنَّا قد منعناكم أمرًا قد بذلناه لهؤلاء، وأنَّ هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث فتعالوا حتى أحدِّثكم بها، فحدَّثهم بالأربعمئة حديث».[١] والفرق هنا بين كلام جولدتسيهر وكلام الزهري أنَّ جولدتسيهر حذف أداة التعريف من كلمة «أحاديث».

يقول الأستاذ فؤاد سزكين: «وبدون أنْ يفهم جولدتسيهر المعنى الدقيق لمصطلح «كتاب» أو «كتابة» فقد أخطأ في تفسيره لعبارة الزهري: كنا نكره كتابة العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء، فرأينا ألا نمنعه أحدًا من المسلمين». وقد فهم جولدتسيهر من هذا النص أنَّ الزهري اعترف بأنه ـ على هذا النحو ـ قد مكَّن الأمويين من الحصول على ذرائع دينية، تخدم مصالح أسرتهم الحاكمة».[٢]

---

(١) انظر: عبد العظيم الديب. المستشرقون التراث. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٠ ـ ٣١.

(٢) انظر: فؤاد سزكين. تاريخ التراث العربي ـ ١ ـ المجلَّد الأوَّل، الجزء الأوَّل في علوم القرآن والحديث/ نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي. ـ الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ. ـ ص ١٤١.

٩ ـ ويقول ول ديورانت في قصَّة الحضارة أيضًا: «وكان «للزبير» بيوت في عدَّة مدن مختلفة، وكان يملك ألف جواد وعشرة آلاف عبد، وكان عبد الرحمن يمتلك ألف بعير وعشرة آلاف رأس من الضأن، وأربعمئة ألف دينار (١,٩١٢,٠٠٠) دولار، وكان عمر ينظر بحسرة إلى الترف الذي أخذ مواطنوه يتردَّون فيه».[١]

وأصل النصِّ في المصادر الإسلامية: «كان للزبير ألف مملوك يؤدُّون إليه خراجهم كل يوم، فما يُدخل إلى بيته منها درهمًا واحدًا يتصدَّق بذلك كلِّه».[٢]

١٠ ـ ويقول ول ديورانت نفسه عن هارون الرشيد وعلاقته بجعفر البرمكي: «وكان هارون الرشيد يحبُّ جعفرًا حبًّا أطلق ألسنة السوء في علاقتهما الشخصية، ويقال إنَّ الخليفة أمر بأنْ تصنع له جبَّة ذات طوقين يلبسها هو وجعفر معًا، فيبدوان كأنهما رأسان فوق جسم واحد، ولعلهما في هذا الثوب يمثلان حياة بغداد الليلية».[٣] وقبل هذا قال عن هارون الرشيد: «وإنه كان

(١) انظر: ول ديورانت، قصَّة الحضارة. ـ مرجع سابق. ـ ص ٧٧، وذكره عبدالعظيم الديب في: المستشرقون التراث. ـ ٣٢ ـ ٣٣.

(٢) انظر على سبيل المثال: ابن الأثير. علي بن محمَّد الجزري. ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة. ـ ٦ ج. ـ د. م: دار الفكر، د. ت. ٢: ٩٩.

(٣) انظر: ول ديورانت، قصَّة الحضارة. ـ مرجع سابق. ـ ص ٩٢، وذكره عبدالعظيم الديب في: المستشرقون والتراث. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٤ ـ ٣٦.

يحجُّ إلى مكَّة مرة كل عامين».[1] والمشهور في مصادر المعلومات الإسلامية أنه كان يحجُّ سنة ويغزو سنة.[2]

وعند الذهبي أنه «كان يصلّي في خلافته كل يوم مئة ركعة إلى أنْ مات، ويتصدَّق بألف، وكان يحبُّ العلماء ويعظِّم حرمات الدين، ويبغض الجدال والكلام، ويبكي على نفسه ولهوه وذنوبه، لا سيَّما إذا وُعظ».[3]

١١ ـ وفي كتاب السيطرة العربية لفان فلوتن[4] رواية عن

---

(١) انظر: ول ديورانت، قصَّة الحضارة. ـ المرجع نفسه. ـ ص ٩١.

(٢) انظر إشارة إلى هذا عند أحمد أمين. هارون الرشيد. ـ القاهرة: دار الهلال، ١٩٥١م/ ١٣٧٠هـ. ـ ص ٢١٩، مع أنَّ الكتاب كلَّه فيه رائحة التأثُّر بآراء المستشرقين حول هارون الرشيد وحاضرة الإسلام بغداد والحضارة الإسلامية، رغم عدم وجود مراجع للكتاب تدلُّ على هذا الحكم نفيًا أو إثباتًا. ولكننا تعوَّدنا من أحمد أمين هذا التأثُّر في أعماله المشهورة التي مرَّ ذكرها في بداية هذا الفصل.

(٣) انظر: محمَّد بن شاكر الكتبي فوات الوفيات. والذيل عليها. ـ ٥ ج/ تحقيق إحسان عبَّاس. ـ بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٤م. ـ ٤: ٢٢٥ ـ ٢٢٧، وكان قد مات ـ رحمه الله ـ في غزوة من غزواته بخراسان في ١٩٣/٦/٣هـ وقبره بمدينة طوس.

(٤) ج. فان فلوتن (١٨٦٦ ـ ١٩٠٣م) ذكره نجيب العقيقي مع المستشرقين الهولنديين. وذكر آثاره، ولم يذكر منها كتاب السيطرة العربية، وذكر من آثاره كتاب الفتح العربي وبعض العقائد في عصر الأمويين. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٢: ٣١٦ ـ ٣١٧. ويذكر قاسم السامرائي أنَّ وفاته كانت سنة ١٩٠٢م وأنه تلميذ دي خويه. انظر: قاسم السامرَّائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٢٣. وذكره عبد الرحمن بدوي وأشار إلى كتابه بعنوان: أبحاث في السيطرة العربية والتشيع والعقائد المهدوية في عهد الخلافة الأموية. انظر: عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٨٥.

الطبري (٢: ٨٠٦) يقول فيها: «ولقد أصابت الأسر المرموقة في الكوفة ثراءً فاحشًا كان مصدره المغانم والأعطيات السنوية، فكان الكوفي إذا ما ذهب إلى الحرب يصطحب معه أكثر من ألف من الجمال عليها متاعه وخدمه»[١] وعبارة الطبري جاءت على لسان قيس بن الهيثم أحد أصحاب مصعب بن الزبير يرغِّب أهل العراق في القتال، ويبيِّن لهم حسن معاملة ابن الزبير لهم، يقول: «والله لقد رأيت سيِّد أهل الشام على باب الخليفة يفرح إنْ ارسله في حاجة، ولقد رأيتنا في الصوائف أحدنا على ألف بعير، وإنَّ الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزادُه خلفَه»[٢]: فالواحد من أهل الكوفة قائد للجيش يأتمر له أكثر من ألف مقاتل، ولا يصطحب معه أكثر من ألف من الجمال عليها متاعه وخدمه»!

تلك أمثلة متناثرة تروى عن المستشرقين، ومنهم المشهورون المعروفون. ويطول بنا المقام لو أردنا المزيد من الأمثلة والوقفات. ولو تتبَّعنا إصدارات المستشرقين لما استطعنا

---

(١) انظر: عبد العظيم محمود الديب، المنهج في كتاب الغربيين. ـ مرجع سابق. ـ ص ٧٦.

(٢) انظر: ابن جرير الطبري. تاريخ الرسل والملوك/ تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم. ـ ٦ ج. ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣م. ـ ٦: ١٥٧، والمقصود ب ـ (٢: ٨٠٦) في نقل فان فلوتن الورقة السادسة بعد الثمانمئة من الجزء الثاني من المخطوط.

الوقوف عند حدٍّ. والأَولى من هذا كله أنْ تُبحث دراسات كل مستشرق على حدة، ويحلَّل مضمون ما قاله، وتقابَل استشهاداته المرجعية بالمصادر التي رجع إليها، وبخاصَّة منها ما يتَّصل بالاقتباس أو الاستشهاد بمصادر المعلومات الإسلامية، وعندئذٍ يستطيع المرء الخروج بأحكام موثَّقة لها ما يدعمها.

وفي سبيل الوصول إلى هذا يمكن الاستعانة بالرصد الذي أسهمت به الدراسات حول الاستشراق فيما يتعلَّق بمواقف المستشرقين من المعلومات الإسلامية ومصادرها التاريخية والدينية والأدبية وغيرها من المصادر. والرصد هذا محاولة لوضع مجالات اتَّسمت بها إسهامات المستشرقين، ومن هذه المجالات على سبيل المثال:

أ ـ الخضوع للأهواء وعدم التجرُّد للبحث.

ب ـ العجز عن تمثُّل الثقافة واللغة.

ج ـ التعسُّف في التفسير والاستنتاج.

د ـ التفسير بالإسقاط.

هـ ـ منهج العكس.

و ـ التشكيك في الدليل القاطع.

ز ـ التحريف والتزييف والادِّعاء.

ح ـ إصدار الأحكام القاطعة من دون دليل يعضُدُها.

ط ـ الاختلاق والتمويه.[1]

يقول أحدُ المسهمين في الدراسات الاستشراقية عن واحد من أبرز أعلام المستشرقين وهو المستشرق هنري لامانس: «وأبشع ما فعله خصوصًا في كتابه فاطمة وبنات محمَّد هو أنه كان يشير في الهوامش إلى مراجعَ بصفحاتها. وقد راجعت معظم هذه الإشارات في الكتب التي أحال إليها فوجدت أنه إنما يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقًا في هذه الكتب، أو يفهم النص فهمًا ملتويًا خبيثًا، أو يستخرج إلزاماتٍ بتعسُّف شديد يدلُّ على فساد الذهن وخبث النيّة، ولهذا ينبغي ألاّ يعتمد القارئ على إشاراته إلى مراجع، فإنَّ معظمها تمويه وكذب وتعسُّف في فهم النصوص. ولا أعرف باحثًا من بين المستشرقين المحدَثين قد بلغ هذه المرتبة من التضليل وفساد النيّة».[2]

---

(١) انظر: عبد العظيم محمود الديب. المنهج في كتابات المستشرقين. ـ مرجع سابق. ـ ص ٧ ـ ١٢٥، وقد أورد المؤلف أمثلة لكل مجال من المجالات، فيعاد إليها للاستزادة، وبعضها مبثوث في هذه الوقفة مأخوذ عن المؤلف. وانظر أيضًا: عماد الدين خليل. المستشرقون والسيرة النبوية. ـ في: الإسلام والمستشرقون/ تأليف نخبة من العلماء المسلمين. ـ جدة: عالم المعرفة، ١٣٨٥هـ. ـ ص ٢٧٤.

(٢) انظر: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

وكلام عبد الرحمن بدوي هذا له وزنه لأنه يأتي من باحث اشتهر عنه تعاطفه مع المستشرقين، وميله إلى الإعجاب بإسهاماتهم في مجالات الدراسة والتحقيق والنشر والتصنيف. وهذا يجرُّ إلى تتبُّع مستشرقين بأعينهم ـ كما مر ذكره ـ من خلال إنتاجهم الفكري؛ للنظر في مدى مطابقة هذه المجالات التسعة أو بعضها عليهم. ويمكن أيضًا أخذ عيِّنة متحيِّزة منهم ممن درس أو كتب في سيرة الرسول ﷺ، بل إنَّ الوقوف على كتب مونتجمري وات الثلاثة ـ مثلاً ـ حول حياة الرسول محمَّد بن عبدالله ﷺ محمَّد في مكَّة، ومحمَّد في المدينة، ومحمَّد النبيّ القائد، موضوع يستحقُّ المتابعة.

وهكذا نجد أنَّ المجال واسعٌ في تقرير ادِّعاء أو اتِّهام أو فرضية، أو الإجابة على أسئلة تقوم على تحقُّق المجالات التسعة في المستشرقين، أو تحقُّق مجموعة منها في مستشرق بعينه، إنْ لم تتحقَّق فيه كلُّها، وكلُّ هذا داخل في الغوص في الدراسات التي قاموا بها، ودقَّتهم في استشهاداتهم المرجعية واقتباسهم من المصادر.

في مجال التحقيق والنشر

أمَّا فيما يتعلَّق بمدى إسهامهم في تحقيق التراث الإسلامي ونشره فهذا موضوع لا يقلُّ أهمية عن تتبُّع الدراسات، فالمعروف عن المستشرقين عنايتهم بنشر المخطوطات التي

كانت حبيسة المكتبات الغربية، والتتبُّع هنا ربما ينصبُّ على نسبة المحقَّق والمنشور عن طريق المستشرقين مقابلاً بما حقَّقه ونشره العلماء المسلمون من العرب وغيرهم. كما ينصبُّ على الاتِّجاهات التي طغت على الموضوعات أو العنوانات المحقَّقة والمنشورة.

والمفترض الآن أنهم ركَّزوا على موضوعات معرفية هي على العموم لا تسير على الخط الإسلامي السليم، وربما قيل إنَّ النسب الكبرى لما حقَّقه المستشرقون ونشروه لا يسير على الخط الإسلامي السليم. وعند النظر إلى العنوانات أو الموضوعات وحصرها يمكن للمرء أنْ يخرج بهذه النتيجة السلبية. فإنْ كان العكس بأنْ خرج الباحث بنتائج طيبة، فليكن كذلك، معتمدين في هذا على العدل الذي لا يردُّنا عنه عدم اتِّفاقنا معهم فيما قاموا به من تأثير على بيئتنا الدينية والثقافية والعلمية والسياسية والاجتماعية.(١)

ومن هذا القبيل الدراسة التي قام بها عبد العظيم الديب ـ رحمه الله تعالى ـ، حيث قام بها بعمل إحصائي حصر فيه شيئًا

---

(١) وهذا ما يمليه علينا قوله تعالى من الآية الثامنة من سورة المائدة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

مما تمَّ تحقيقه ونشره من تراث العرب والمسلمين، معتمدًا في هذا على مصدرين أساسيين في هذا المجال هما معجم المخطوطات العربية لصلاح الدين المنجِّد، وقد صدر في خمسة أجزاء من المدَّة ١٣٩٨هـ إلى ١٤٠٠هـ، وكتاب ذخائر التراث العربي الإسلامي لعبد الجبَّار عبد الرحمن، وقد صدر في جزأين من المدَّة ١٤٠١هـ إلى ١٤٠٣هـ.[(١)]

فالجزء الأول من معجم المنجِّد يغطِّي ما تمَّ نشره في المدَّة من سنة ١٣٧٤هـ إلى ١٣٨٠هـ حيث نُشر فيها أربع مئة وأربعة عشر (٤١٤) عنوانًا، كان نصيب المستشرقين منها ثمانية وخمسين (٥٨) عنوانًا، وهذا يعدل أربعة عشر بالمئة (١٤٪).

والجزء الثاني يغطي ما تمَّ نشره في المدَّة من سنة ١٣٨١هـ

(١) انظر: عبد العظيم الديب. المستشرقون والتراث. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤٦، قد إقتصرت دراسة الدكتور عبد العظيم الديب على الأجزاء الثلاثة الأولى. ولا بدَّ من ملاحظة أنَّ كتاب عبدالجبَّار عبدالرحمن ذخائر التراث العربي الإسلامي يعدُّ عالة على إصدارات صلاح الدين المنجِّد معجم المخطوطات العربية، ولا بدَّ كذلك من ملاحظة أنَّ هناك مخطوطات منشورة من تحقيقات المستشرقين منثورة في الدوريات الاستشراقية لمَّا ترصد بعد. وقد حاول علي البوَّاب استدراكها في عدَّة أعداد من مجلة عالم الكتب، الأعداد الاربعة من المجلد التاسع (١٤٠٨ ـ ١٤٠٩هـ)، والعدد الأوَّل من المجلد العاشر (رجب ١٤٠٩هـ)، وهاتان الملحوظتان قد تقلِّلان من دقة البيانات المستقاة من الكتابين لعَدم شمولهما.

إلى سنة ١٣٨٥هـ، حيث نُشر في هذه المدَّة ثلاث مئة واثنان وخمسون (٣٥٢) عنوانًا، وكان نصيب المستشرقين منها سبعة عشر (١٧) عنوانًا فقط، وهذا يعدل خمسة بالمئة (٥٪).

والجزء الثالث من المعجم يغطي المدَّة من سنة ١٣٨٧هـ إلى سنة ١٣٩٥هـ، حيث نشر فيها أربع مئة وثلاثون (٤٣٠) عنوانًا، وكان نصيب المستشرقين منها ثمانية عشر (١٨) عنوانًا، وهذا يعدل ٤٪.

ولو وزِّعت هذه العنوانات البالغة ألفًا ومئة وستة وتسعين (١١٩٦) عنوانًا على السنين التي غطَّاها المعجم ـ وهي سبع عشرة (١٧) سنة ـ لكان نصيب كل سنة منها سبعين (٧٠) عنوانًا، ونصيب المستشرقين في كل سنة منها خمسة عنوانات ونصف العنوان (٥،٥)، إذ إنَّ النصيب الإجمالي للمستشرقين في السنين كلها ثلاثة وتسعون (٩٣) عنوانًا. وهذا يعدل (٨٪) من مجموع المنشور والمحقق.

وكانت الطريقة التي اتَّبعها عبد العظيم الديب ـ رحمه الله تعالى ـ مع كتاب ذخائر التراث العربي الإسلامي لعبدالجبَّار عبدالرحمن تختلف عنها مع معجم المخطوطات العربية لصلاح الدين المنجِّد، حيث اتَّبع هنا أسلوب العيِّنة العشوائية، فاختار عددًا متساويًا من الصفحات من كل مئة صفحة في الجزء الأول، فحصل على ستٍّ وخمسين بواقع ثماني صفحات من كل مئة

صفحة.[1] على أنَّ الكتاب كلَّه يغطِّي المخطوطات المؤلَّفة في القرون العشرة الأولى للهجرة، ويجعل سنة (١٤٠٠هـ) حدًّا نهائيًا للمنشور منها. وكانت النتيجة أنْ حصر المؤلِّف عبدالعظيم الديب ـ رحمه الله تعالى ـ ثلاث مئة وعشرين (٣٢٠) عنوانًا، كان نصيب المستشرقين منها اثنين وثلاثين (٣٢) عنوانًا، وهذا يعدل عشرة بالمئة (١٠٪).

الاتِّجاهات الفكرية للمنشور

ودرس المؤلفَ عبد العظيم الديب ـ رحمه الله تعالى ـ الاتِّجاهات الفكرية لمنشورات المستشرقين، من حيث المخطوطات من خلال ما أثبته لهم صلاح الدين المنجِّد وعبدالجبَّار عبدالرحمن. وحيث كان نصيب المستشرقين في معجم صلاح الدين المنجِّد ثلاثة وتسعين (٩٣) كتابًا، فقد جاءت على النحو الآتي:

---

(١) انظر: عبد العظيم الديب. المستشرقون والتراث. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٣٠، وقد يشكِّك في الثقة في استخدام العيِّنة وأنها لا تعطي نتائج ثابتة، يفضَّل أخذ العمل كاملاً كما هي الحال مع كتاب معجم المخطوطات العربية لصلاح الدين المنجِّد. وعلى أيِّ حال إذا أضيفت هذه الملحوظة مع الملحوظتين السابقتين تؤكِّد أنَّ مثل هذا المسح إنما يعطي إشارات تمكِّن من الوصول إلى نتائج أولية، وإنْ بقي في النفس شيء من رغبة في مسح ما نُشر من مخطوطات على أيدي المستشرقين، واستقراء هذا المنشور من حيث الاتِّجاهاتُ الفكريةُ للمنشور. ولعلَّ هذه الوقفة تمتدُّ إلى مثل هذا في مجال آخر ـ بإذن الله..

جدول رقم (١) الاتِّجاهات الفكرية

في المخطوطات المنشورة في معجم صلاح الدين المنجِّد.

الفن	عدد الكتب	النسبة
التصوف والفلسفة وعلم الكلام	٤٠	٤٣٪
التاريخ والتراجم	٢٨	٣٠٪
الجغرافيا والرحلات	٤	٣,٤٪
الفقه	٤	٣,٤٪
اللغة والنحو	٣	٢,٣٪
الأدب	٣	٢,٣٪
الشعر والطرائف	٣	٢,٣٪
البلاغة	٣	٢,٣٪
العلوم	٣	٢,٣٪
التفسير	٢	١,٢٪
المجموع	**٩٣**	**٩٩,٧٪**

وحيث كان نصيب المستشرقين من المخطوطات المنشورة في العيِّنة المأخوذة من كتاب ذخائر العرب لعبدالجبَّار عبدالرحمن اثنين وثلاثين (٣٢) عنوانًا، فقد جاءت موزعة على النحو التالي:

جدول رقم (٢) الاتجاهات الفكرية في عيّنة المخطوطات المنشورة في معجم «عبد الجبّار عبد الرحمن»

الفن	عدد الكتب	النسبة
التاريخ	٧	٢١٪
التصوُّف والأخلاق	٤	١٢,٥٪
التراجم	٣	٩٪
الشعر	٣	٩٪
اللغة والنحو	٣	٩٪
الديانات	٢	٦٪
العقيدة والكلام	٢	٦٪
الأدب	٢	٦٪
السيرة	١	٣٪
التفسير	١	٣٪
الحديث	١	٣٪
المجموع	٣٢	٩٨٪

والاتِّجاهات واضحة في الكتب والعنوانات من معجم المخطوطات العربية، حيث برزت فنون التصوُّف والفلسفة وعلم الكلام على بقية الفنون الأخرى بنسبة تعدُّ عالية (٤٣٪) ثم

يليها التاريخ والتراجم (٣٠٪). والتشابُه هنا في علوّ النسبة لدى كتاب ذخائر التراث العربي الإسلامي؛ إذ التاريخ يشكِّل (٢١٪). وهي أيضًا تعدُّ نسبة عالية، ثم يليها التصوُّف والأخلاق (١٢،٥٪)، كما أنَّ هناك تشابُهًا في ترتيب الفنون فيما يتعلَّق بالفنَّين اللذين احتلاَّ المرتبتين الأولى والثانية، وإنْ تنافسا على الأولية في المصدرين، وهذا مؤشِّر في الاتِّجاهات الفكرية التي حرص عليها جماعة من المستشرقين في نشر المخطوطات العربية، مع عدم إغفال أهمِّية الفنون الأخرى، رغم صغر نسبتها.

عيِّنات من المنشور والمحقَّق

عُني كثير من المستشرقين بأمَّهات الكتب، فنشروها وعلَّقوا على بعضها وترجموا بعضها، ويُذكر لهم في هذا مجموعة مما نشروه مثل السيرة النبوية لابن هشام، وفتوح البلدان للبلاذري، والطبقات الكبرى لابن سعد، والمغازي للواقدي، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، وبدائع الزهور لابن إياس، والكامل للمبرِّد، ونقائض جرير والفرزدق، وتاريخ الطبري، والوافي بالوفيات للصفدي ووفيات الأعيان لابن خلّكان، وغيرها.(١)

وفي الوقت نفسه عنوا بنشر المخطوطات الأخرى التي لا

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. المستشرقون ونشر التراث. ـ ط ٢. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. ـ ١٩١ ص.

نستطيع أنْ نقول عنها إنها موضع اتِّفاق بين علماء المسلمين، من حيث قيمتها العلمية أو الثقافية والفكرية،[1] من أمثال: أخبار الحلّاج الحسين بن منصور، والطواسين للحلّاج وطبقات الصوفية للسلمي، والتشوُّف إلى رجال التصوُّف لابن الزيات الشاذلي يوسف بن يحيى، والرسائل الصغرى لابن عياد الرندي، والخلوة والتنفُّل في العبادة ودرجات العابدين للحارث بن أسد المحاسبي، وذمِّ الدنيا لابن أبي الدنيا، والمنتقى من كتاب الرهبان لابن أبي الدنيا، والمسائل للخرَّاز، ومثلى الطريقة في ذمِّ الوثيقة للسان الدين بن الخطيب، والأئمة المستورون للمهدي عبد الله، والشافية لأبي فراس شهاب الدين الإسماعيلي، والهفت والأظلَّة لمفضل بن عمر الجعفي، وتاج العقائد ومعدن الفوائد لعلي بن محمَّد الراعي، والإيضاح لشهاب الدين الراعي، وتنقيح الأبحاث للملل الثلاث لابن كمونة اليهودي سعد بن منصور، ورسالة راهب من فرنسة إلى المقتدر بالله لراهب من فرنسة، والدياسطرون أو الإنجيل الرباعي لططيانس ترجمة ابن الطيّب البغدادي، ومثالب علي بن أبي بشر (أبي الحسن الأشعري) للأهوازي، ورسالة في

(١) ترحِّب بعض شرائح المجتمع المسلم ببعض هذه الأعمال، وتسعى إلى نشرها وتعميمها بين الناس، بينما ترفضها شرائح أخرى، وترى فيها من المبالغات ما يفضي إلى «تخدير» الأمة، ونزوعها إلى الانصراف عن عمارة الأرض والاستخلاف عليها. على أنَّ ما ورد في هذه القائمة لا ينطبق بالضرورة على هذه الرؤية، بل يعكس الحال الفكرية التي كان عليها المسلمون في زمن ازدهار التأليف.

الحكمين وتصويب أمير المؤمنين علي في فعله للجاحظ، والنهج السديد والدرّ الفريد لأبي الفضائل مفضل القطبي المصري، والأخلاق والانفعالات النفسية لابن سينا، وعيون الحكمة لابن سينا أيضًا، وتعبير الرؤيا لأرطاميدس ونقله إلى العربية حنين بن إسحاق، والآثار العلوية لأرسطوطاليس، ورسالة في ماهيّة العدل لمسكويه أحمد بن محمَّد، والحيل (في الفقه) للخصَّاف أبي بكر بن عمرو، وديوان أبي نوّاس، ورسالة التربيع والتدوير للجاحظ (يسخر فيها من أحمد بن عبد الوهّاب، ويهزأ بعيوبه الخَلقية)، والمفاخرة بين الجواري والغلمان للجاحظ،[١] وديوان ابن الفارض.[٢]

وينبغي التوكيد هنا على أنَّ بعض هذه الآثار لها قيمتها العلمية والفلسفية، ومع هذا نجدها تأتي في وقتٍ الحاجة فيه إلى ما هو أكثر علمية وأنفع فائدة من النفائس، ذلك الوقت الذي بدأت فيه الحركة العلمية في البلاد العربية والإسلامية تعود إلى التراث، تجمعه من الخارج وتسعى إلى إخراجه نشرًا ودراسةً وتحقيقًا.

والحقُّ الذي يتبيَّن من مجموعة من الأعمال التي تشيد باهتمام المستشرقين بتحقيق التراث تنظر إلى الاهتمام بالتراث لذاته، وربما أغفلت الاتِّجاهات في تحقيق التراث، ويظهر أنَّ

---

(١) انظر: عبد العظيم الديب. المستشرقون والتراث. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٦ ـ ٣٣.

(٢) المؤتمر السنوي الدولي لكليّة دار العلوم بجامعة المنيا.

دراسة الاتِّجاهات تحتاج إلى وضوح في المعايير التي ستقاس عليها هذه الاتِّجاهات، بحيث لا يكون نشر كتاب غير مرغوب في موضوعه ـ مثلاً ـ يُعدُّ عملاً حسنًا من خلال قياسه على المعايير، أو ربما كان حسنًا إذا ما كان المعيار يحتويه، ولذا فإنَّ الأهمية هنا تكمن في صياغة المعايير، بحيث تكون منبثقة من أصالة الإسلام التي عرفتها القرون الأولى، فيخرج منها كل من يمكن أنْ يكون قد أسهم في الابتعاد عن هذه الأصالة من إسهامات المسلمين الأوائل أنفسهم، مما كان مجالاً للتحقيق والنشر عند المستشرقين، وعند عدم الالتزام بمثل هذه الجزئية للمعيار وعدم مراعاته فإنَّ في هذا سببًا في أنْ يُنظر إلى عمل واحد على أنه حسن، كما يُنظر إليه نفسه على أنه عمل سيِّئ. وربَّما جاء نشر هذا العمل غير المرغوب فيه من أجل الردِّ على ما ورد فيه وتفنيده، ولا سيَّما في مجال العقائد، فلا ينبغي أنْ يكون المعيار أو المعايير تنزع إلى التضييق في نوعية المنشور.

وعلى أيِّ حال فإنَّ خدمة التراث «ميدان واسع متشعِّب الجوانب بدءًا بجمع المخطوطات وانتهاءً بتحقيقها».(١) ولا تقف جهود المستشرقين عند جمع المخطوطات وصيانتها

---

(١) انظر: سامي الصقّار. دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي. ـ المنهل. ـ مج ٥، ع ٤٧١، السنة ٥٥. ـ ص ١٤٢ ـ ١٦٧. ويؤكِّد الدكتور الصقّار في إسهامات أخرى على الإشادة بأعمال المستشرقين في مقابل غمط الحق مما تأباه الروح الإسلامية.

وتحقيقها ونشرها أو تصنيفها وفهرستها، بل ربما زادوا على ذلك بالتعريف بها والكتابة عنها وترجمتها إلى اللغات الأخرى.

وإذا ثبت حكمٌ أو ظهرت نتيجة من خلال دراسة اتِّجاهات المستشرقين في نشر المخطوطات بُني على النتيجة الحكم الموضوعي الذي يعمل على حسم الموقف من تحقيق التراث، فيخفِّف من الاندفاع أيضًا في عدم الثقة بهذه الوسيلة من وسائل المستشرقين في العمل مع مصادر المعلومات الإسلامية.[1] وربما يترك حكمًا وسطًا بين الاندفاعين، فيحفظ لأهل الفضل فضلهم، ويبيِّن التجاوُزات والانحرافات والإساءات والأخطاء، كما يبيِّن أسبابها ومسوِّغاتها، حتى لا تكون كلها دليلاً عليهم. وبهذا نتجنَّب الثناء المطلق، كما نتجنب التحامُل المطلق الذي «يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي سجَّلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال، وما تطرَّقوا إليه من أبحاث».[2]

في مجال تنظيم المعلومات «الفهرسة والتكشيف»

ولجمع من المستشرقين جهودهم في مجالات الفهرسة

(١) انظر: مصطفى السباعي. الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم. ـ ط ٣. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م. ـ ص ١٢ ـ ١٣.

(٢) انظر: مصطفى السباعي. الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٣.

والتكشيف. ويُذكر هنا العمل الكبير الذي قاموا به بإشراف أرنيت يان فنسنك[1] وآخرين بعنوان المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، الذي ظهر في سبعة أجزاء، وغطًّى الكتب الستَّة ومسند الدارمي وموطّأ الإمام مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل. والعمل الآخر الذي قام به فنسنك، نفسه حيث حاول حصر الأحاديث النبوية مرتَّبة ترتيبًا هجائيًا، ونقله إلى العربية فؤاد عبدالباقي بعنوان مفتاح كنوز السنّة، وكانت طبعته الأصلية قد ظهرت في حجم الربع، ونشرها بريل في ليدن سنة ١٩٣٤م في ١٨، ٢٦٨ ص، وطبع في مصر بالعربية سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

ويُذكر هنا في هذا المجال كشَّاف نجوم الفرقان في أطراف القرآن للمستشرق الألماني جوستاف فلوجل،[2] ونُشر في لايبتزج بألمانيا سنة ١٨٤٢م. وكشَّاف تفصيل آيات القرآن

---

(١) أرنيت يان فنسنك (١٨٨٢ ـ ١٩٣٩م) مستشرق هولندي كان تلميذًا لهوتسما، ودي خويه، وهورجرونيه وسخاو. رسالته للدكتوراة كانت عن «محمّد واليهود في المدينة» استعان بمئة وثلاثين باحثًا لوضع المعجم المفهرس من سنة ١٩١٦م. انظر عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٢) جوستاف فلوجل (١٨٠٢ ـ ١٨٧٠م) درس اللغات الشرقية في لايبتزج، ثم أقام في فينا وباريس ثم عاد لألمانيا. وعمل على وضع فهارس للمخطوطات العربية والفارسية والتركية في مكتبة فيينّا، توفي في درسدن، انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٢: ٣٦٣ ـ ٣٦٤.

الحكيم، الذي وضعه بالفرنسية جول لابوم،(١) ونقله إلى العربية أيضًا محمَّد فؤاد عبدالباقي، وفيه ترتيب للآيات القرآنية ترتيبًا موضوعيًا.(٢)

ويُذكر ـ كذلك ـ العمل الذي قام به كل من فيشر وبرويونلخ، حيث حاولا حصر شواهد الشعر في أمَّهات كتب النحو العربية في كتاب صدر في كل من لايبتزج بألمانيا وفيينّا بالنمسا بين سنة ١٩٣٤م ـ ١٩٥٤م، وطبعته أوتو تزيلر في أوزنا بروك بألمانيا سنة ١٩٨٢م في ٣٥٢ صفحة.(٣)

وتُذكر أعمال أخرى كثيرة حول فهرسة المخطوطات العربية الموجودة في المكتبات والمتاحف الغربية، وهناك أكثر من مستشرق عني بهذا العمل يصعب حصرهم هنا، ويُذكر منهم المستشرق الألماني فيلهلم آلورد،(٤) الذي وضع فهرسًا

---

(١) جول لا بوم ذكره عبد الستار الحلوجي في المرجع التالي. ولم أقف له على ترجمة في مظانه.

(٢) انظر: عبد الستار الحلوجي. جهود المستشرقين في مجال التكشيف الإسلامي. ـ مجلّة كليّة اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية بالرياض. ـ ع ٦، (١٣٩٦هـ ـ ١٩٨٦م). ـ ص ٧٤٩.

(٣) Fischer und E. Braunlich. Shawahid - indices. Osnabruck: Otto Zeller, 1982 - 352 PP.

(٤) فيلهلم آلورد (١٨٣٨ ـ ١٩٠٩م). وكان يوقِّع وليم بن الورد. مستشرق ألماني، تعلَّم العربية وأولع بها، ونسخ مخطوطاتها، وعمل على تحقيقها ونشرها، وضع فهرس مكتبة برلين، نشر الدواوين والأشعار. انظر: نجيب العقيقي. ـ المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٢: ٣٨٣.

للمخطوطات العربية بمكتبة برلين في عشرة مجلدات، وصدر هذا الفهرس في نهاية القرن الميلادي التاسع عشر، وحوى نحو عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) مخطوطة.[١] وقد عمل الأستاذ فؤاد سزكين على حصر الفهارس في مكتبات العالم ضمن العمل الذي قام به حول تاريخ التراث العربي،[٢] وقبله عمل كارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي على حصر بعض فهارس المخطوطات في مكتبات العالم.[٣]

ولا شكَّ في تأثير هذه الأعمال الحصرية على المكتبة العربية، وعلى الباحث العربي، ومع هذا فهي لا تكاد تخلو من ملحوظات، بعضها يدخل في جانب التقصير البشري الذي

---

(١) انظر: سامي الصقّار. دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي. ـ المنهل. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٥٦. وانظر مناقشة الفهارس عند: أحمد محمَّد شاكر في مقدِّمة الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي/ بتحقيق وشرح أحمد محمَّد شاكر. ـ ٥ ج. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت. ـ ١: ٤٣ ـ ٦٢.

(٢) انظر: فؤاد سزكين. تاريخ التراث العربي: مجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم/ نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي. ـ الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م. ـ ص ٢٨١، وانظر أيضًا مناقشة فهارس المخطوطات عند عبد الستار الحلوجي. فهارس المخطوطات. في: دراسات في الكتب والمكتبات. ـ ص ١٥٥ ـ ١٦٨.

(٣) انظر: كارل بروكلمان. تاريخ الأدب العربي. ـ ٤ ج/ نقله إلى العربية السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التوّاب. ـ القاهرة: دار المعارف، (١٩٨٣م). ـ ص ٢٠ ـ ٤٠.

يصاحب أيَّ عمل جادٍّ ومضنٍ، وبعضها الآخر قد يتعدَّى مجرَّد ذلك إلى ما يدخل في الخطأ والإساءة والانحراف في التبويب أو التكشيف أو الترتيب أو الفهرسة، مما قد يدخل في الأسباب غير العلمية.

وقد لاحظ المراجعون لما هو متوافر من هذه الكشّافات والفهارس في المكتبة العربية شيئًا من هذا القصور الذي يستحقُّ المتابعة. وخير ما يُذكر في هذا المقام وقفة سعد المرصفي مع أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ومع أنه لم يعمد إلى استقصاء الأخطاء في المعجم، إلا أنه وصل أربع مئة وتسعة وسبعين (٤٧٩) نموذجًا للأخطاء، كلها تتعلَّق بصحيح مسلم أحد موادِّ المعجم التسع، وزَّعها على سبع مجموعات، ويورد لكل مجموعة نماذج من الأخطاء التي وقفت عليها على النحو الآتي:(١)

المجموعة الأولى

التحريف في العبارة: واختار مثالاً لهذه المجموعة النموذج رقم (٢٦) في الكتاب، حيث ورد في الجزء السابع من المعجم، ص٣٠٣ في مادة «وكع» كلمة فوكعت في جملة

(١) انظر: سعد المرصفي، أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ـ الكويت: دار القلم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ـ ص ٢١٠.

«فقدمنا المدينة فوكعت شهرًا» والأصل أنها فوعكت شهرًا.[1]

المجموعة الثانية

الخطأ في العزو: ومثاله النموذج رقم (٦٦)، حيث ورد في الجزء السابع ص٣٨٢ في مادَّة «يمن» جملة «كان يسلِّم ثم يقول السلام... عن يمينه وعن يساره»، فأشار إلى ورودهما في مسلم، إقامة ٢٨، وهو خطأ، حيث لا يوجد في مسلم كتاب باسم الإقامة.[2]

المجموعة الثالثة

الخطأ في الإشارة إلى الكتب: ومثاله ورود مادَّة «جنب» في الجزء الأول ص ٣٨٠، في جملة «وجنِّب الشيطان ما رزقتنا» مشارًا إليها في مسلم، طلاق ٦، وهو خطأ، والصحيح أنها في ١٦ النكاح ١١٦.[3] وأراد بالكتب هنا تقسيم الكتاب إلى مجموعة أبواب عبَّر عنها السلف بالكتب، وهي أقرب إلى رؤوس الموضوعات.

---

(١) انظر: سعد المرصفي، أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ـ المرجع السابق. ـ ص ٧٦.

(٢) انظر: سعد المرصفي، أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ـ المرجع السابق. ـ ص ٩٠.

(٣) انظر: سعد المرصفي، أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ـ المرجع السابق. ـ ص ٩٦.

المجموعة الرابعة

الخطأ في الإشارة إلى أرقام الكتاب الواحد: ومثاله النموذج رقم (١٢)، حيث ورد في الجزءَ الرابع، ص ١٥٣ في مادَّة عدل جملة «إمام عادل» مشارًا إليها في مسلم، زكاة، وهو خطأ، والصحيح أنها في ١٢ ـ زكاة ٩١ (١٠٣١)، وهي فيه «الإمام العادل» بأل التعريف.[١]

المجموعة الخامسة

وضع اللفظ في غير مادَّته: واختار له مثالاً النموذج رقم (١٥)، حيث ورد في الجزء الأول ص ٢٧٢ كلمة «ترياق» في مادَّة «ترى» وهو خطأ، والصواب وضعها في مادَّة «ترق» وهي في «وإنها ترياق أول البكرة» ٣٦ ـ الأشربة ١٥٦ (٢٠٤٨).[٢]

المجموعة السادسة

المخالفة في الترتيب والتداوُل: ومثالها في النموذج رقم (١٣)، حيث ورد في الجزء الأول (ص ٣٦١ ـ ٣٦٢) مادَّة «جمم» قبل «جمح» والمشهور المتداول وضعها بعد «جمل» وهي في «فئتي الناس الماء جامين رواء» ٥ ـ المساجد.[٣]

---

(١) انظر: سعد المرصفي، أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٢٣.

(٢) المرجع السابق. ـ ص ١٣٧.

(٣) المرجع السابق. ـ ص ١٤٩.

عدم الاستيعاب، ومثاله النموذج (٤)، حيث لم يذكر في المعجم الجزء الثالث ص ١٢٤ مادَّة «شطر» في «الطهور شطر الإيمان»، مع ورودها في مسلم، ٢ ـ الطهارة ـ ١ (٢٢٣).[١]

وإذا كان في المستشرقين رجالٌ أحرارُ الفكر لا يقصدون إلى التعصُّب، ولا يميلون مع الهوى، فإنَّ غالبيتهم أخذوا العلم ـ في الغالب ـ عن غير أهله، «وأخذوا من الكتب، وهم يبحثون في لغة غير لغتهم، وفي علوم لم تمتزج بأرواحهم، وعلى أسس غير ثابتة وضعها متقدِّمون، ثم لا يزال ما نشأوا عليه واعتقدوا يغلبهم، ثم ينحرف بهم عن الجادة. فإذا هم ساروا في طريق آخر، غير ما يؤدِّي إليه حرية الفكر والنظر السليم».[٢]

ويقول أحمد محمَّد شاكر: «ومعاذ الله أنْ أبخس أحدًا حقَّه، أو أنكر ما للمستشرقين من جهد مشكور في إحياء آثارنا خالدة، ونشر مفاخر أئمتنا العظماء، ولكني رجل أريد أنْ أضع الأمور مواضعها، وأنْ أقرَّ الحقَّ في نصابه، وأريد أنْ أعرف الفضل لصاحبه، في حدود ما أسدى إلينا من فضل، ثم لا أجاوز به عن حدِّه، ولا أعلو به عن مستواه، ولكني رجل

---

(١) انظر: سعد المرصفي، أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٧٧.

(٢) انظر: أحمد محمَّد شاكر. في الجامع الصحيح. ـ مرجع سابق. ـ ١: ١٩ ـ ٢٠.

أتعصَّب لديني ولغتي أشدَّ العصبية، وأعرف معنى العصبية وحدَّها، وأنْ ليس معناها العدوان، وأنْ ليس في الخروج عنها إلا الذلُّ والاستسلام، وإنما معناها الاحتفاظ بمآثرنا ومفاخرنا، وحوطها والذود عنها، وإنما معناها أنَّ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأعرف أنه «ما غُزي قوم قطُّ في عقر دارهم إلا ذلُّوا» قد ـ والله ـ غُزينا في عقر دارنا، وفي نفوسنا، وفي عقائدنا، في كل ما يقدِّسه الإسلام ويفخر به المسلمون.

وكان قومنا ضعافًا، والضعيف مغرًى أبدًا بتقليد القوي وتمجيده، فرأوا من أعمال الأجانب ما بهر أبصارهم، فقلَّدوهم في كلِّ شيء، وعظَّموهم في كلِّ شيء، وكادت أنْ تعصف بهم العواصف، لولا فضل اللَّه ورحمته».[1]

الخاتمة: الخلاصة والنتيجة

في العرض السابق محاولة لإعطاء أمثلة مقتبسة من مصادر عربية تحدَّثتْ عن ظاهرة الاستشراق، وأبرزتْ في حديثها شيئًا مما أسهم به بعض المستشرقين في تشويه الآثار الإسلامية حول الرجال الذين نعدُّهم قادةً في العلم والفكر والسياسة، وحول ظواهر نعدُّها من مقوِّمات هذا الدين.

---

(١) انظر: أحمد محمَّد شاكر. في الجامع الصحيح. ـ المرجع السابق. ـ ١: ٢٠.

وربَّما تكون هذه المحاولة ظاهرةَ الميل إلى الحكم العامّ على إسهامات المستشرقين بأنها لم تكن في مصلحة الدراسات الإسلامية، وأنها لم تتعامل مع مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين بتجرُّد وموضوعية مطلوبة من كل عالم يخوض في مجالات العلم، مهما كانت انتماءاته العقدية والفكرية.

وليست هذه المحاولة بشاملة لهذه الهفوات التي وقع فيها كثير من المستشرقين، إذ إنَّ إسهامات الكُتَّاب المسلمين لا تزال تترى لتبيان الأخطاء التي تصرُّ عليها هذه الفئة من المستشرقين ضدَّ الإسلام والمسلمين. وهي على العموم أخطاء مقصودة في غالب الأحيان، وإنْ كانت هناك هفوات «عفوية» ما أرادها بعض المستشرقين لذاتها، ولكنهم وقعوا فيها لاعتمادهم على أترابهم الذين وقعوا هم فيها من قبلُ.

وحيث إنَّ الأمر يحتاج إلى مزيد بحث ودراسة مستقلَّة تطغى عليه العلمية ويقودها منهج البحث الموضوعي فإنَّ الوصول إلى النتيجة يحتاج إلى مزيد من الاقتناع والإقناع.

وقد قدَّم لنا المسهمون في نقد آثار المستشرقين أنفسهم الأرضية التي يمكن أنْ نسير عليها في سبيل الوصول إلى النتيجة. وقد يقال إنَّ الإسهامات وحدها كفيلة بالوصول إلى النتيجة دون مزيد بحث أو دراسة، إلا أنَّ هذه الإسهامات قد طغى عليها ـ في غالبها ـ التعميمات التي تريد أنْ تثبت ما وصلت إليه عن طريق الاستشهاد بأكثر من عمل لأكثر من

مستشرق في أكثر من فرع من فروع المعرفة. بل إنَّ من الإسهامات حول هذه الظاهرة ما لا يتعدَّى كونه ترديدًا لمفهومات قديمة مكرَّرة من محاضرة ألقيت، أو كتاب أُلِّف في بدايات مناقشة ظاهرة الاستشراق، ويحصل في هذه المجموعة شيء من الخلط يعمد إليه المستشرقون أنفسهم، يستشهدون به، ويردُّون به على أولئك الذين يرغبون في حوار علمي مباشر تنجلي من خلاله كثير من المغالطات.

وهذا لا يغفل وجود دراسات متخصِّصة حول إسهامات المستشرقين في موضوعات محدَّدة كالقرآن الكريم،(١) وسيرة الرسول ﷺ(٢) وأحاديثه ﷺ(٣) والتشريع الاسلامي

---

(١) انظر على سبيل المثال: محمَّد صالح البنداق. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم. ـ مرجع سابق. ومحمّد حسين علي الصغير. المستشرقون والدراسات القرآنية. ـ بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ص ١٣٤. وزاهر عواض الألمعي. مع المفسِّرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش: دراسة تحليلية. ـ ط ٤. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ص ١٢٧.

(٢) انظر مثلاً نذير حمدان. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين. ـ ط ٢، جدة: دار المنارة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. ـ ص ٢٠٧، ومحمّد سرور بن نايف زين الدين. دراسات في السيرة النبوية. ـ برمنجهام: دار الأرقم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م. ـ ص ٣٦٦. وجوستاف بفانملر. سيرة الرسول في تصوُّرات الغربيين/ ترجمة محمود حمدي زقزوق. ـ المحرَّق (البحرين): مكتبة ابن تيميّة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ص ٥٦.

(٣) انظر مثلاً سعد المرصفي. أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ـ مرجع سابق.

ومصادره[1] والعقيدة،[2] والتاريخ الإسلامي،[3] ونحوها من الإسهامات المتخصِّصة التي تحتاجها المكتبة العربية قصدًا إلى الوصول إلى النتيجة.

والنتيجة الأوَّلية التي تدعو إليها معظم هذه الإسهامات هي الدعوة الصادقة إلى العلماء المسلمين والمفكِّرين للاستغناء عن إسهامات المستشرقين وإسقاط جانب الدراسات والتعليقات من قائمة مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين إلا ما جاء للرَّدِّ والمناقشة. وهذه دعوة سهلة للوضع النظري وتتلبَّسها العاطفة، ولكنها من الناحية العملية سابقة لأوانها؛ لأنَّ عاملَي الاقتناع والإقناع لا يزالان في مراحلهما الأولى.

وليس من السهل الميسور أنْ يقف مثلي هذا الموقف داعيًا

---

(١) انظر مثلاً: عجيل جاسم النشمي. المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي. ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. ـ ص ٢٥٦.

(٢) انظر: زيد بن أحمد بن زيد العبلان. الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية: دراسة ومناقشة وتحليل. ـ بحث مقدَّم لنيل درجة الماجستير في العقيدة إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بكليّة أصول الدين بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠٦هـ. ـ ص ٦١٣. (مخطوطة).

(٣) انظر مثلاً: شوقي أبو خليل. موضوعية فيليب حتِّي في كتابه، تاريخ العرب المطوَّل. ـ دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م. ـ ص ٢٢٢. وعبد الكريم علي الباز. افتراءات فيليب حتِّي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي. ـ جدة: تهامة، ١٤٠٢هـ. ـ ص ١٧٤.

إلى مثل هذه النتيجة، لأنَّ مدَّة قبولها مرهون بمدى تعمُّق الداعي نفسه في هذه الظاهرة (الاستشراق)، وإلمامه بجلِّ جوانبها، بحيث يكون ما يقوله أو يدعو له مستندًا على تلك الأرضية التي مهَّدها لنا أولئك الذين تتبَّعوا المستشرقين ولا يزالون. وأخصُّ منهم هنا الجادِّين الذين لا يمثِّلون صدًى للآخرين؛ لمجرَّد أنهم متحمِّسون لفكرة، وغيورون على انتمائهم الثقافي من تلك الفئة التي تعتقد اعتقادًا لا يخلو من السطحية أنَّ نظرية المؤامرة تلاحق هذه الثقافة من كل مكان ووجهة.(١)

يقول المستشرق الأمريكي دونالد ليتل:(٢) «نعم، الاستشراق ليس شرًّا كلُّه، كما يعتقد البعض ممن ترسَّبت في نفوسهم الكراهية للغرب الاستعماري، حتى أغلقوا وأيقنوا أنَّ كل ما يهبُّ من الغرب لا يمكن إلا أنْ يكون رياح المؤامرات والدسِّ والفتن والكيد للإسلام والمسلمين. وفي هذا ظلم كبير لبعض المستشرقين ولأنفسنا أيضًا، لأننا بهذا الموقف نحرم ثقافتنا الإسلامية من ثمار عقول لا يحرِّكها إلا حبُّها للحقيقة،

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل. ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٢٣٠ ص.

(٢) دونالد ليتل أستاذ غير متفرِّغ في معهد الدراسات الإسلامية بجامعة ماكجريل بكندا، تخرَّج في جامعة كاليفورنيا. له عناية خاصة بالتاريخ والحضارة الإسلامية.

ونقيم حاجزًا بين أنفسنا وبين علماء ينفقون سنوات عمرهم في محاولة الاقتراب منا واستيعاب ثقافتنا وفهمها». [1]

وكلام ليتل يوحي بانتمائه للإسلام، فإن يكن مسلمًا فإنه حينئذٍ لا يصدُق عليه أنْ يقال عنه إنه مستشرق. ومن غير الصواب قول بعضهم عن مستشرقٍ أسْلَمَ «المستشرق المسلم»، إذ لا يجتمعان.

كما يقول حمد الجاسر: «إنَّ القارئ العربي كثيرًا ما تعتريه حالةٌ من الريبة والشكِّ حيال كتابات الغربيين عن العرب، وهي حالة مع منافاتها للحكمة العربية القديمة: (الحكمة ضالّة المؤمن يلتقطها حيث وجدها)، لا تتَّفق مع المنطق القويم في شيء، فالحقُّ يجب قبوله، أيًّا كان مصدره، والباطل لا يتوقَّف رفضه على معرفة مصدره، وأولئك ـ بحكم بعدهم عنا، وجهلهم لأحوالنا في الماضي ـ تشوب كتاباتهم عنا شوائب من الخطأ، لا ينبغي أنْ تكون حائلاً بيننا وبين المعرفة، بل الأجدر بها أنْ تكون من الحوافز التي تدفعنا إلى معرفة كل ما يُكتب عن بلادنا وتاريخها، لتقبل الحقَّ وتنتفع به، وتنفي الزيف وتأباه. ثم الكمال ـ من قبلُ ومن بعدُ ـ لمن له الكمال». [2]

---

(١) انظر: سامي الصقّار. دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي. ـ المنهل. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٤٣، نقلاً عن مجلّة المسلمون. ـ ع ٥، (١٥/ ٢/ ١٤٠٢هـ ـ ٢٧/ ١١/ ١٩٨١م). ـ ص ٤٢.

(٢) انظر: جاكلين بيرين. اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم/ نقله إلى العربية قدري قلعجي، قدّم له حمد الجاسر. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت. ـ ص ١٦.

١ ـ والاستغناء عن الاعتماد على إسهامات المستشرقين في مجالات الدراسات والتعليقات على مصادر المعلومات الإسلامية يمكن أنْ يبدأ مرحليًا، بحيث لا نصرُّ ـ مثلاً ـ على الباحثين في العلوم العربية والإسلامية أنْ يجعلوا ضمن مراجعهم في بحوثهم ودراساتهم المراجع الأجنبية التي لا يقتضيها البحث، ولا يكون هذا ديدنهم إلا إذا كان البحث يتطلَّب ـ علميًا ـ مثل هذا الاستشهاد. وقد رأينا بحوثًا، في التاريخ الإسلامي خاصَّة، كثيرة المصادر والمراجع العربية، ثم يضع الباحث في ختامها مجموعة من المراجع الأجنبية ومعظمها لمستشرقين. ويظهر في هذا شيءٌ من التكلُّف وعدم الاقتناع من الباحث. فيُزال هذا المطلب الضمني، وتعتمد عليه علمية البحث أو الرسالة على مدى اقتصارها على أمَّهات الكتب والمصادر الموثوقة والمراجع المقبولة.

٢ ـ كما يمكن أنْ يبدأ الاستغناء هذا بعدم التبجُّح بالاستشهاد بأقوال المستشرقين، التي تبدو فيها الإيجابية حول مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين. ولا إخال الإسلام بحاجة إلى هذه الأقوال، إذا ما كان موضع اقتناع كامل من أهله العلماء والمفكِّرين وعامَّة الناس. فحاول الجميع غرس الثقة بالموروث الثقافي، وبخاصَّةٍ ما صلح منه.

٣ ـ ويمكن أنْ يبدأ الاستغناء أيضًا عن إسهامات المستشرقين في مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين في

مجالات الدراسة والتعليقات، عندما يتحقَّق البديل لهذه الدراسات والتعليقات باللغة العربية أولاً، ثم باللغات الأخرى التي يتخاطب بها المسلمون ثانيًا، ثم باللغات الباقية الأخرى ثالثًا. هذا البديل الذي يُراد منه أنْ يسدَّ النقص في مجالات كثيرة، لا تقتصر على الدراسات الإسلامية التي تملأ الساحة اليوم، بل تتعدَّى هذا إلى إيجاد الأدوات المرجعية كالموسوعة الإسلامية المؤصلة،(١) والوراقيات «الببليوجرافيات» العربية للإسهامات الإسلامية،(٢) وتعدُّد مراكز البحوث التي تهتمُّ بالمخطوط العربي دراسة وتحقيقًا ونشرًا وصيانة.(٣)

ويعلم كثير من المتابعين أنَّ هناك دراساتٍ وتحقيقاتٍ لمخطوطات أريد منها الحصول على مؤهِّلات علمية عالية، ثم بقيت عند أصحابها والمؤسَّسات التعليمية التي أجازتها مطبوعة بالآلة الكاتبة أو على تقنية النسخ الحديثة، واعتمد نشرها على قدرة الباحث المادِّية على تحمُّل نفقات نشر هذا الإنتاج، وهناك

---

(١) انظر المناقشة الجيدة للموسوعة العربية عند نسيم الصمادي. دائرة العارف العربية: أزمة فكر لا أزمة نشر. ـ مرجع سابق.

(٢) انظر المناقشة الجيدة لتجميع التراث المخطوط عند: عبد الستّار الحلوجي. نحو خطَّة عربية لتجميع تراثنا المخطوط. ـ في: دراسات في الكتب والمكتبات. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٦٩ ـ ١٨١.

(٣) انظر المناقشة الجيدة حول دراسة المخطوط عند عبد الستّار الحلوجي. مسؤولية جامعاتنا تجاه تراثنا المخطوط. ـ المرجع السابق. ـ ص١٨٣ ـ ١٩٠.

بدائل أخرى كثيرة ذات علاقة مباشرة بخدمات المكتبات والمعلومات من وراقيات «ببليوجرافيات» وفهارس وكشّافات، ونحوها مما لا يستغني عنه الباحث اليوم، وإنْ وجدت هذه بكثافة أسهمت في تحقيق الدعوة إلى الاستغناء عن إسهامات المستشرقين في دراسات مصادر المعلومات الإسلامية.

٤ ـ ثم يمكن أنْ يبدأ الاستغناء هذا عندما تقوم المؤسَّسات العلمية المتخصِّصة بدراسة ظاهرة الاستشراق بتوجيه جهودها إلى المستشرقين أنفسهم بلغاتهم، وتحاورهم محاورات علمية، وتناقشهم مناقشات موضوعية، وتناظرهم مناظرات هادئة، يُقصد من ورائها كلها الوصول إلى الحقّ. فيُعترف من خلال المؤسسات العلمية المتخصِّصة بدراسة الاستشراق بالجيد المقبول من الإسهامات الاستشراقية، ويردُّ غيرها مما حصل فيه خلط أو سوء فهم أو قصد إلى المغالطات. والمحاورات والمناظرات يمكن أنْ تكون مباشرة من خلال الندوات والمؤتمرات والحلقات العلمية وغيرها، أو يمكن أنْ تكون عن طريق الدراسات والأبحاث والمقالات التي تُنشر في دوريات علمية محكَّمة رصينة.

والوسائل متعدِّدة، وكل ما أسهم في تذليل عقبات اللقاء مع المستشرقين قصدًا إلى الاستغناء عن الاعتماد عليهم في مجالات الدراسات والتعليقات فهو مقبول، ما دام لا يجرُّ إلى محذور يدخل في متاهات أخرى، وإنْ كان البعض ربما لا

يروقه مثل هذا الأسلوب، ويرى إغفال القوم وعدم إعارتهم أيَّ انتباه مباشر، والاستمرار في الوقوف مع إسهاماتهم نقدًا ومراجعة. ولا يظهر أنَّ هذا الموقف سوف يغنينا عن الاعتماد على إنتاج المستشرقين العلمي مصدرًا من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين، وعن تراث المسلمين في ماضيهم وحاضرهم.

ولا يظهر أنَّه من الحكمة تجاهُل هذا الأمر، وإثارة سؤال استنكاري حول التصدِّي لإسهامات المستشرقين في إثراء المكتبة الإسلامية بالأعمال حين يُقال: ثم ماذا؟! ماذا يهمُّنا أنْ يقول عنا المستشرقون ما يقولون؟! ويظهر ـ كذلك ـ أنَّه من الحكمة إعطاء هذا الأمر ما يستحقُّ، لأنَّه يبدو أنه جزء مهمٌّ وفاعل في محاولة نزع سلطان الدين من النفوس.

الفصل الرابع

رحلات المستشرقين مصدرًا من مصادر المعلومات عن العرب والمسلمين[1]

«إنَّ القارئ العربي كثيرًا ما تعتريه حالةٌ من الرِّيبة والشكِّ حيال كتابات الغربيين عن العرب، وهي حالة مع منافاتها للحكمة العربية القديمة: (الحكمة ضالَّةُ المؤمن يلتقطها حيث وجدها)، لا تتَّفق مع المنطق القويم في شيء، فالحقُّ يجب قبوله، أيًّا كان مصدره، والباطل لا يتوقَّف رفضه على معرفة مصدره، وأولئك ـ بحكم بعدهم عنا، وجهلهم لأحوالنا في الماضي ـ تشوب كتاباتهم عنا شوائب من الخطأ، لا ينبغي أنْ تكون حائلاً بيننا وبين المعرفة، بل الأجدر بها أنْ تكون من الحوافز التي تدفعنا إلى معرفة كل ما يُكتب عن بلادنا وتاريخها،

(١) نُشر هذا الفصل في مجلّة مكتبة الملك فهد الوطنية. ـ مج ١، ع ١، (محرّم ١٤١٦هـ/ يونيه ١٩٩٥م). ـ ص ٣٩ ـ ٨١.

لتقبل الحقَّ وتنتفع به، وتنفي الزَّيف وتأباه. ثم الكمال ـ من قبلُ ومن بعدُ ـ لمن له الكمال». [(١)]

حمد الجاسر

التمهيد

المعلومات عن الإسلام والمسلمين تمتدُّ زمانيًا إلى ألف وأربع مئة وخمس وأربعين سنة وتزيد، كما تمتدُّ مكانيًا فتشمل العالم القديم والحديث على حدٍّ سواء، وإنْ كان منشأ المعلومات قد انبعث من مكَّة المكرَّمة ثم المدينة المنوَّرة، مع بعثة محمَّد بن عبد اللّه ﷺ إلى الناس كافَّة. وتمتدُّ لغويًا، بحيث تشمل اللغات العالمية الحيَّة، وبعض غير الحيَّة، وإنْ كانت اللغة العربية هي الأساس في نقل المعلومات الإسلامية، وبها نزل القرآن الكريم، وتحدَّث بها المسلمون الأوائل، ولا يزال كثير منهم يتحدَّث بها. وتمتدُّ وعائيًا فتشمل الأوعية التقليدية من المخطوطات والكتب، وغير التقليدية من المطبوع وغير المطبوع.

وهي معلومات مَشَاعٌ لا يملك أحد من الناس الحجر عليها، فهي متاحة للجميع، وليس لدى المسلمين إجراءات، كهنوتية أو غير كهنوتية، تحجب معلوماتهم عن بعض منهم أو

---

(١) انظر: جاكلين بيرين. اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٦.

عن غيرهم. ومن أجل هذا كان الاشتغال بعلوم المسلمين الأصلية والفرعية متاحًا للمسلمين ولغيرهم.

وقد اصطلح على تسمية المشتغلين بعلوم المسلمين من غير المسلمين بالمستشرقين، وهو اصطلاح لا يقتصر على المشتغلين بعلوم المسلمين من غير المسلمين، بل إنَّ أصل إطلاقه كان، ولا يزال، يشمل المشتغلين بالشرق من غير الشرقيين، على ما سبق بيانه.

والحديث عن الاستشراق والمستشرقين حديث لا يخلو غالبًا من تدخُّل الهوى وسيطرة العاطفة على المنتمين إلى الثقافة التي يتحدَّث عنها المستشرقون، ذلك أنَّ الاستشراق يطرق موضوعات ذات صلة قويَّة بالمبادئ والمُثُل التي تقوم على الدين علمًا وثقافةً، حتى أولئك الذين لا يُعطون الانتماء الديني من أبناء الدين نفسه اهتمامًا لا تخلو مناقشتهم من الهوى والعاطفة، التي قد تكون على حساب الانتماء، ولمصلحة الطرف الآخر، نتيجة الانبهار بالجهود التي يقوم بها المستشرقون في دراسة الإسلام والمسلمين.

وينبغي النظر إلى الاستشراق المهتمّ بالإسلام(١) على أنه ميدان واسع طَرَق علماؤه مجمل فروع المعرفة الإسلامية وعلوم

---

(١) سيأتي عند الحديث عن مفهوم الاستشراق وتقييده بما يتعلَّق بالدراسات العربية والإسلامية، وهو منطلق الحديث عن هذا الموضوع..

المسلمين بدءًا بالقرآن الكريم وعلومه والسنَّة النبوية، وسيرة الرسول ﷺ وعلم الرجال، والفقه والعقيدة والمعاملات والظاهرات الاجتماعية في الزمن الذي مضى وفي الوقت الراهن، ولذا فإنَّ الحديث عن ظاهرة الاستشراق، دون الغوص في جزئياتها، والتخصُّص في جانب محدَّد منها، قد تطغى عليه العموميات، ويسيطر عليه في الغالب التعميم في الأحكام، الأمر الذي يحتاج إلى إعادة نظر في أسلوب دراسة الاستشراق والمستشرقين، من حيث كونُها ظاهرة من الظاهرات التي صحبت انتشار الإسلام وعلومه في العالم القديم والحديث.[١] وفي هذا يقول المستشرق ستوري[٢] «إنكم في البلاد العربية تعتقدون أنَّ جميع المستشرقين متعصِّبون على الإسلام. وما أرى هذا الاعتقاد صحيحًا دون قيد. نعم، إنَّ هناك فريقًا تعصَّب

(١) هناك نقاش حول كُنه الاستشراق، من حيث كونُه ظاهرةً أو علمًا، فبعض المفكِّرين المسلمين يرى أنه مجرَّد ظاهرة، لا ترقى إلى أنْ تكون علْمًا، لافتقارها إلى مقوِّمات العلم، من حيث وجودُ نظرية وأُطر علمية يسير عليها، مثله في ذلك مثل التنصير والاحتلال، بينما يرى مفكِّرون آخرون أنه علم قائم بذاته له أطره ومنهجيَّته وأهدافه ووسائله. انظر: علي بن إبراهيم النملة. كُنه الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٥ ـ ٤٠.

(٢) سي. أي. ستوري مستشرق إنكليزي من طراز «براون» و«نيكلسون»، عمل أستاذًا للغة العربية بجامعة «عليكرة» في الهند، ثم في كمبريدج، ثم تفرغ لدراسة الأدب الفارسي. ويذكر «العقيقي» أنه يملك «أعظم مكتبة خاصة شرقية في إنجلترا». انظر: نجيب العقيقي. ـ المستشرقون. ـ مرجع سابق. ٢: ١١٨ ـ ١١٩.

بحكم صنعته التي يرتزق منها، ولكن هذا الفريق معروف عندنا كما هو معروف عندكم، وليس من الإنصاف أنْ يشمل الحكم جميع الباقين. إنَّ الذين خدموا العربية كثيرون، وقد حاولوا أنْ يكونوا منصفين في أبحاثهم بقدْر ما يمكن للإنسان أنْ يكون منصفًا». (١)

فضل المستشرقين

وعلينا أيضًا مواجهة الحقيقة التي مؤدَّاها أنَّ للمستشرقين فضلاً على تراث المسلمين، من حيث حفظُه ونشرُه وتحقيقُه في وقت ضعُفت فيه الدراسات «الشرقية» الجادَّة المنتمية التي تخدم هذا التراث، ويمكن القول الآن إنَّ خدمة التراث الإسلامي، أو تراث المسلمين ـ إذا أردنا الدقَّة في التعبير ـ لا تزال تعاني تقصيرًا شديدًا في حدود البلاد العربية والإسلامية، مهما كثُرت المؤسَّسات العلمية، وتعالت أصوات الغيورين على التراث.

كما أنَّ علينا مواجهة الحقيقة التي مؤدَّاها أنَّ للمستشرقين عيوبًا في اهتمامهم بتراث المسلمين في مجالات التحقيق أو الدراسات المستقلَّة أو الترجمة والنقل، وذلك بسبب عدم

---

(١) انظر: علي حسني الخربوطلي. المستشرقون والتاريخ الإسلامي. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م. ـ ص ١٠٢. ـ (سلسلة تاريخ المصريين؛ ١٥).

انتمائهم للثقافة التي يدرسونها ويحقّقون تراثها. هذا إذا تجاوزنا الدوافع والأهداف غير العلمية، وافترضنا أنَّ المستشرقين ينطلقون من دوافع علمية موضوعية متجرِّدة، ويهدُفون إلى نتائج علمية موضوعية متجرِّدة كذلك.(١)

وبين هذين الموقفين يبرز التوازُن الذي يقف بين اتِّجاهين في النظر إلى أعمال المستشرقين. وهما اتِّجاهان متعاكسان، أحدهما يقبل أعمال المستشرقين على علاَّتها، ويرى أنها تصدر عن علمية صادقة وموضوعية متجرِّدة، وتنظر إلى الإسلام نظرة «علمية» تختلف عن النظرة التقليدية التي ينظر فيها المسلمون إليه، وكأنَّ أصحاب هذا التوجُّه يقولون صراحة: إنَّ المستشرقين يفهمون الإسلام أفضل من فهم المسلمين السابقين واللاحقين التقليدي له. وقد قيل ذلك.

والموقف الثاني هو الموقف الرافض تمامًا لأسلوب المستشرقين في دراسة التراث وتحقيقه، بل وحفظه، وأنَّ هذا الأسلوب بدراسته للتراث يخدم أهدافًا أقلَّ ما يمكن أنْ يقال عنها: إنها تعمد إلى تشويه الإسلام وأهله، ورميهم بالأصولية

---

(١) للنظر في دوافع المستشرقين وأهدافهم يُرجع إلى: علي بن إبراهيم النملة، «كُنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع والأهداف». ـ في دراسات استشراقية وحضارية: كتاب دوري محكم. ع ١. ـ المدينة المنوّرة: مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كليّة الدعوة، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ـ ص ١٩ ـ ٦٠.

والتطرُّف ثم الإرهاب في النهاية، قصدًا إلى تحجيم الدين والحدِّ من الإقبال عليه.[1]

ويمكن قبول هذا الرفض إذا كان منصبًّا على منهج المستشرقين في دراسة الإسلام، لا سيَّما أنَّ منهج المستشرقين في المقارنة بين الأديان قام على مقياس التأثير والتأثُّر، «كما لو أنَّ الأمر يدور حول شيء إنساني يخضع لهذا المقياس الإنساني، ولهذا فنحن نرفض - ومعنا كل الحق - منهج المستشرقين في دراسة الإسلام، لأنه منهج مصطنع جاء وليد اللاهوت الأوروبي، ولأنه منهج يقصر عن فهم طبيعة الأديان السماوية، ويحاول أنْ يضعها في صعيد واحد مع الاتِّجاهات الفكرية الإنسانية».[2]

الاستشراق المعاصر

ويتَّكئ الاستشراق المعاصر على الاستشراق القديم، ولا

---

(١) في تحديد مواقف العلماء والمفكرين العرب والمسلمين من الاستشراق والمستشرقين، انظر: الفصل الرابع من هذا الكتاب، وانظر أيضًا: هاشم صالح/ مترجم ومعدٌ. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه. - لندن: دار الساقي، ١٩٩٤م. - ص ٢٦١. ويشمل مواقف كل من: محمَّد أركون، ومكسيم رودنسون، وآلان روسيون، وبيرنارد لويس، وفرانسيسكو غابرييلي، وكلود كاهين.

(٢) انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. مرجع سابق، ص ١٠٨.

يستطيع الفكاك منه، مع أنَّ هناك محاولاتٍ جادَّةً من بعض المستشرقين المعاصرين لتحسين صورة الاستشراق لدى العلماء والمفكِّرين المسلمين، وتوكيدهم علىٰ النظرة المعاصرة للإسلام، بعيدًا عن التأثيرات الاستشراقية القديمة التي اتَّسمت بالهجوم المباشر على الإسلام والمسلمين من ناحية، وإبراز الجهود العلمية القديمة التي أسهم بها المستشرقون إيجابًا من ناحية أخرى، مثل جون إسبوزيتو(١) أحد تلامذة الأستاذ إسماعيل الفاروقي(٢) ـ رحمه الله ـ فهو يحاول الانسلاخ من الاستشراق القديم، حتى إنه ليكاد يُخرج نفسه من المصطلح، فهو قد لا يرضى أنْ يقال عنه إنه مستشرق، ويفضِّل أنْ يقال عنه إنه عالم إسلاميات (Islamist)، ولا يفضِّل أن يطلق عليه

---

(١) جون إسبوزيتو مستشرق أمريكي معاصر من أصل إيطالي، تتلمذ على الأستاذ إسماعيل الفاروقي ـ رحمه الله تعالى ـ بجامعة (تمبل) بفيلادلفيا بولاية بنسلفانيا من الولايات المتحدة الأمريكية يعمل أستاذًا في الأديان والشؤون الدولية بجامعة جورج تاون بواشنطون، وترأس مجموعة من الهيئات المهتمة بالإسلام والشرق الأوسط، ويرئس الآن تحرير موسوعة العالم الإسلامي المعاصر التي ستنشرها جامعة أكسفورد، وله آثار في متابعة أوضاع المسلمين في العصر الراهن. انظر:

John L. Esposito. Islam: The Straight Path. Oxford: Oxford, University, Press, 1994, p.i.

(٢) إسماعيل بن راجي الفاروقي أستاذ أمريكي من أصل فلسطيني، عاش في الولايات المتحدة الأمريكية، ورئس قسم الأديان بجامعة تمبل بفيلادلفيا مات مقتولاً ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك من سنة ١٤٠٧هـ الموافق ٢٥/ ٥/ ١٩٨٧م.

مصطلح (Orientalist)، بل إنه ذكر أنه «يكره هذا الإطلاق»[1].

ومع هذا فإنَّ معظم المستشرقين المعاصرين لا يستطيعون النظر إلى أقرانهم القدماء إلا نظرتهم إلى الروَّاد في هذا المجال، وإنْ لم يقبلوا جميع ما جاء به معظم المستشرقين القدماء؛ ذلك أنَّ ما جاء به القدماء من التصوُّرات كانت تخاطب عقلية أخرى وتقدِّم لها تصوُّرات تناسبها، «وربما تكون هذه التصوُّرات الغريبة عن الإسلام ونبيِّه ﷺ قد دخلت إلى عالم النسيان، وعفا عليها الزمن، لا سيَّما ما يتعلَّق منها بأساطير العصور الوسطى عن النبيّ ﷺ، ولكنها مع ذلك لا تزال، وستظل، جزءًا أساسيًا من تراث الغربيِّين لا بُدَّ لنا من الاطِّلاع عليه ومعرفته»، كما يشير محمود حمدي زقزوق في مقدِّمته لترجمة كتاب سيرة الرسول ﷺ في تصوُّرات الغربيين لغوستاف بفانمللر.[2]

ويقول وليد نويهض: «لم تهدأ حركة الاستشراق ثأريًا (كمنهج فكري) إلا في مرحلة تراجُع المسلمين، وبداية اقتحام أوروبا معاقلهم وديارهم. في هذه الفترة دخل الاستشراق مرحلة

---

(١) وقد يطلق عليهم بعضهم Islamologist على اعتبار أن هناك علمًا يُدعى Islamology بديلاً للمصطلح Orientalism أو مزاحمًا له. انظر: علي ابن إبراهيم النملة. الالتفاف على الاستشراق. ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ـ ١٨٢ ص.

(٢) انظر: جوستاف بفانمللر. سيرة الرسول ﷺ في تصوُّرات المستشرقين/ ترجمة محمود حمدي زقزوق. ـ المحرّق: مكتبة ابن تيميّة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ص ٦.

جديدة وانتقل من الثأر والانتقام إلى الاستيلاء والغلبة، وأخذ ينظر إلى المسلمين من عدوٍّ تاريخي (الندِّ للندِّ) إلى غدوٍّ دوني أقلَّ رقيًّا وتقدُّمًا من أوروبا...».[١]

ولذا لا يُستغرب أنْ «يستفظع» المستشرق الرحالة، من منطلق التعالي على الشرق، الممارسات التي يقوم بها أهل الشرق في عاداتهم وتقاليدهم وأنماط السلوكيات عندهم في الأكل والشرب واللباس وغيرها. وقد كان هاري سانت جون فلبي[٢] يعشق هذه الطريقة ويتمثَّلها في حياته عندما كان يجوب المنطقة مع المستشرق البريطاني الكولونيل كانليف أوين الذي كان يحتقر هذه السلوكيات، ولا يريد من فيلبي أنْ يتمثَّلها، ولكن «فلبي يتجاهله ويعامله كما يعامل المستشرقون رجال البادية: التجاهُل أنهم في الوجود»،[٣] وعلى طريقة أحدهم في

(١) انظر: وليد نويهض: نهاية الاستشراق ـ ٣ ـ تطوُّر الاتصالات أنهى وظيفة الاستشراق المعرفية. ـ صحيفة الحياة اليومية. ـ ع ١١٥٤٧ (٢٩ ـ ٩ ـ ١٩٩٤م/ ٢٤ ـ ٤ ـ ١٤١٥هـ). ـ ص ١٨.

(٢) سانت جون فلبي، أو عبدالله فلبي (١٨٨٥ ـ ١٩٦٠م)، كان مستشرقًا بريطانيًا، تخرج باللغات الشرقية من جامعة أكسفورد، وعمل في السلك السياسي، وجاب جزيرة العرب، وأعلن إسلامه، وتوفِّي ببيروت. له أعمال عدّة عن جزيرة العرب. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ ٢: ١١٦، وانظر أيضًا: إليزابيث مونرو. فيلبي الجزيرة العربية/ ترجمة أحمد عمر شاهين. ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٥هـ. ـ ٣٤٢.

(٣) انظر: سمير عطا الله. قافلة الحبر: الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج (١٧٦٢/ ١٩٥٠م). ـ لندن: دار الساقي، ١٩٩٤م. ـ ص ١٠٣.

الردِّ على أحد رجال البادية بعد أشهر من الصحبة: «إنني لم أسمع جيِّدًا ماذا قلت، ولكني لا أوافق معك في أيِّ حال».[1]

ونعود إلى وليد نويهض، حيث يقول: «لا شكَّ نجح تحديث الاستشراق في فترة تحوُّله من حركة سياسية ثأريَّة إلى حركة معرفية عقلية في التخلُّص من الكثير من الفرضيات والافتراءات والأوهام السابقة، فقد اعتمد الاستشراق السابق على نقل الأخبار من الشرق عن طريق الحجَّاج المسيحيين بعد عودتهم من زيارة الأراضي المقدسة (في فلسطين). أمَّا الاستشراق المعاصر فقد انتقل إلى العقل والنقد من دون أنْ يتخلَّص نهائيًا من جوهر المرحلة السابقة، لكنه بدأ بالاعتماد مباشرة على الرحلات والاحتكاك والاستطلاع. مع ذلك لا يمكن القطع نهائيًا بين نشاط الرحالة وتمويل المؤسَّسات الحاكمة أو الناشئة آنذاك في أوروبا المتطلِّعة للسيطرة على طرق المواصلات وشبكة التجارة والمعابر والبحرية. وتركَّز النشاط الاستشراقي سابقًا في فئة النبلاء التي كانت تملك الإمكانات لتمويل الرحلات، ثم انتقل إلى فئات التجار وأخيرًا الشركات».[2]

ولا يقف الأمر عند الاتِّكاء على جهود الأقدمين فقط،

---

(١) انظر: سمير عطا لله. قافلة، الحبر. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٠٣.

(٢) انظر: وليد نويهض. نهاية الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٨.

ولكن الاعتراف بفضل الروَّاد يسوق ـ دون قصد أحيانًا ـ إلى محاولة تبنِّي وجهات نظرهم مع شيء من التحقُّق والتحقيق.

ولا يزال الاستشراق المعاصر بحاجة إلى أنْ يثبت جدِّيته في نظرته العلمية إلى علوم المسلمين. وإني أشكُّ في موضوعيته وتجرُّده، ولا سيَّما في ظلِّ التطوُّرات الحديثة القائمة التي تشهدها الساحة الإسلامية داخل ما نسميه اليوم بالعالم الإسلامي وخارجه، والشعور الغربي أنَّ الإسلام بدأ يظهر على أنه خطرٌ على الحضارة الغربية، وأنه قد يكون العدوّ الجديد، بعد أنْ تخلَّص الغرب من العدوَّ التقليدي في هذا القرن من الزمان، بتفتيت الاتحاد السوفييتي وتفكيكه، ومن ثَمَّ إحداث المشكلات داخل الجسم المتفكِّك.

وفي هذا السياق يؤكِّد إدوارد سعيد ـ وهو من أبرز من حمل على الاستشراق والمستشرقين ـ رغم افتقاره إلى الانتماء إلى الثقافة الإسلامية التي تحامل عليها الاستشراق والمستشرقون، بل إنه ربَّما ينتمي إلى الخلفية الدينية التي انطلق منها المستشرقون أنفسهم رغم أنه يتمثَّل الثقافة الإسلامية بحكم خلفيته العربية ـ يؤكِّد على أنَّ «الاستشراق المعاصر يعلِّمنا الكثير عن التزييف الفكري الكامن في الخداع بشأن هذه القضية، إذ يؤدِّي ذلك إلى تعميق التقسيمات وجعلها خبيثةً ودائمةً معًا»[1].

---

(١) انظر: إدوارد سعيد، الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤٩٥ ـ ٤٩٦.

وقد وفِّق عمل إدوارد سعيد هذا ـ وقد صدر أصلاً باللغة الإنجليزية ـ إلى ترجمة جيدة إلى اللغة العربية فكان له تأثير أقوى مما هو عليه بلغته الإنجليزية. وكانت قد سبقت ترجمته ترجمةً صعبة، أسلوبها ربَّما تعمَّد الدخول في متاهات التعبير والأسلوب الغريب فأضاعت كثيرًا من القدرة على متابعة أفكار الكاتب الأصلي في هذا العمل القيِّم، وإنْ ادَّعى المترجم الأوَّل صعوبة الأسلوب الذي اتَّبعه إدوارد سعيد في النسخة الأصل، إلا أنَّ هذه الصعوبة في الأصل الإنجليزي لم تمنع بعض الدارسين العرب من الرجوع إلى النسخة الإنجليزية، رغم توافر النسخة العربية في الترجمة الأولى.

ومن المهم أنْ يُذكر هنا أنَّ عمل إدوارد سعيد هذا لم يلقَ قبولاً لدى بعض المستشرقين وبعض المفكِّرين العرب، وذلك لتركيزه على الاستشراق السياسي الذي طغى على الاستشراق الأمريكي الذي أراد أنْ يرسِّخ النفوذ الأمريكي من منطلق إمبريالي. وقد تعرَّض للنقد في الصحافة وفي بعض الكتابات العلمية، مما يجعل أحكامه أكثر قابلية للوزن بالميزان العلمي الدقيق. ولا يعني موافقتها لهوًى في أنفسنا أنْ نقبلها على علاَّتها.(١)

---

(١) يقول مكسيم رودنسون في مقابلة معه في مجلة الحوادث (ع ٢٣، ديسمبر ١٩٨٠م): «في الحقيقة أن إدوارد سعيد يجهل الاستشراق أولاً، وهو غير متمكِّن منه بشكل جيِّد... إنه انساق مع ما يناسبه واختار ما يلائم قصده،=

والمجال هنا ليس يهدف إلى تتبُّع الأفكار التي تضمنها كتاب الاستشراق، ثم الوقوف معها وقفات نقدية، فقد قام بهذا الجهد من هم أقربُ إلى مجالات النقد.[1]

الحكم المسبق للمستشرقين

ومن مشكلات بعض الدراسات الاستشراقية أنها تبني النظرية حول سلوكٍ ما أو ممارسة من الممارسات، ثم تسعى إلى إيجاد الأدلَّة أو المثبِّتات لهذه النظرية. وتقوم هذه النظريات غالبًا على رؤًى مرسومة سلفًا. وفي هذا يستحضر ـ مرَّةً أخرى ـ قول أبي

= فتجاهل المستشرقين والمدارس الاستشراقية التي لا تنسجم مع ذلك». ولعلَّ إدوارد سعيد قد اتَّخذ في هذا قدوة له من بعض المستشرقين. ويقول نديم البيطار في نقده لعمل إدوارد سعيد: «عرْض مفهوم إدوارد سعيد حول الاستشراق كاف في ذاته في الكشف عن اللاعلمية البارزة التي تميّزه. هذا المفهوم ينطبق ولا شكَّ على قطاعات مجموعات استشراقية أو أفراد ساهموا بقدْر كبير أو صغير في الفكر الاستشراقي، ولكنه لا ينطبق على الاستشراق ككل وجميع الذين شاركوا فيه. . . ». انظر نديم البيطار. حدود الهُوية القومية، نقد عام. ـ بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٢م. ـ ص ١٥٩.

(١) انظر مثلاً: نعمان عبد الرزّاق السامرّائي. الفكر العربي والاستشراقي بين د. محمَّد أركون، ود. إدوارد سعيد. ـ الرياض: دار صبري للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م. ـ ص ١٦٠. ومحمود قاسم. الاستشراق: المعرفة السلطة الإنشاء بقلم إدوارد سعيد ترجمة كمال أبو ديب. ـ وعدنان المبارك. آراء بولندية في كتاب إدوارد سعيد: الاستشراق، وكامل يوسف حسين. خصائص النص الاستشراقي في وضعية النزاع: ملاحظات أوَّلية حول سجال برنارد لويس وإدوارد سعيد. ـ في: الاستشراق. ـ ع ٢ (شباط ١٩٨٧م). ـ ص ١٠٥ ـ ١٣١.

الحسن علي الحسني الندْوي[1] «ومن دأب كثير من المستشرقين أنهم يعيِّنون لهم غاية ويقرِّرون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكلِّ طريق، ثم يقومون لها بجمع المعلومات من كل رطب ويابس، ليس لها أيُّ علاقة بالموضوع، سواء من كتب الديانة والتاريخ، أو الأدب والشعر، أو الرواية والقصص، أو المجون والفكاهة، وإنْ كانت هذه الموادُّ تافهةً لا قيمة لها، ويقدِّمونها بعد التمويه بكل جرأة، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في نفوسهم وأذهانهم».[2] وقبل هذا يقول: «ورغم الاعتراف بفضلهم وعلمهم لا يمنعني شيء في هذا المجلس الموقَّر أنْ أصرِّح بأنَّ طائفة كبيرة من المستشرقين كان دأبها البحث عن مواضع الضعف في الشريعة الإسلامية والحضارة والتاريخ الإسلامي وإبرازها لأجل غاية سياسية أو دينية».[3]

---

(١) أبو الحسن علي الحسني الندْوي، بسكون الدال، (١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م) ـ من علماء العربية في الهند. تخرج في ندوة العلماء بلكهنو بالهند، وإليها ينتسب. له إسهامات جيدة في الفكر الإسلامي والأدب العربي، ويرئس الآن رابطة الأدب الإسلامي. انظر: رابطة الأدب الإسلامي. الشيخ أبو الحسن الندْوي: بحوث ودراسات. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٦٣٥ص.

(٢) انظر: أبو الحسن علي الحسني الندْوي. الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين: تقييم لكتابات المستشرقين والباحثين المسلمين: تقييم لكتابات المستشرقين واستعراض لبحوث المسلمين في الموضوعات الإسلامية. ـ ط ٣. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ص ١٦.

(٣) انظر: أبو الحسن علي الحسني الندْوي. الإسلاميات بين كتابات المستشرقين. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٥.

ولا يظهر أنَّ الندْوي يقصد أنَّ هناك ضعفًا أو مواضع ضعف في الشريعة الإسلامية نفسها، بقدر ما يتطرَّق الضعف للممارسات والتطبيق لدى المسلمين أنفسهم، الأمر الذي ينبثق عنه حكم خاطئ على الإسلام نفسه.

ومثل هذا القول حول الافتراضات وبناء الاستنتاجات عليها قول وليد نويهض: «... تمَّ إلحاق بعض نشطاء الرحَّالة بالمؤسَّسات التي كانت تريد أنْ تتعرَّف على أحوال وعادات وتقاليد الشعوب من خلال تقارير الرحَّالة والمبشِّرين. وهو أمر أملى بعض الاجتهادات الاستشراقية الحديثة أنْ تكون في موقع غير قادر على التخلُّص كليًّا من العقلية الثأرية السابقة، فانتقل إليها العديد من الهواجس والأفكار الاستعلائية والعنصرية إلى التشكيك بنبوَّة الرسول والافتراء على سيرته، وتأويل النصوص كيفيًّا، وأحيانًا تحريفها، إما بسبب قلَّة المعرفة، أو انطلاقًا من فرضيات استنتاجية...».(١)

ومثل هذا القول، أيضًا، ما يذكره إبراهيم عبد الكريم الذي درس الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل، إذ يقول: «يوضِّح استعراض الأبحاث الاستشراقية الإسرائيلية أنَّ قسمًا كبيرًا منها كان يصدر عن مفاهيمَ ورؤًى متقاربة تتخلَّلها أحكام مسبقة، وتشيع فيها الصور النمطية والقولبة. ومعروف أنَّ

---

(١) انظر: وليد نويهض. نهاية الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٨.

الأحكام المسبقة هي أحكام متسرِّعة تصدر قبل أوانها، تستبق الأمور، وتُبنى على التكهُّن، فتصل إلى النتيجة قبل تفحُّص الموضوع، وقبل تقليب جوانبه على النحو الكافي»[١].

المستشرقون الرحَّالة

ومن المستشرقين الذين يهمُّنا أمرهم في هذه الوقفة المستشرقون الرحَّالة الذين كان لهم الفضل في الكشف عن جوانب كثيرة من الحياة في الشرق، سجَّلوها ووثَّقوها، وأضحت أعمالهم هذه بعد ذلك مصادر معلومات عن هذه البقعة الكبيرة من العالم المعاصر، لا يستغني عنها باحث في التاريخ والجغرافيا والاجتماع والأنثروبولوجيا. ومن أبرز هذه الأعمال، فيما يتعلَّق بالجزيرة العربية، دليل الخليج بإشراف ج. ج. لوريمر[٢] في أربعة عشر [١٤] مجلدًا، للتاريخ سبعة أجزاء، وللجغرافيا سبعة أخرى، وترجمه قسم الترجمة بمكتب أمير قطر، وطبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير قطر

---

(١) انظر: إبراهيم عبد الكريم. الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل. ـ عمَّان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية. ـ ١٩٩٣م. ـ ص ١٩٦.

(٢) ج. ج. لوريمر عمل موظفًا سياسيًا في منطقة الخليج العربية، وألف كتابًا ضخمًا سماه (دليل الخليج) أو (وقائع الخليج) .Gazetter of Persian Gulf نشرته حكومة الهند في كلكتا سنة ١٩٥١م، انظر: عبد الفتّاح أبو علية. الدولة السعودية الثانية ١٢٥٦ ـ ١٣٠٩هـ/ ١٨٤٠ ـ ١٨٩١م. ـ الرياض: مؤسسة الأنوار للنشر والتوزيع. ـ د. ت. ـ ص ١٩.

السابق، وصدر عن مطابع علي بن علي بالدوحة في قطر.[1]

ومثلها، وإنْ لم تكن في حجمها، مذكِّرات ويليم جيفورد بلغريف وعنوانها قصَّة رحلة إلى وسط وشرق الجزيرة العربية، وهي مليئة بالوصف والانطباعات عن وسط الجزيرة العربية وشرقها وعادات أهلها وتقاليدهم.[2]

وكذلك رحلة الليدي آن بلنت إلى وسط الجزيرة العربية، وقد صحبت زوجها إلى المنطقة وعايشت الناس وأخذت عنهم كثيرًا مما سطَّرته في مذكِّراتها.[3]

وكتب الكابتن ج. فورستر سادلير كتابه رحلة عبر الجزيرة العربية خلال ١٨١٩م.[4] وغيرها كثير مما سجَّل انطباعات

---

(١) انظر: عمر بن صالح السليمان العمري. التطور السياسي للبحرين ١٨٠٠ ـ ١٨٩٢، ١٢١٥ ـ ١٣٠٩، رسالة ماجستير مقدَّمة لقسم التاريخ والحضارة بكليّة العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م. ـ ص ١٤.

(٢) William Gifford Palgrave. Narrative of a year's Journey Through central and Eastern Arabia (1862 - 1863), 2 vols, London:...,1965,1.

(٣) Lady Anne Blunt. Pilgrimage to Nejd: a Visit to the Court of the Arab Amir and our Persian Campaign. 2 vols 2nd. ed. London: John Murray, 188.

(٤) انظر: ج. فورستر سادلير. رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م/ ترجمها أنس الرفاعي. ـ الكويت: سعود بن غانم الجمران العجمي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. ـ ٣٠٠ ص.

عُدَّت مصادر اعتمد عليها من أتى بعدهم من الباحثين المستشرقين وغيرهم.

ومن المهم التوكيد على أنَّ الرحَّالة الذين زاروا المنطقة العربية والإسلامية لم يكونوا بالضرورة جميعًا من المستشرقين، بالتعريف الدقيق لهذا المصطلح؛ إذ إنَّ من هؤلاء الرحَّالة السياسيين والأطبَّاء والمستكشفين الجغرافيين والمنصِّرين، وأولئك الذين «عشقوا» الشرق فقصدوه للتعرُّف عليه وعلى أهله.[1] وفي هذا يقول ريتشارد ترينش عن طبيعة أغراض الرحَّالة، ومحاولات بعضهم تصحيح الجهل الأوروبِّي بالشرق إنه كان عليهم «أنْ ينتصروا على أنفسهم، فالقلَّة منهم كانت نخبة حقيقية، أما الباقون فكانوا إمبرياليين أو مُنْدسِّين أو مغامرين أو وصوليين أو جواسيس أو بحَّاثة عاديين».[2]

ومع هذا سيُفترض تجوُّزًا أنَّ من طَرَق أبواب الشرق وكتب عنه يدخل ابتداءً بالمفهوم العامِّ لمصطلح الاستشراق، لا سيَّما إذا صبغت هذه الانطباعات بالصبغة العلمية، وخرجت عن مجرَّد كونها مقالة عابرة أو تقريراً سريعاً يلحق في بعض

---

(١) انظر: أغسطس رالي. مسيحيون في مكَّة/ ترجمة رمزي بدر. ـ لندن: دار الورَّاق، ٢٠٠٧م. ـ ٢٥٦ ص. وانظر إلى الكتاب بصيغة أخرى: أغسطس رالي. مكَّة المكرَّمة في عيون رحَّالة نصارى/ نقله إلى العربية حسن سعيد غزالة وراجعه وعلَّق عليه محمَّد محمود السرياني ومعراج نوَّاب مرزا. ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٠هـ. ـ ٣١٤ ص.

(٢) نقلاً عن سمير عطا الله. قافلة الحْبر. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤٧.

الصحف السيَّارة. هذا بالإضافة إلى أنَّ هؤلاء الرحَّالة قد خلَّفوا وراءهم أدبًا يستفاد منه كثيرًا في التعرُّف على الأماكن والعادات والتقاليد والأعراف، يُتعارف عليه الآن بأدب الرحلات.(١)

ويعدُّ هذا الأدب مصدرًا من مصادر المعلومات لدى المستشرقين. وفي هذا مارس الرحَّالة «دور الإثارة ودغدغة الخيال ونسج الكلام الأسطوري حول مغامراتهم. وشكَّلت تقاريرهم ورواياتهم (أدب الرحلات) خطوةً متقدِّمة عن الفترة الأولى [بعثات الحجَّاج المسيحية إلى الأراضي المقدَّسة في فلسطين]؛ إذ تمَّ الاحتكاك المباشر عن طريق المعايشة، لا عن طريق تسقُّط الأخبار من العائدين من بعثات الحجِّ، كما كان يحصل في السابق».(٢)

ويؤيِّد هذا الافتراض توكيد حمد الجاسر على أنَّ الرحَّالة يُعدُّون من المستشرقين؛ إذ يقسِّمهم إلى فئتين: فئة «عُنيت بنشر المؤلَّفات القديمة، ومنها ما يتعلَّق بتاريخ العرب وجغرافية بلادهم... [و] فئة الروَّاد من العلماء والمغامرين الغربيين، الذين كشفوا كثيرًا من معالم جزيرة العرب وآثارها وعرفوا

---

(١) انظر: أحمد محمَّد محمود. رحلة في ديوان الملك عبدالعزيز آل سعود. ـ جدَّة: المؤلِّف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٤٢٢ + ٨٢ ص.

(٢) انظر: وليد نويهض. نهاية الاستشراق (٣ من ٣): الطبعة الثانية تتوَّجت بغلبة نظرية التفوُّق الحضاري. ـ صحيفة الحياة اليومية ع ١١٥٤٦ (٢٣ ـ ٤ ـ ١٤١٥هـ/ ٢٨ ـ ٩ ـ ١٩٩٤م). ـ ص ١٨.

المجهول من مختلف أخبارها وأحوالها، بعد أنْ جاسوا صحاريها، واخترقوا فيافيها وقفارها، ووصلوا إلى أصقاعها النائية، وتوغَّلوا في مجاهلها، مدفوعين بدوافع مختلفة، مستهينين في سبيل ذلك بجميع الأخطار والصعوبات . . .». [(١)]

وليس الغرض هنا استعراض الرحلات جميعها، فهي تستحق العرض المستقل، ولكن الغرض أخذ عيِّنات من إسهامات المستشرقين الرحَّالة، مع الاعتراف بما قاموا به من جهود علمية، وتقدير ما تعرَّضوا له من صعوبات.

ومع التوكيد على عدم التعميم في الانطباعات التي خرجت من بعضهم، بل إنَّ رحلاتهم إلى جزيرة العرب وحدها قد أبرزت أسماءً لامعة في أدب الرحلات، قد جرى استعراضها في مصادر المعلومات عن الرحلات إلى جزيرة العرب، وقد جرى ذكر بعض من هذه المصادر في ثنايا هذه الدراسة. [(٢)]

وتشمل الأسماء اللامعة في أدب الرحلات، ولا سيما في

---

(١) انظر مقدِّمة حمد الجاسر. في: جاكلين بيرين. اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم. ـ مرجع سابق. ـ ص ٥ و٧.

(٢) انظر عوض البادي. الرحَّالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية، منطقة الجوف ووادي السرحان ١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م. ـ ط ٢. ـ بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. ـ ٥٣٥. ـ (سلسلة رحلات في بلاد العرب؛ ١). وقد تولَّت دارة الملك عبدالعزيز ومكتبة الملك عبدالعزيز العامّة بالرياض بالمملكة العربية السعودية نشر عدد من كتب الرحلات داخل الجزيرة العربية، هي جديرة بالتقدير، وعقدتا الندوات لذلك.

الجزيرة العربية، كلاً من كريتسيان سنوك هورخرونيه، وريتشارد بورتون، وكارستن نايبور، ولويس بوركهارت، ووليم غيفورد بالغريف، ومايكل كوهين، وتشارلز داوتي (خليل)، وتي. إتش. لورانس، والكونتيسة ماليغواتي، وجورج أوغست والان (عبد الولي)، وشارل ديديه، ولويس بيلي، وبرترام توماس، وهاري سانت جون فيلبي (عبد الله)، وبيتر (بطرس) فورسكال، وكريستيان كارل كيمر، وغيورغ فيلهلم بورينفانيد، وكريتسان فون هافن، ولودفيكو دي فارتيما، وماثيو دي كاسترو، وماركو بولو، وأولريك ياسبر ستزن (موسي)، والميجور روك، وهيو كليفورن، وولف، وتي، جي. أرنو، وجوزف هاليفي، ووالتر هاريس، وشاتوبريان، واللورد بايرون، وويلفرد ساوين بلنت وزوجته الليدي آن بلنت، ولويس فارتيما البولوني (يونس)، وفان دون بروكه، وديكسيتر، ودومينغو باديا أي ليبليخ (الحاج علي بك العبّاسي) وفنسان لبلان، وشاربيه، وجون جوردان، وتاميزيه، وغوارماني، وهؤلاء جزء ممن ورد ذكرهم لدى سمير عطا الله في كتابه قافلة الحبر وجاكلين بيرن في كتابها اكتشاف جزيرة العرب وأغسطس رالي في كتابه مسيحيون في مكَّة.(١)

---

(١) انظر: سمير عطاالله. قافلة الحبر. ـ مرجع سابق. ـ ص ٥ ـ ٦٤، وفي جاكلين: بيرين. اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم. ـ مرجع سابق. ـ ٤٣٤ ص، وانظر أيضًا أغسطس رالي. مسيحيون في مكَّة. ـ مرجع سابق. . ـ ٢٥٦ ص. : وانظر إلى الكتاب بصيغة أخرى:=

والمهم هنا أنَّ هؤلاء الرحَّالة قد رسموا صورًا عن المجتمع العربي كوَّنتها الانطباعات التي مرَّت عليهم وهم في مهمَّاتهم المختلفة، أرادوا منها أنْ يُطْلعوا قومهم على هذا المجتمع بنيَّاتٍ وأهداف وغايات مختلفة. وهناك من جمع هذه الانطباعات بغضِّ النظر عن انتماءات أصحابها ومهمَّاتهم التي عاشوا في المنطقة من أجلها.(١)

وهناك من قدم إلى الشرق بانطباعات مسبقة، لم يتمكَّنوا من التخلُّص منها إلا بعد أنْ عايشوا الشرق وأهله، وتعرَّفوا عن كثب على الثقافة الذي يبثُّونها، فمنهم من قبلها وتمثَّلها، ومنهم من زاد كرهه لها ولأهلها؛ لأسباب منها عدم قدرة أهلها على تمثُّلها بحقٍّ.

= أغسطس رالي. مكَّة المكرَّمة في عيون رحَّالة نصارى. ـ مرجع سابق. ـ ٣١٤ ص. وفي:

James C. Simmons, ed. Passionate Pilgrims: English Travelers to the World of the Desert Arabs. New York: William Morrow and Company, Inc, 1987, 339 p.

(١) انظر جملة من هذه الانطباعات في:

James C. Simmons, ed. Passionate Pilgrims: English Travelers the World of the Desert Arabs Ibid.

ويتضمَّن هذا الكتاب جملة من التحليلات لرحلات كل من نابليون في مصر، والليدي إستير ستانهوب، وأي دبليو، كينغليك، والسير ريتشارد بورتون، والأب ويليام بلغريف، والليدي جين دغبي المسراب(!)، والسير ولفيد سكاون بلانت، والليدي آن بلانت، وتشارلز إم. داوتي، وتي. إتش. لورنس. كما يشتمل، الكتاب على قائمة وراقية (ببليوجرافية) مختارة تفيد كثيرًا في متابعة أدب الرحلات إلىٰ الجزيرة العربية والبلاد العربية الأخرى.

ومنهم من أراد استغلال الإسلام مطيةً لتحقيق أغراض جاء من أجلها، إلا أنهم لم يملكوا جميعًا إلا أنْ يعجبوا بالشرق وأهله. يقول ريتشارد ثرينش: «... أكثرية هؤلاء قد جاءوا وهم يحملون الكره للإسلام، وجاء آخرون يدَّعون أنهم أبناء الإسلام، أما الباقون فجاءوا وفي نيّتهم أنْ يستغلُّوا الإسلام. لكنَّ أحدًا منهم لم يغادر هذه الأرض إلا وهو يكنُّ للإسلام احترامًا عميقًا إلى أبعد الحدود. والبعض أشهر إسلامه. أمَّا أولئك الذين لم يتغيَّروا بعد هذه التجربة العميقة فقد ماتوا بأيديهم، على أنَّ ما كان يجمعهم كلَّهم هو ذلك الهوس بالجزيرة العربية وبالبدو وبحياة البداوة وبأنفسهم».[١]

والمعروف أنَّ للمستكشفين الجغرافيين أثرًا بارزًا في الكشف عن مواطن كثيرة تبنَّت الكشف عنها الحكومات الغربية ودعمت رحلاتها، وكانت بحقٍّ دليلاً للحملات الاحتلالية والتنصيرية التي تلت هذه الاستكشافات، حتى عُدَّت إحدى الوسائل المعينة على التنصير.[٢] ولجاكلين بيرين كتاب اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم،[٣] وأنْ تتصدَّر

---

(١) نقلاً عن: سمير عطا الله. قافلة الحبر. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤٧.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. التنصير في المراجع العربية. ـ الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. ـ ص ٧٤ ـ ٧٦.

(٣) انظر: جاكلين بيرين. اكتشاف جزيرة العرب، خمسة قرون، من المغامرة والعلم. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٤٣.

كلمة المغامرة عنوان الكتاب فهذا دليل على ما اكتنف هذه الرحلات من المخاطر والرغبة في خوض عالم كان مجهولاً لدى الآخرين.

ولا يمكن أنْ يُستبعد الدافع التنصيري من رحلات المستشرقين والمستكشفين، ويرجع هذا للسبب التاريخي الذي يزعم أنَّ للمسيح ـ عليه السلام ـ «الحقَّ في استرجاع الجزيرة العربية التي أكَّدت الدلائل التي تجمَّعت لدينا في الخمسين سنة الأخيرة على أنَّ المسيحية كانت منتشرة في هذه البلاد في بداية عهدها».[1] كما يقول المنصِّر والمستشرق الأمريكي السموأل «صموئيل» زويمر.[2]

المعيار لدى المستشرقين الرحَّالة

وإذا كان من حقِّ أيِّ إنسان أنْ يفد إلى أيِّ مجتمع من مجتمعات المسلمين وغير المسلمين، ويكتب عنها، فإنه ليس

---

(١) نقلاً عن خالد البسّام، القوافل: رحلات الإرسالية الأمريكية في مدن الخليج والجزيرة العربية ١٩٠١ ـ ١٩٦٢/ ترجمة وإعداد خالد البسّام. البحرين: مؤسَّسة الأيَّام، ١٩٩٣م. ـ ص ٩.

(٢) السموأل «صموئيل» زويمر (١٨٦٧ ـ ١٩٥٢م)، منصِّر ومستشرق أمريكي معروف في منطقة الخليج والمنطقة العربية، وأنشأ مجلَّة تُعنى بالشؤون الإسلامية من وجهة نظر استشراقية تنصيرية. ويُعَدُّ زويمر مثالاً واقعيًا للترابُط بين الاستشراق والتنصير. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٣: ١٣٨.

من حقِّه أنْ يجعل من المجتمع الصغير، داخل المجتمع المسلم الكبير الذي يكتب عنه مقياسًا للمجتمع المسلم كلِّه، ناهيك عن أنْ يكون هذا المجتمع الصغير نمطًا أو نموذجًا يُقاس به الإسلام نفسُه، ذلك أننا نؤمن أنَّ الإسلام نفسَه حجَّةٌ على الناس أفرادًا وجماعاتٍ، وليس العكس ـ كما يحسن التوكيد عليه في أكثر من موضع ـ.

وهنا تكمن الخطورة في الحكم على الإسلام من منظور ضيِّق وأخلاقيات أو عادات أو ممارسات اتَّسم بها مجتمع صغير، قد يكون مفرِّطًا في تعاليم الإسلام أو مفْرطًا فيها. وهذا يعني أنه ينبغي على من يسعى إلى جعل المجتمع مقياسًا لمدى تمسُّك أهله بدينهم ومبادئهم ومُثُلهم أنْ يتعرَّف على الدين بمبادئه ومُثله.

وقد يكون للناقد الحقُّ في نقد المجتمع المسلم، إذا لم يربط هذا النقد بالدين والثقافة المستمدَّة منه، ويعيد السلبيات التي يراها إلى ارتباط أهلها بالنظام الاجتماعي أو السياسي الإسلامي، وعندها يحتاج إلى معيار تُقاس عليه ممارسات أيِّ مجتمع يؤمن بالأساس الذي نبع منه المعيار، أو اشتُقَّ منه، مثل السلوكيات المحلِّية، أو ما تمليه أعراف القبيلة، أو ما خلَّفته ثقافة دخيلة بحكم الاحتلال أو غيره.

ولا يحقُّ للدارس ـ مستشرقًا كان أم غير مستشرق ـ أنْ يطبِّق معاييره هو المبنية على خلفية ثقافية دينية أخرى، مسيحية

أو غير مسيحية، على مجتمع آخر له خلفيته الثقافية الدينية التي قد تكون مختلفةً، والتي لا يؤمن بها هذا الدارس ولا يتمثَّلها ولا يتبنَّاها.[1]

والمعيار الحقُّ عندنا أنْ تُقاس ممارسات المجتمع المسلم بالإسلام، بمبادئه ومُثُله وأخلاقه وعاداته ـ كما جرى التوكيد عليه في أكثر من وقفة ـ. وفي هذا المنهج موضوعية وتجرُّد، قد لا تتحقَّق لعدد من المستشرقين الذين رحلوا للمجتمعات المسلمة، وتنكَّروا بالاسم والزِّيّ العربي واللسان وغيرها؛ قصدًا إلى الولوج في أعماق المجتمع، والخروج منه بأسوأ الانطباعات، إنْ لم نقل تصيُّد أسوأ الممارسات، ذلك أنَّ الممارسات الحقيقية الصادقة، أو القريبة من الصدق، لا تكوِّن خبرًا يستحقُّ النقل إلى مجتمعات أخرى تعاني من خلل في سلوكياتها.

ولا يملك نقل هذه الصورة المثالية إلا الموضوعيون الذين يتمنَّون أنْ يرَوا هذه الممارسات في مجتمعهم هم، الأمر الذي لا يتناسب والشعور بالفوقية، التي أشار إليها وليد نويهض في تحليله السابق ذكره، ولذا تأتي الانطباعات التي ينقلها بعض المستشرقين الرحَّالة لتعضُد الشعور بالفوقية، وبالتالي إشعار

---

(١) انظر: أحمد بن عمر بن عبدالله السليم. المظاهر الثقافية في كتابات الرحَّالة المستشرقين في الجزيرة العربية في العصر الحديث: دراسة تحليلية. ـ الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. ـ ص ١٩٦ ـ ١٩٩.

المجتمع الآخر بالدونية، الأمر الذي تحقَّق شيء كثير منه لدى عدد غير قليل من أفراد المجتمع العربي والمسلم، وانعكس على موقف هؤلاء من خلفيتهم الثقافية ومَن يحملونها في المجتمع وخارجه، وحسبوا أنَّ المخرج يكمن في التوجُّه عن الثقافة الأصيلة إلى ثقافات دخيلة قادمة تحديدًا من الغرب.

الانطباعية والحُجَّة

ومن المآخذ على بعض الدراسات الاستشراقية اعتمادها على الانطباعية في استصدار أحكام على المجتمع المسلم، أو على أحكام إسلامية. وتكثُر الانطباعية هذه لدى المستشرقين الرحَّالة الذين لم يكتفوا بالقبوع في مكاتبهم ومكتباتهم ومراكز بحوثهم، بل قدموا إلى المجتمع المسلم في الجزيرة العربية أو في مصر أو في المغرب العربي، أو في المشرق الإسلامي عمومًا، ثم تتبَّعوا ممارسات المسلمين في أيِّ وقت، وبنَوا عليها أحكامًا لا على المسلمين فحسب، بل على الإسلام نفسه. وهنا مكمن الخطر؛ إذ إنَّ دراسة مجتمع مسلم في أيِّ وقت واردة من المسلمين ومن غيرهم، وواقع المسلمين مفتوح للدراسة من الجميع، فإنْ لم يدرسه المسلمون درسه غيرهم، إلا أنَّ غيرهم سيعزو ما يراه وما يكوّنه من انطباعات على أنها تمثيل حيّ عملي للخلفية الدينية أو الثقافية أو العادات والتقاليد، أو المبادئ التي يقوم عليها هذا المجتمع، ولا سيَّما عندما يتسمَّى بالمجتمع

المسلم. فتُصدر الأحكام متَّخذة من ممارسات المجتمع حجَّة على الإسلام الذي نعتقد أنه صالح للتطبيق في كل زمان ومكان.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قد يعمد المتتبِّع للمجتمع المسلم تتبُّع الناقد أنْ يطبِّق على هذا المجتمع معاييره هو التي يمكن له أنْ يطبِّقها على مجتمعه هو، بما يتَّصف به مجتمعه من مقوِّمات قد لا تصدق جميعها على المجتمع المسلم الذي يتتبَّعه بالنقد، وهو يستخدم في هذا منهج الإسقاط.

ولعلَّ مما أسهم في إشاعة هذه الدراسات الانطباعية، وأعان على أنْ تلقى القبول لدى المفكِّرين المسلمين وغيرهم افتقار المنطقة إلى الدراسات المحلِّية، التي تنبع من البيئة نفسها، فأقبل الناس على أيِّ دراسة تصف مجتمعًا بعينه،[1] لا سيَّما أولئك الباحثون الذين يحتاجون في دراسة مجتمع بعينه إلى معلومات عن المجتمع الذي سيدرسونه، سواء أكانوا باحثين مسلمين أم غير مسلمين.

ومكمن الخطر هنا هو في قلب الموازين ـ كما نقول ـ فالمحقَّق عندنا، نحن المسلمين، أنَّ أحكام الدين حُجَّةٌ على مطبِّقيها، وليست ممارساتُ الأفراد أو المجتمعات حُجَّةً على

---

(١) انظر: فرد هاليداي. المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية. ـ ط ٢/ تعريب وتعليق محمَّد الرميحي. ـ الكويت: شركة كاظمة، ١٩٧٧م. ـ ص ٧.

الأحكام نفسها. أي أنَّ المجتمع المسلم، أي مجتمع مسلم، يقاس بالإسلام، ولا يقاس الإسلام بالمجتمع أو بالفرد، أخذًا بالحسبان القاعدة الأصولية التي تنصُّ على أنَّ مقاصد الأحكام مصالح الأنام، فأي حكم لا يصبُّ في مصلحة الناس لا يكون بالضرورة مشتقًّا من الدين. وهذا خطأ لا يقع فيه المستشرقون وحدهم، بل يقع فيه بعض المفكِّرين الآخرين من العرب ومن غيرهم، ممن يسعَون إلى التقليل من شأن الدين في حياة الأفراد والجماعات.

وقد رحل جمع من المستشرقين إلى الشرق لأغراض شتَّى، منها الاقتصادي التجاري والاحتلالي والسياسي والتنصيري والعلمي، وأسهموا في التنظيمات السياسية التي قامت آنذاك، مثل الجمعية الأفريقية التي أنشئت عام ١٧٨٨م، وهيئة استكشاف فلسطين التي أنشئت في القرن التاسع عشر الميلادي، وجمعية الهند الشرقية التي أنشئت سنة ٩٠١هـ/ ١٦٠٠م.[١] كما أسهموا في الحملات العسكرية التي احتلَّت البلاد العربية والإسلامية.[٢]

---

(١) انظر: ساسي سالم الحاج. نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية. ـ مرجع سابق. ـ ص ٦٢.

(٢) انظر: محمود المقداد. تاريخ الدراسات العربية في فرنسا. ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٢م. ـ ص ١٣٠ ـ ١٤٢. ـ (سلسلة عالم المعرفة؛ ١٦٧).

ومعلوم أنَّ نابليون بونابرت[1] قد أحضر معه جمعًا من المستشرقين، كان لهم أثر في محاوراته مع علماء الأزهر.[2]

والمهم هنا التعرُّض للرحلات العلمية التي قام بها المستشرقون الرحَّالة، وخرجوا منها بانطباعات زعموا أنها تعكس الواقع المسلم في المدَّة التي سجَّلوا فيها انطباعاتهم، على الأقلِّ، ثم سعَوا إلى تعميمها على المجتمع المسلم بغضِّ النظر عن الزمان والمكان.

على أنَّ المجتمع المسلم بعامَّة، والجزيرة العربية بخاصَّة تمثِّل لغزًا لدى كثير من المهتمِّين من الغربيين، ومنهم المستشرقون، فهي تمثِّل مهبط الإسلام، وموطن الأماكن المقدَّسة التي يحظر على غير المسلمين الدخول إليها.[3]

---

(١) نابليون بونابرت الأول قائد فرنسي احتلَّ مصر، وكان قد أحضر معه مجموعة من المستشرقين إليها ليجادلوا علماء المسلمين، ودخل الأزهر، وحاول احتلال الشام، حياته حافلة بالأحداث السياسية والعسكرية، وقد نفي إلى جزيرة سانت هيلانة حيث مات بالسرطان سنة ١٨٣١م، انظر: الموسوعة العربية الميسّرة، القاهرة، دار الشعب، د.ت. ص١٨١٢.

(٢) انظر: محمود المقداد. تاريخ الدراسات العربية في فرنسا. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٨٨.

(٣) من الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة، وحديث المصطفى ﷺ عن عبد الله بن زيد ـ رضي الله عنه ـ عن النبيّ ﷺ قال: «إن إبراهيم حرّم مكَّة ودعا لها، وحرَّمت المدينة كما حرَّم إبراهيم مكَّة، ودعوت لها في مُدِّها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكَّة». رواه البخاري ومسلم وأحمد وعبد بن حميد=

ولذا لجأ بعض المستشرقين إلى تغيير أسمائهم بأسماء إسلامية عربية، وادَّعى بعضهم الإسلامَ ودخل الجزيرة العربية حاجًّا، ثم انطلق إلى شرقها وجنوبها، ووسطها أحيانًا، لينال القبول من الولاة والأمراء الذين لم يكونوا يرحِّبون بالأجنبي في أرض القداسات، ويخشَون أنه إنما جاء ليُفسد. ومع هذا فلم يُجدِ التنكّر وإخفاء الهُوية مع بعضهم، فكان مصيرهم القتل على أيدٍ مجهولة قد تكون من قطَّاع الطرق. فهذا زيتسن[(١)] يتنكَّر بهُوية طبيب شرقي، ويتسمَّى بالحاج موسى، ويدخل مكَّة المكرَّمة سنة ١٨٠٩م، ثم يتَّجه إلى اليمن فيُقتل بالقرب من تعزّ، من دون أنْ يُعرف القاتل ولا سبب القتل.[(٢)] وهذا المصير يذكي روح

= وأبو عوانة والطحاوي والبيهقي. انظر: صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي. الأحاديث الواردة في فضائل المدينة: جمعًا ودراسة. ـ ط ٥. ـ المدينة المنوّرة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٩هـ. ـ ص ٤٧.

(١) أولريش جاسبر زيتسن مستشرق ورحالة ألماني تنقل بين مصر والحجاز واليمن والشام وفلسطين، وجمع مخطوطات وأودعها بالمكتبة الدوقية بجوتا، وكتب رسائل عن رحلاته إلى هامر ـ بروجشتال، وله آثار منها (أشعار في سوريا وفلسطين وبلاد ما وراء الأردن وبلاد العرب ومصر السفلى)، توفي في اليمن سنة ١٨١١م. انظر: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. ـ ط ٣. ـ بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٣م. ـ ص٣٣١.

(٢) انظر: محمَّد علي حشيشو. الرحّالة الألمان إلى البلاد العربية. ـ في: المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية. دراسات جمعها وشارك فيها صلاح الدين المنجِّد. ـ ط ٢. ـ بيروت: دار الكتاب الجديد ١٩٨٢م. ـ ص ٧٩ ـ ٩٢. أغسطس رالي. مسيحيون في مكَّة. ـ مرجع سابق. ـ ٢٥٦ ص. وانظر إلى الكتاب بصيغة أخرى: أغسطس رالي. مكَّة المكرَّمة في عيون رحَّالة نصارى. ـ مرجع سابق. ـ ٣١٤ ص.

المغامرة لدى بعض المستشرقين الذين يرغبون في استكشاف الجزيرة العربية والشرق الإسلامي عمومًا، ويغري بالوقوف على هذه المجتمعات ونقل الوصف عنها إلى الغرب،[1] الذي يعتمد في معرفته لها على انطباعات عن سحر الشرق، هي أقرب إلى الألغاز والشاعرية الرومانطيقية المأخوذة من الأساطير المختلقة «كألف ليلة وليلة»،[2] والاختلاقات المحيكة عن الخلفاء المسلمين، مثل ما حيك عن الخليفة العبَّاسي هارون الرشيد ـ رحمه الله تعالى ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ.[3]

---

(١) انظر: معن خليل عمر. التباين الثقافي بين المستشرق والمجتمع العربي. ـ في: الاستشراق. ـ ع ١ (كانون الثاني ١٩٨٧م). ـ ص ٢٩ ـ ٣٤. ـ (سلسلة كتب الثقافة العربية؛ ١).

(٢) ينقل محمود المقداد عن عفيف يهنسي في كتابه أثر العرب في الفن الحديث قوله إنَّ فولتير: «يعترف أنه لم يزاول فن القصص إلا بعد أنْ قرأ ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة. وأوضح لوبونG. Lebon أنَّ هذا الكتاب ألقى نورًا ساطعًا على العرب والشرق، وعلى الناحية الإيجابية لخصائصهم، بل لقد أثار في نفوس الغربيين السعي للتعرُّف على الشعوب التي كانت وراء هذا الأثر العظيم. وقد لا يكون من المبالغة القول إنَّ هذا الكتاب كان أول الطريق إلى الاستشراق وانتشار حركته في الغرب». انظر: محمود المقداد. تاريخ الدراسات العربية في فرنسا. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٣) هارون الرشيد بن أبي جعفر المنصور، الخليفة العبّاسي المشهور، «كان يصلّي في خِلافته كل يوم مئة ركعة إلى أن مات، ويتصدَّق بألف، وكان يحب العلماء ويعظّم حرمات الدين، ويبغض الجدال والكلام، ويبكي على نفسه ولهوه وذنوبه، لاسيما إذا وُعِظ» وقد توفي بإحدى غزواته بخراسان سنة ١٩٣هـ. انظر: محمَّد بن شاكر الكتبي. فوات الوفيات والذيل عليها. ـ ٥ مج/ تحقيق إحسان عبّاس. ـ بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٤م. ـ ٤: ٢٢٥ ـ ٢٢٧.

ومن ناحية أخرى يعتمد الغرب على هذه المعلومات في سبيل اتِّخاذ إجراءات نحو الشرق، إمّا بالاحتلال أو بتحديد نوع العلاقة السياسية أو الاقتصادية مع هذا العالم الموصوف بالنامي.

ولا يصدق تغييب الهُوية والاختفاء بالملابس والأسماء العربية على الجميع، بل إنَّ هناك رحَّالة جاسوا خلال الديار، دون أنْ يضطرُّوا إلى إخفاء أنفسهم وراء اسم مستعار مثلاً، فهذا الطبيب بول هاريسون[(١)] يجوب الجنوب الشرقي من جزيرة العرب عُمان، ويصف مشاهداته في أكثر من كتاب، منها كتابه رحلة طبيب في الجزيرة العربية، الذي يتَّهم فيه أهل رأس الخيمة بأنه متطرِّفون، حتى فيما يتعلَّق بالصلاة في المسجد![(٢)]

وقد أحسنت وزارة التراث القومي والثقافة بعُمان حينما سعت إلى ترجمة مجموعة من آثار الرحَّالة المستشرقين وغيرهم ممن تحدَّثوا عن سلطنة عُمان وغيرها، مما له علاقة بها، ثم نشرها. ومن هذه الإصدارات الكتاب المذكور، ومنها سلسلة في تراثنا:

---

(١) بول هاريسون أحد الأطباء الأمريكيين الذين قدِموا المنطقة في بعثة تنصيرية بدأت سنة ١٨٩٤م، انظر: روبن بدول، الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ترجمة عبد الله آدم نصيف، الرياض: المترجم، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص١٩٤.

(٢) انظر: بول هاريسون. رحلة طبيب في الجزيرة العربية/ ترجمة محمَّد أمين عبد الله. ـ عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦. ـ ص ١١٥.

هجرات الحرَّث إلى أواسط القارة الأفريقية لكوليت جراند ميزون، ١٩٨٤م، وبنو الجلندي في عُمان، لـِ ج. سي. ولكنسن، ١٩٨٢م، وحصن جبرين: تحفة رائعة من العمارة العُمانية في القرن السابع عشر، ١٩٨٣م، ودراسة لآثار عُمان لبياتريس دي كاردي ودونالد س. وتكومب، ١٩٨٣م. والعُمانيون: حكمُهم وأمثالُهم الشعبية جمعها أي. أس. جي، جايكار، ١٩٨٠م، وصُحار عبر التاريخ لأندرو ويليامسون، ١٩٨٢م، والصناعات الفضية في عُمان لروت هولي ١٩٨٢م، والاتصالات الودِّية المتبادلة بين الصين وعُمان عبر التاريخ لتشانج يان، ط ٢، ومن البيئة العُمانية لـِ تي. جي. ولكونسون وديفد ل. هاريسون، ١٩٨٣م، وصُحار: تاريخ وحضارة لجون ولكونسون، ط ٢، ورحلة السندباد لتيم سفرن/ ترجمة سامي عزيز، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، وفي أعقاب السندباد لتيم سيفيرين، ١٩٨٢م. ولمحة تاريخية عن المباني الأثرية في مسقط لروت هولي/ ترجمة محمَّد أمين عبد الله ط ٢، ورحلة إلى عُمان لويندل فيليبس/ ترجمة محمَّد أمين عبد الله، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، وتاريخ عُمان لويندل فيليبس/ ترجمة محمَّد أمين عبد الله، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، وغيرها مما اهتمَّت وزارة التراث القومي والثقافة بإخراجه منقولاً إلى العربية.

ويصف فرد هاليداي في كتابه المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية حركة الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله

تعالى ـ بأنها حركة إرهابية، تمخَّضت عنها ممارسات إرهابية كذلك، مثل ما يقوم به البوليس الديني (المطاوعة) من إرهاب الناس ودفعهم إلى الصلاة بالقوَّة، وعزل النساء، وإجبار السجناء على قراءة القرآن الكريم.[١] والمقصود هنا، على ما هو واضح، ما تقوم به هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي تمثِّل في فكرتها مبدأً من مبادئ الحسبة في الإسلام. وهي ليست وليدة حركة الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب؛ إذ إنَّ هذه الحركة لم تأتِ بجديد على الدين، أو تُدخل فيه ما ليس منه.

وليس من الغريب أنْ يطلق المؤلف على هذه الحركة المذهب الوهَّابي، أو الحركة الوهَّابية، فهو لم يكن وحده في هذا الإطلاق، حتى شاعت هذه الكلمة في أوساط بعض الباحثين العرب.[٢] كما

---

(١) انظر: فرد هاليداي. المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية. ـ مرجع سابق. ـ ص ٦١.

(٢) انظر مثلاً: عبد الرحمن بن سليمان الرويشد. الوهَّابية: حركة الفكر والدولة الإسلامية، ١٣٩٨هـ. وللشيخ سليمان بن سحمان كتاب سمّاه الهديّة السَّنية والتحفة الوهّابية النجدية، وألّف عبد الله القصيمي في بداية عهده كتابًا تحت عنوان الثورة الوهَّابية، كما كتب أحمد الفقي كتابًا أطلق عليه عنوان الوهّابيون والحجاز، ولعبد الله بن صالح العثيمين، بحث بعنوان: الحركة الوهَّابية ومحاولة توحيد جزيرة العرب، ومع هذا يظلُّ هذا الاصطلاح موحيًا بالذمّ لحركة الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب التي رُميت بهذا قصدًا إلى الإساءة إليها وإلصاق التهم بها، ومنها القرصنة في الخليج. انظر: ج. فورستر سادلير. رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م. ـ مرجع سابق. ـ ص ٧، وانظر الدفاع عن هذه النقطة من الناشر. ـ ص ١٨٧.

أنَّ اللفظ قد استُخدم للذمّ في كتابات عربية وأجنبية متعدِّدة.[1]

ويخطِّئ أيضًا من يعدُّ دعوة الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب إيذانًا باندلاع شرارة القومية العربية،[2] فالأسس التي قامت عليها الدعوة لا تتَّفق وحركة القومية العربية، التي نادت بها بعض القيادات السياسية والفكرية في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، بل إنها عُدَّت من العقبات التي تحول دون قيام قومية عربية تؤمن بأن الدين لله والوطن للجميع.

وعلى أيِّ حال تحتاج وقفات الرحَّالة المستشرقين مع حركة الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب إلى دراسة مستقلَّة، تبرز فيها انطباعاتهم عن هذه الحركة التجديدية.

كما أنَّ القصد من هذه الوقفات لا يصل إلى حدٍّ استقراء مواقف الرحالة المستشرقين وغير المستشرقين وانطباعاتهم حول المجتمع المسلم، بل اقتصرت النظرة ـ هنا ـ على أولئك الذين حلّوا في البلاد العربية بعامَّة، بوصفهم يمثّلون عيِّنة لمن حلُّوا في البلاد الإسلامية الأخرى. ولم تتعرَّض إلى الذين حلُّوا في

---

(١) انظر: لي ديفيد كوبر. كتابات الرحَّالة الأجانب كمرجع لدراسة الحركة الوهّابية في القرن التاسع عشر الميلادي/ ترجمة وتعليق عبد الله بن ناصر الوليعي. ـ الرياض: سهاج للإعلام والنشر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م. ـ ص خ د.

(٢) انظر: لي ديفيد كوبر. كتابات الرحَّالة الأجانب. ـ المرجع السابق. ـ ص ٢٣.

البلاد الإسلامية الأخرى؛ لأنه يبدو أنَّ ذلك من المتعذِّر في دراسة واحدة، نظرًا لتشتُّت المعلومات مكانًا ولغاتٍ وأوعية معلومات، وإنما ينطلق المرء غالبًا في دراسته مما هو متاح له من معلومات محدودة زمن إعداد الدراسة، بما في ذلك المعلومات المتوافرة عن مستشرقين قد لا يكونون من الرحَّالة.

وفي المقابل لم يكنْ جميع الرحَّالة الذين جابوا البلاد الإسلامية ـ لا سيَّما البلاد العربية منها، والجزيرة العربية على وجه أخصَّ، من المستشرقين ـ فقد كان من هؤلاء الرحَّالة العملاء والجنود والمغامرون. ومنهم من كان يجيد اللغة العربية، إلا أنهم لم يكونوا على قدْرٍ من الإحاطة والعلم بالإسلام الذي «يمكِّنهم من الملاحظة العلمية المتعمِّقة المتفهِّمة»[(١)].

وقد درس جمعٌ آخر من المستشرقين الرحَّالة، وغيرهم من الرحَّالة المجتمعات المسلمة، وخرجوا منها بانطباعاتٍ قد لا تكون بالضرورة ممثِّلة لممارسات حقيقية لما يمليه الدين عليها، فهذا ريتشارد هرير دكمجيان[(٢)] في كتابه الأصولية في العالم

---

(١) انظر: لي ديفيد كوبر. كتابات الرحَّالة الأجانب. . ـ المرجع السابق. ـ ص٥٧.

(٢) ريتشارد هرير دكمجيان مستشرق أمريكي معاصر من أصل شامي، ومن مواليد حلب، وهو أستاذ في العلوم السياسية بجامعة نيويورك، ومحاضر في شؤون الشرق الأوسط في معهد الخدمات الخارجية بوزارة الخارجية، وله من الكتب (أنماط القيادة السياسية) و(مصر تحت حكم عبد الناصر). انظر: ريتشارد هرير دكمجيان. الأصولية في العالم العربي ـ ط ٣/ ترجمة وتعليق عبد الوارث سعيد. ـ المنصورة: دار الوفاء ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. ـ ص ٥.

العربي يصنِّف المسلم الأصولي المعاصر على أساس ما يقوم به بعض الأفراد، أو أحيانًا فرد بعينه من بعض الممارسات الفردية التي لا تصدُق بالضرورة على المجتمع المسلم جلِّه، ناهيك عن أنْ تصدُق عليه كلِّه، كالعزلة والاكتمال قبل الأوان والتعصب والدونية ـ والاستعلاء والعدوانية والفاشية، وعدم التسامُح والارتيابية والإسقاط، والنظرة التآمرية، والمثالية والإحساس بالواجب، والقسوة والجرأة، والطاعة والالتزام.

وفي هذا كلِّه تعميم لا يصدُق بالضرورة على كلِّ ملتزم بالدين التزامًا مبنيًا على العلم والفقه فيه، كما يحقِّقه المترجم المعلِّق.[1] ومن هذا أيضًا تصنيفه الإسلام إلى إسلامات، فهناك إسلام رسمي وأصولي وصوفي وتقليدي،[2] وإسلام الخاصَّة، وربما النخبة، وإسلام جماهيري «شعبي» وعَلماني، واشتراكي، ويساري، ويميني، ووسط، والإسلام السياسي،[3] وربَّما

---

(١) انظر: ريتشارد هرير دكمجيان. الأصولية في العالم العربي. ـ المرجع السابق. ـ ص ٥٨ ـ ٦٣.

(٢) انظر: ريتشارد هرير دكمجيان. الأصولية في العالم العربي. ـ المرجع السابق. ـ ص ٤٤ ـ ٤٧. ويعلِّق المترجم على هذا التصنيف بقوله: «إنَّ الإسلام واحد لا يتعدَّد، وإنما الذي يتعدَّد هو أفهام الناس وما يكوِّنونه من تصوُّرات عن الإسلام، وما يحدِّدونه لأنفسهم فيما يأخذونه منه وما يدعون». ـ ص٤٧. وانظر مناقشة هذه التصنيفات عند: مازن صلاح المطبَّقاني. الغرب في مواجهة الإسلام: معالم ووثائق جديدة. ـ المدينة المنوَّرة: مكتبة ابن القيِّم، ١٤٠٩هـ. ـ ص ١٣ ـ ٢٤.

(٣) ألقى المستشرق الألماني راينهارد شولتز أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة بون بألمانيا محاضرة بجامعة «برنستون» بالولايات المتحدة الأمريكية سنة=

الإسلام الشرقي، والإسلام الإقليمي، والإسلام الغربي... وغير ذلك من التصنيفات للدين الواحد الذي لا يقبل هذا النوع من الوصف والتصنيف، الذي لم يقع فيه جملة من المستشرقين الرحالة وغير الرحالة فحسب، بل وقع فيه بعض المفكِّرين العرب من باب الاندفاع نحو التجديد حتى في اختيار عنوانات الأبحاث والمحاضرات.[1]

وقد كتب الرحالة المستشرق الفرنسي دي فولني[2] كتابًا في مجلَّدين سنة ١٢٢٠هـ/ ١٧٨٧م عنوانه رحلة إلى مصر وسوريا،

= ١٤٠٨هـ، بعنوان «الإسلام السياسي في القرن العشرين» تحدَّث فيها عن وجود إسلام سياسي وإسلام آخر يهتم بالسلوك اليومي للمسلمين، انظر: مازن صلاح المطبَّقاني. من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر. المدينة المنوَّرة: مكتبة ابن القيِّم، (١٤٠٩هـ). ـ ص ١٩.

(١) ألقى الأستاذ أحمد بن يوسف محاضرة في المؤتمر السنوي لرابطة الشباب المسلم العربي في إنديانا سنة ١٩٨٨م بعنوان «الإسلام السياسي وتحوُّلات الفكر المعاصر». انظر: مازن صلاح المطبَّقاني. من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر. ـ المرجع السابق. ـ ص ٤٣ ـ ٤٤. وانظر: سلسلة الإسلام واحد ومتعدِّد التي تصدرها رابطة الأدباء العرب ودار الطليعة ببيروت. وقد صدر منها: الإسلام العربي، إسلام الفقهاء، إسلام المجدِّدين، الإسلام السنِّي، الإسلام الخارجي، الإسلام الآسيوي، إسلام الأكراد، إسلام عصور الانحطاط، الإسلام الشعبي، وغيرها.

(٢) دي فولني مستشرق ورحاَّلة فرنسي، عاش في القرن الثامن عشر الميلادي، وله غير الكتاب المذكور كتاب آخر بعنوان نظرات في الحرب الراهنة للأتراك كتبه عام ١٧٨٨م. انظر: ساسي سالم الحاجّ. نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاسشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية. ـ مرجع سابق. ـ ١ : ٦٧ ـ ٦٩.

لم يعتمد فيه على المصادر والمراجع العلمية إلا في الجزء المتعلِّق بتاريخ مصر، الذي قسَّمه إلى ثلاثة أقسام، واستغرقت خمسين [٥٠] صفحة فقط من المجلَّدين،[١] «أما باقي كتابه فقد سلك فيه منهج المشاهد الشخصية والمقابلات التي أجراها مع التجَّار المسيحيين والمسلمين، وكان يستنتج من تلك الحوادث والمشاهدات اليومية أنها ذات علاقة بالسياسة التي هي انعكاس صحيح لحالة الشعب المصري وعلاقته بحكَّامه المماليك».[٢] وقد أظهر في كتابه هذا عداءً جارفًا للإسلام، دينًا أو نظامًا سياسيًا، على حدِّ تعبير قاسم السامرّائي.[٣]

وقد اعتمد عليه نابليون بونابرت كثيرًا في حملته على مصر وسوريا، ورأى من خلاله أنه أمام ثلاث عقبات؛ إنجلترا والباب العالي والمسلمين.[٤]

---

(١) انظر: ساسي سالم الحاجّ. نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية. ـ المرجع السابق. ـ ١: ٦٣ ـ ٦٤.

(٢) يعيد دي فولني سبب الانحطاط في الحياة المصرية عامَّة إلى الأثر الذي خلَّفه الحكّام المماليك في الحياة المصرية عامَّة، ويؤكد على أثرهم في تخلُّف الأقباط سلالة الفراعنة، بالإضافة إلى انتشار الإسلام نفسه في مصر. انظر: ساسي سالم الحاجّ. نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية. ـ المرجع السابق. ـ ١: ٦٣ ـ ٦٤.

(٣) قاسم السامرّائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. ـ مرجع سابق. ـ ص ٥٢.

(٤) انظر: ساسي سالم الحاجّ. نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية. ـ مرجع سابق. ـ ١: ٦٥.

وفي كتاب خوان غويتسولّو[١] في الاستشراق الإسباني ملحق عن رحلات دومينغو باديا[٢] أو علي بك العبَّاسي إلى أفريقيا وآسيا، وفيها وصف المغرب، ووصف مصر، ووصف الحجِّ إلى مكَّة المكرَّمة، ووصف فلسطين، ووصف تركيا، وكلها تقوم على جملة من الانطباعات، رصدها الرحّالة دمينغو باديا في وصفه، وركَّز في وصف الحجِّ على الأغوات وأشكالهم، وعدَّهم من أهل مكَّة المكرَّمة، وخرج بوصف أهل مكَّة المكرَّمة من خلال وصفه للأغوات.[٣]

وأصدر المستشرق الهولندي كريستيان سنوك هورخرونيه كتابًا من جزأين عن مكَّة المكرَّمة والحجِّ، عندما دخلها باسم عبد الغفّار، وأقام فيها ستة أشهر لم يكن موسم الحجِّ بينها، يرصد انطباعاته عن الناس والحجَّاج وأهل مكَّة

---

(١) خوان غويتسولّو مستشرق إسباني معاصر، لم أعثر له على ترجمة في مظانّه، وكان من المنتظر أن يترجم له من ترجم كتابه، لكنه فيما يبدو لم يفعل.

(٢) دومينغو باديا رحّالة إسباني انطلق إلى الشرق الإسلامي، سنة ١٨٠٣م، وتسمَّى بعلي بك العبَّاسي، واعتقد بعض المتابعين أنه جاسوس إسباني لنابليون، وقيل إنه أحد موظفي إمارة البحر الفرنسية، وقد قام بوصف دقيق إلى حدٍّ ما للأماكن التي مرَّ بها، وقام بنشر سفراته في باريس سنة ١٨١٤م، وفي لندن سنة ١٨١٦م. وغادر دمشق سنة ١٨١٨م، ليعود ثانية إلى مكَّة المكرَّمة، حيث توفِّي بعد مغادرته دمشق بالزُّحار أو بالتسميم. انظر: جاكلين بيرين. اكتشاف جزيرة العرب. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٨٤ ـ ١٨٦.

(٣) انظر: خوان غويتسولو. في الاستشراق الإسباني/ تعريب كاظم جهاد. ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م ـ ص ١٨٥.

المكرَّمة.[1] وقد ترجم أستاذان من جامعة أمّ القرى بمكَّة المكرَّمة الجزأين، ونشر النادي الأدبي الثقافي بمكَّة المكرَّمة الجزء الثاني، وبقي الجزء الأول موضع نقاش في مسألة نشره، لأنه ـ على ما يظهر ـ مليء بالانطباعات التي لا تصدُق بالضرورة على أهل مكَّة المكرَّمة وأُسرها، وعلى الحجَّاج، حتى في المدَّة التي أقام فيها هورخرونيه في مكَّة المكرَّمة.[2] وقد تولَّت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض طباعة الجزأين، بعد تحريرهما والتعليق المستفيض عليهما.[3]

ومن الوقفات التي تُذكَر له أنه انتقد بمرارة الرحَّالة الأوروبِّيين الذين «... يقيمون في الشرق أيامًا معدودة ويُصدرون أحكامًا سطحية وساذجة تعتمد لا على المشاهدة، وإنما على ما هو موجود في بطون المستشرقين ممن سبقهم. وبهذا تتوالى الأخطاء باستمرار في كتب هؤلاء».[4]

---

(١) انظر: قاسم السامرّائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. ـ مرجع سابق. ـ ص ١١٤ ـ ١٣٧.

(٢) انظر: ك. سنوك هورخرونيه. صفحات من تاريخ مكَّة المكرَّمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري. ـ ٢ ج/ نقله إلى العربية وعلَّق عليه محمَّد بن محمود السرياني ومعراج بن نوَّاب مرزا، راجعه محمَّد إبراهيم أحمد علي. ـ مكَّة المكرَّمة: نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م. ـ ص ٥٦٤.

(٣) انظر: ك. سنوك هورخرونيه. صفحات من تاريخ مكَّة المكرَّمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري. المرجع السابق، ص ٥٦٤.

(٤) انظر: ك. سنوك هورخرونيه. صفحات من تاريخ مكَّة المكرَّمة. ـ المرجع السابق. ـ ص ٣١.

ولقاسم السامرّائي وقفة طويلة مع هذا المستشرق الرحَّالة الذي جاب البلاد الإسلامية، وركّز على الجزيرة العربية وإندونيسيا، على اعتبار أنه كان يخدم الحكومة الهولندية في مسألة احتلالها لإندونيسيا، وشملت هذه الوقفة مناقشة إسلام هورخرونيه.(١)

وانظر ـ إنْ شئت ـ إلى صور غوستاف فلوبير(٢) عن المجتمع المصري في كتابه فلوبير في مصر. وقد أورد إدوارد سعيد أمثلة مما ذكره فلوبير من انطباعات عن المجتمع المصري، في نطاق ضيّق منه، ثم عمَّمه على العرب جميعًا.(٣) وهي انطباعات تدور حول مشاهدات جنسية، وأخرى بذيئة تتعلّق ببعض الرموز الدينية، أو ما كان يعتقد أنها من الرموز الدينية، لا يليق ذكرها في هذا البحث؛ إذ إنها من الابتذال المقرف بحيث تسمح بالترفُّع عنها.

والمقصود هنا أنَّ فلوبير يخرج من هذه الانطباعات وغيرها بأحكام سريعة تخرج على أنها أحكام عامَّة، ومنها قوله: «إنَّ

---

(١) انظر: قاسم السامرّائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. مرجع سابق. ـ ص ١١٠ ـ ١٣٧.

(٢) غوستاف فلوبير ١٨٢١ ـ ١٨٨٠م. أديب فرنسي وروائي كبير. امتاز بالواقعية والصياغة الفنية في إطار رومنطيقي. من رواياته «مدام بوفاري»، «سالامبو»، «التربية العاطفية»، «تجربة القدّيس أنطونيوس» وقصص أخرى. المنجد في اللغة والأعلام. دار المشرق، بيروت.

(٣) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٨٤ ـ ١٨٥.

البقشيش والعصا ليشكِّلان الحقيقة العميقة للإنسان العربي، إنك لا تسمع (هنا) شيئًا آخر ولا ترى شيئًا آخر».[1] وقد تأثَّر فلوبير هذا بآرائه وانطباعاته التعميمية بآراء إدوارد وليم لين.

وقد كتب إدوارد وليم لين عن أخلاق المصريين المعاصرين وعاداتهم كتابًا مليئًا بالانطباعات، ومنها هذه الصورة المقزِّزة الآتية: «عندما قام السيد عمر، نقيب الأشراف . . . بتزويج ابنة له منذ خمس وأربعين سنة تقريبًا، سار أمام موكب الزفاف رجل كان قد شقَّ بطنه وأخرج قسمًا كبيرًا من أمعائه وضعه أمامه على صينية فضِّية. وبعد انفضاض الموكب أعاد المعي إلى مكانها، ومكث في منزله أيامًا كثيرة قبل أنْ يشفى من عواقب تلك الفعلة الحمقاء والمقزِّزة».[2]

والذي يظهر أنَّ هذا العمل الذي قام به إدوارد وليم لين قد نال حظًا من العناية، لا سيَّما من المفكِّرين المصريين الذين تتبَّعوه بالنقد والتمحيص والتدقيق، فيما يتعلَّق بالمعلومات التي أوردها المؤلِّف عن طباع المجتمع المصري، الذي يعدُّ بحقٍّ من أبرز المجتمعات المسلمة، فيما يتعلَّق بالنهضة العلمية والفكرية الحديثة، والتأثير على المجتمعات العربية والإسلامية الأخرى. فقد تتبَّع عدلي طاهر نور هذا الكتاب بالنقد والتحليل. ونشر

---

(١) انظر: خوان غويتسولو. في الاستشراق الإسباني. ـ مرجع سابق. ـ ص١٢٠.

(٢) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٩٦.

متابعاته هذه في مجلَّة الرسالة في ثلاث وخمسين وقفة، على مدى سنتين، من سنة ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م إلى سنة ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م.[١]

كما وقف معه إدوارد سعيد وقفات تحليلية، ومنها قوله كاستنتاج على تعميم الانطباعات التي خرج بها لين: «... وهكذا فإنَّ ما يبدو «إبلاغًا» واقعيًّا صحيحًا عمَّا يفعله مسلم واحد، وغريب الأطوار إلى حدٍّ ما، يظهره لين في صورة الكشف الصادق الصريح عن جوهر عقيدة المسلمين كلِّها. ولا يكترث إدوارد لين لخيانة صداقته لأحمد أو صداقة الآخرين الذين يمدُّونه بالمعلومات، فلا يهمُّه إلا أنْ يبدو بلاغه دقيقًا وعامًّا وموضوعيًّا، وأنْ يقتنع القارئ الإنجليزي بأنَّ لين لم تصبْه مطلقًا عدوى الزندقة أو الردَّة، وأخيرًا لأنْ يلغي النص الذي كتبه لين المضمون الإنساني لمادَّة موضوعه في سبيل الصحَّة العلمية للنصِّ»،[٢] ومع هذا فقد أثنى عليه محمَّد عبد الغني حسن، وبانَ عليه تأثُّره بما كتبه لين عن المجتمع المصري.[٣]

---

(١) انظر: عدلي طاهر نور، المصريون المحدَثون: شمائلهم وعاداتهم تأليف المستشرق الإنجليزي إدوارد وليم لين ـ ١ ـ . ـ الرسالة. ـ مج ٩، ع ٤٢٤ (٢٥ ـ ٧ ـ ١٣٦٠هـ/ ١٨ ـ ٨ ـ ١٩٤١م). ـ ص ١٠٤٢ ـ ١٠٤٥، إلى مج ١١، ع ٥٠٦ (٩ ـ ٣ ١٣٦٢هـ/ ١٥ ـ ٣ ـ ١٩٤٣م). ـ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٦.

(٢) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٦٣.

(٣) انظر: محمَّد عبد الغني حسن. إدوارد وليم لين صوّر المجتمع المصري في القرن التاسع عشر. ـ الهلال. ـ مج ٤، ع ١ (المحرم ١٣٩٦هـ/ يناير ١٩٧٦م). ـ ص ٣٢ ـ ٣٨.

ويكتب بوركهارت[1] عن الجزيرة العربية مركِّزًا على الحجاز، لا سيَّما الحجّ، ويصف المناسك كما يصف الحياة الاجتماعية لأهل الحجاز، ومدنها ومنازلها ودكاكينها وشوارعها ومقابرها، وصْفَ من وقف عليها. وقد فعل ذلك بعد أنْ تسمى بالحاجِّ إبراهيم عبد الله. وقد تُرجِم هذا الكتاب إلى اللغة العربية، ولكن المترجمَين اضطرّا إلى التصرُّف الطفيف في النقل، كما حذفا سطورًا في ستَّة مواضع، لأنهما رأيا أنها غير صحيحة، أو مبالغٌ فيها، أو تسيء إلى بعض المواطنين.[2]

ويحقِّق مترجما كتاب بوركهارت رحلات في شبه جزيرة العرب أنَّ الرحالة: «كان شديد النقد لسلوك المسلمين، ويبدي عواطفَ باردة تجاه المقدَّسات الإسلامية، فمشاعره نحوها أقرب إلى مشاعر الباحث والآثاري منها إلى مشاعر المؤمن المتعبِّد».[3] وقد حمل على العثمانيين والعسكر والتجّار في

---

(١) يوهان لودفيج (جون لويس) بوركهارت مستشرق سويسري درس في ألمانيا، وسافر إلى إنجلترا، وعمل مع الجمعية الأفريقية البريطانية، وقضى بمكَّة المكرَّمة ثلاثة أشهر، وخرج من هذا بكتابه رحلات في شبه جزيرة العرب، بالإضافة إلى كتب أخرى في الرحلات في بلاد الشام وبلاد النوبة. وقد عدَّه العقيقي من المستشرقين الإنجليز، لأنه حاز الجنسية البريطانية، انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٢ : ٥٢.

(٢) انظر: جون لويس بوركهارت. رحلات في شبه الجزيرة العرب/ ترجمة عبد العزيز بن صالح الهلابي وعبدالرحمن عبد الله الشيخ. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م. ـ ص ١٠.

(٣) انظر: جون لويس بوركهارت. ـ المرجع السابق. ـ ص١٠.

مصر والشام والحجاز والمطوِّفين والمزوِّرين، وهو بذلك يُصدر «. . . أحكامًا عامَّة على جميع أفراد تلك الفئات تجعل الباحث المنصف يتردَّد في قبولها إنْ لم يرفضها».[1]

كما يكتب كارستن نايبور[2] عن شبه جزيرة العرب، بعد أنْ جال فيها في بعثة مات أصحابه أثناء تجوالهم فيها، وبقي هو يسجِّل مرئياته، ويصف ما تقع عليه عيناه. ويذكر أنَّ ما يميز كتابه رحلات خلال جزيرة العرب عن أمثاله من كتب الرحلات في عصره «أنَّ الصفة الغالبة في أسلوبه هي روح البحث العلمي المجرَّد عن التحيُّز والحكم المسبق، فعقله المتَّزن وتفكيره الهادئ الذي لا يعرف التغرُّض، لم يؤدِّيا به إلى التسرُّع في إصدار أحكام سطحية حول البلاد وسكَّانها».[3]

ويُصدر المستشرق الفرنسي إرنست رينان[4] أحكامًا

---

(١) انظر: جون لويس بوركهارت. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٠.

(٢) كارستن نايبور دانمركي من مواليد ألمانيا، ينحدر من عائلة فقيرة تعمل بالفلاحة في فريسلاند، تخرَّج نايبور مساحًا وأحبَّ الرياضيات والهندسة، وتعلم شيئًا من العربية، وتوفي سنة ١٨١٥م، ويُعدُّ أول رحّالة غربيٍّ وصل إلى الجزيرة العربية، انظر: روبن بدول. الرحّالة الغربيون في الجزيرة العربية. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٥ ـ ٤٣. وانظر أيضًا: سمير عطا الله. قافلة الحبر. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٩.

(٣) انظر: محمَّد علي حشيشو. الرحّالة الألمان إلى البلاد العربية. ـ مرجع سابق. ـ ص ٧٩ ـ ٩٢.

(٤) إرنست رينان مستشرق فرنسي، برز في المدارس اللاهوتية، ثم تخلّى عن دعوته في هذا المجال لينصرف إلى دراسة اللغات الساميّة وتاريخ=

انطباعية كثيرة على الشرق وأهله، لا سيَّما المسلمون منهم، وهو ممن عاش في الشرق، ومن ذلك موقفه من العرق السامي الذي يرجع إليه العنصر العربي، الذي كان منطلق انتشار الإسلام؛ إذ يرى «أنَّ الجنس السامي يبدو لنا جنسًا ناقصًا في كلِّ شيء، بسبب بساطته. وإذا جرؤت على استخدام هذا التشبيه قلت إنه بالمقارنة بالأسر الهندية والأوروبية يشبه مقارنة الرسم بالقلم الرصاص باللوحة الزيتية، أي إنه يفتقر إلى التنوُّع وإلى الرحابة وإلى الثراء، وهي الصفات اللازمة للكمال. إنَّ الأمم الساميّة تشبه الأفراد من ذوي الخصب المنخفض إلى الحدِّ الذي يجعلهم ـ بعد طفولة رائعة ـ لا يحقِّقون إلا مستوًى متواضعًا من الفحولة. فلقد بلغت تلك الأمم ذروة ازدهارها في عصرها الأول، ولم تتمكَّن بعدها قطُّ من تحقيق النضج الحقيقي»[1].

ومما يمكن أنْ يُعدَّ نتيجة من نتائج هذا الموقف من العرب المسلمين، والساميين بعامَّة ما صرَّح به رينان نفسه في محاضرة ألقاها في الكوليج دي فرانس سنة ١٨٦٢م من أنَّ «الإسلام هو احتقار العلم وإلغاء المجتمع المدني، إنه البساطة المروِّعة للعقل

= الديانات. زار لبنان وفلسطين وقام بأعمال تنقيب أثرية، وعُني بالعقائد الإسلامية، ومن آثاره، الكثيرة «تاريخ اللغات الساميّة، ومقالة طابع الشعوب الساميّة»، توفي سنة ١٨٩٢م، انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ١ : ١٩١.

(١) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٤٧.

السامي، التي تحدُّ من الإبداع الإنساني، وتحول بينه وبين كلِّ فكرة مرهفة، وكلِّ إحساس رقيق، وكل بحث عقلاني، ولتجعله في خدمة توتولوجة أزلية: «الله هو الله».[1] وبعبارة أخرى لترجمة أخرى: «الإسلام هو النفي الكامل لأوروبا، الإسلام، هو التعصُّب، الإسلام هو احتقار العلم، القضاء على المجتمع المدني، إنه سذاجة الفكر السامي المرعبة، يضيِّق الفكر الإنساني، يغلقه دون كل فكرة دقيقة، دون عاطفة لطيفة، دون كلِّ بحث عقلاني، ليضعه أمام حشو سرمدي: الله هو الله».[2]

ونحن المسلمين لا نؤيد رينان فيما ذهب إليه؛ لأنَّ المعيار عندنا يناقض تمامًا هذه الآراء التي جمعت بين النقص العرقي والنقص الديني في انطباعاته عن العرب، لكونهم يكوِّنون عنصرًا رئيساً في الساميّة.

---

(١) نقلاً عن لوي غارديه ومحمّد أركون. الإسلام الأمس والغد. ـ بيروت: دار التنوير، ١٩٨٢م. ـ ص ٧٦، ونقلاه عن فانسان مونتاي. مفاتيح الفكر العربي، ونقله عنهما محسن جاسم الموسوي. الاستشراق في الفكر العربي. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٢. وقد وقف مع هذه الآراء مجموعة من المفكِّرين، ومنهم محمَّد إبراهيم الفيُّومي في: الاستشراق: رسالة الاستعمار. ـ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٣م. ـ ص ٢٣٨ ـ ٢٤٤. وانظر أيضًا: أحمد حسن عبد الرحيم. المستشرق الفرنسي إرنست رينان ونظرته إلى اللغة والفلسفة. ـ في: الاستشراق. ـ ع ٢، (شباط ١٩٨٧م). ـ ص٣٩ ـ ٤٢. ـ (سلسلة كتب الثقافة المقارنة).

(٢) من كلمة للحبيب الشطّي في: مارسيل بوازار. الإسلام اليوم. ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦م. ـ ص ٣٥.

ويستفيد كارل ماركس[١] من انطباعات رينان، حيث يقرِّر أنَّ «على إنجلترا أنْ تفي بمهمَّة ذات شقَّين؛ الشقُّ الأول يدمِّر، والثاني يعيد التوليد والإحياء، فالأول يعني إبادة المجتمع الآسيوي، والثاني يعني إرساء الأسس المادِّية لمجتمع غربي في آسيا»[٢].

مع أنَّ ماركس كان في البداية ضدَّ فكرة الاحتلال البريطاني. ويتساءل إدوارد سعيد هنا «أين ذهب التعاطُف الإنساني؟ وما المجال الفكري الذي اختفى فيه أثناء استيلاء الرؤية الاستشراقية على مكانه؟ وهذا يعود بنا فورًا إلى إدراك أنَّ المستشرقين ـ مثل كثير من مفكِّري القرن التاسع عشر الآخرين ـ يرسمون للإنسانية في أذهانهم صورًا جماعية ضخمة أو تعميمات تجريدية. فالمستشرقون لا يهتمُّون بالأفراد، ولكن السائد ـ بدلاً من هذا ـ هو الكيانات المصطنعة التي ربما تضرب جذورها في مذهب الشعبية عند هيردر»[٣].

---

(١) كارل ماركس من مواليد ترير بألمانيا سنة ١٨١٨م، ومؤسس الفكر الاشتراكي مع فريدريك إنجلز، ورئيس الجمعية العالمية للعمَّال، وتنقَّل بين المدن الأوروبية، وقد أدَّت أفكاره الاشتراكية إلى قيام الشيوعية، المعاصرة، وتوفي سنة ١٨٨٣م، انظر: Funk and wagnals New Encyclopedia. 27 vols. New york: Funk and Wagnals, 1975, 16: 56 - 57.

(٢) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٥٤

(٣) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٥٤.

وينقل المستشرق جاك بيرك[1] عن باحث محلِّي قوله: «لقد قام باحث عراقي بإجراء بحث في منطقة الأهوار المجاورة لشطِّ العرب ليكتشف أنه ما زالت هناك عادات تعكس الأوضاع البدائية كتبادُل الزوجات الذي حرَّمه الإسلام كلَّ التحريم أو كالتنازُل عن الزوجة فدية «عن جريمة قتل».[2] وفي هذا النصِّ أمران يستحقَّان الوقوف والتحليل:

الأمر الأول: هو أنَّ جاك بيرك يطبِّق المعيار الإسلامي هنا على ما يذكره، حينما يؤكِّد على أنَّ الإسلام يحرِّم هذا الأسلوب من الممارسات. وهذه تُذكر له لا عليه.

الأمر الثاني: أنه لم يكن موفَّقًا في النقل عن الباحث العراقي، وهو شاكر مصطفى سليم، الذي لم يذكر هذه المعلومات في الكتاب الذي رجع إليه المستشرق جاك بيرك، مع أنه ذكر البيانات المعتادة عن المرجع المذكور وهو كتاب الجبايش. وهذا خطأ منهجي يُعتقد أنَّ المستشرق وقع فيه عمدًا، لأنَّ الكاتب العربي تطرَّق لموضوع تعدُّد الزوجات في

---

(١) جاك بيرك تخرَّج في باريس، وعمل في المغرب ومصر ولبنان، ثم عمل أستاذًا في التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في معهد فرنسا فمديراً لمعهد الدراسات العليا، وله آثار عدة في الأدب والتاريخ والاجتماع، انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ١: ٣٣٦ ـ ٣٣٨.

(٢) انظر: معن خليل عمر. التبايُن الثقافي بين المستشرقين والمجتمع العربي. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٢ ـ ٣٣.

الأهوار طبق ما هو مقرَّر شرعًا في حدود المعيار، لا ما هو محرَّم في الإسلام.[1]

وهذا المستشرق الإنجليزي سارجنت[2] يقيم مدَّة في جنوب الجزيرة العربية، ويخرج بمقالة «مبنية على الظنِّ والافتراض، إضافة إلى أنَّ أفكارها غير مقنعة».[3]

وهذه المنصِّرة إليانور تيلور تروي انطباعاتها عن رحلتها التنصيرية في البحرين، وتتردَّد على البيوت التي تزعم أنها تدخلها دون الحاجة إلى استئذان؛ لأنَّ العرب عندها لا يقرِّون الاستئذان؛ إذ تقول: «. . . وعند بوَّابة البيت الخشبية الضخمة لم نقم بقرع الباب على اعتبار أنَّ العرب لا يقرعون الباب عند دخولهم البيت، بل إنهم سيضحكون علينا إذا فعلنا ذلك».[4] والعرب والمسلمون لا يرحِّبون بالقادم إذا لم يستأذن بالدخول. وهذا ما نصَّ عليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: معن خليل عمر. التبايُن الثقافي بين المستشرقين والمجتمع العربي. ـ المرجع السابق. ـ ص ٣٣.

(٢) ر. ب. سارجنت مستشرق إنجليزي، تعلَّم في أدنبره وكامبريدج، وانتُدب باحثًا لشؤون جنوب الجزيرة العربية بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، ومنقّبًا في جنوب الجزيرة العربية، وله في هذا آثار عدة. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٢: ١٤١ ـ ١٤٢.

(٣) انظر: عبد اللطيف الطيباوي. المستشرقون الناطقون بالإنجليزية: دراسة نقدية/ ترجمة وتقديم قاسم السامرّائي. ـ الرياض: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. ـ ص ١١٣.

(٤) انظر: خالد البسّام. القوافل. ـ مرجع سابق. ـ ص ٨٣.

ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

وإذا فرض أنَّ أهل ذلك الحيِّ قد تنازلوا عن حقِّهم في الاستئذان عليهم، وهو أمر مستبعد، فإنَّ العرب بهذا التعميم لم يتعوَّدوا ذلك. والمعيار الذي يستنيرون به يحثهم على الاستئذان والسلام قبل الدخول.

وعلى أيِّ حال لا تقتصر الانطباعات على مجرَّد كونها كذلك، تعبِّر عن آراء أصحابها فحسب، بل تتحوَّل هذه الانطباعات الناجمة عن الرحلات، أو عن الاقتباس من كتب الرحلات، إلى أحكام رسمية، «وكانت المساهمات في «المكتبة الاستشراقية» وفي دعمها تعتمد على أسلوب تحويل الخبرة والشهادة من مجرَّد وثيقة شخصية إلى مجموعة من القواعد التي تمكِّن «علم الاستشراق» من العمل وتَهِبه القوَّة. وبعبارة أخرى، كان لا بدَّ من تحويل الأقوال الشخصية إلى أقوال رسمية داخل النصِّ. ومعنى هذا ضرورة تخلُّص الوثيقة التي تسجِّل إقامة الأوروبي وخبرته بالشرق من سمات السيرة الذاتية والوصف «المتساهل»، أو قل: ضرورة تقليل هذه السِّمات على الأقلِّ

لإحلال الأقوال الوصفية التي تمكِّن الاستشراق بصفة عامَّة والمستشرقين اللاحقين بصفة خاصَّة من الاعتماد عليها والبناء على أسسها وإقامة المزيد من الملاحظات والأوصاف العلمية على هذه الأسس. وهكذا فعلينا أنْ نترقَّب ـ فيما نترقَّب ـ كيف تتحوَّل المشاعر الشخصية إزاء الشرق. بصراحة أكبر مما نجده عند ماركس إلى أقوال استشراقية رسمية»، كما يقرِّر إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق.[١]

وينبني على هذه الآراء الانطباعية القديمة آراء حديثة مؤدَّاها أنْ الشرق لا يستحقُّ أنْ ينعم بما ينعم به الآن من ثروات طبيعية وبشرية وعلمية وثقافية، ومن رغبته في أخذ مقعد في مسيرة الحضارة الحديثة، بل ينظر إلى هذا الشرق على أنه لا بدَّ أنْ يظلَّ «عالةً» على غيره في العلم والثقافة والإعلام وغيرها من مقوِّمات حضارة اليوم، ذلك أنَّ الشرق بعامَّة، والعرب بخاصَّة، في تركيبتهم «الفسيولوجية» لا يملكون مقوِّمات السير في هذا المضمار، كما يحلو لإرنست رينان أنْ يقرِّر! «وهذه المواقف الاستشراقية المعاصرة تغمر الصحافة والتفكير الشعبي، إذ يُظنُّ لأنَّ العرب قوم يركبون الجمال إرهابيون أنوفهم معقوفة فاسقون مرتشون، وأنَّ ثروتهم التي لا يستحقُّونها إهانة للحضارة الحقيقية. وخلف ذلك دائمًا ما يختبئ افتراضٌ أنه رغم انتماء

(١) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٥٨.

المستهلكين الغربيين إلى أقلّية عددية في العالم فإنَّ من حقِّهم إمَّا أنْ يمتلكوا أو ينفقوا (أو أنْ يمتلكوا وينفقوا معًا) غالبية موارد العالم. لماذا؟ لأنَّ المستهلك الغربي ـ بخلاف الشرقي ـ إنسان حقيقي»، كما يقرِّر إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق كذلك.[1]

وقد يقال إنَّ الرحلات وما تمخَّض عنها من إنتاج علمي قد أسهمت في إزالة سوء الفهم الذي تركه المستشرقون من غير الرحَّالة الذين اعتمدوا على آثار من سبقهم من المستشرقين، هذه الآثار التي لم تُسهم إيجابًا في الموضوعات التي تحدَّثت عنها، فأزال المستشرقون الرحَّالة كثيرًا من سوء الفهم والتغرُّض والتعصُّب، ذلك أنهم عايشوا المجتمعات المسلمة وعرفوها معرفة صحيحة أزالت الخوف والعداء، وأقامت أسسًا جديدة للتفاهُم، وقنوات حديثةً للحوار،[2] والذي يظهر أنَّ هذا حقٌّ، إذا ما توافرت النيَّة الصادقة لدى الدارسين للمجتمع المسلم من المسلمين وغير المسلمين، واتَّخذ الدارسون معيارًا متعارفًا عليه، متَّفقًا عليه في قياس أيِّ مجتمع مسلم، وإنْ لم يؤمنوا به عقيدةً وأسلوبَ حياة، كما فعل جاك بيرك في مناقشته للخطأ الذي وقع فيه في استشهاداته المرجعية.

---

(١) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٩٢.

(٢) انظر: محمَّد علي حشيشو. الرحّالون الألمان إلى البلاد العربية. ـ مرجع سابق. ـ ص ٩٢.

الخاتمة: الخلاصة والنتيجة

الاستشراق ميدان عريض متعدِّد الوجهات، وذو فئات ومدارس. وهو قديم وحديث، وذو أهداف متعدِّدة، ومنطلقات مختلفة. والتعميم في الأحكام على الاستشراق ليس مطلوبًا، ولا مرغوبًا فيه. والتخصُّصية هي التي تبيِّن الغثَّ من السمين. وهناك ما يربو على مئة وعشرين ألف عمل استشراقي قديم وحديث. «ومن ذا الذي يستطيع استقراء الآراء في هذه الأعمال الاستشراقية، كتبًا كانت أم بحوثًا ومقالات».[(١)]

إنَّ أدبيات الاستشراق وفِرَقه وتنوُّعه وتعدُّد اللغات التي كُتب فيها والاتِّجاهات التي سارت على منوالها لا تزال بحاجة أكيدة إلى غربلة وتقويم. «وبعض المحاولات التي قام بها بعض الباحثين سواء أكانوا من المسلمين أم من المستشرقين أنفسهم بقيت إلى هذه الساعة دون الأهمية التي يكتسبها هذا الموضوع... فواجبٌ علينا إذنْ أنْ نقوم بعملية مراجعة طويلة النفَس لنُنصف حضارتنا، وهو ما يتطلَّب منا نقدًا علميًا لمناهج بعض المستشرقين، وتفكيكًا لطرق تحليلهم، وكشف القناع عن ملابسات مواقفهم، وإثبات مواطن الخطإ في كتبهم ومصادرهم».[(٢)]

---

(١) انظر في مناقشة فكرة التتبُّع هذه: نديم البيطار. حدود الهُوية القومية. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٢) انظر: عبد الوهّاب أبو حديبة. الحياة الاجتماعية الإسلامية كما صوَّرها بعض المستشرقين. ـ في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ٢ مج. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ٢: ١٤٠ و١٤١.

ولقد تتبَّعت ما كُتب عن الاستشراق باللغة العربية، رغم ما تعانيه المكتبة العربية من نقص في الضبط الوراقي «الببليوجرافي»، ورغم مُضيّ أكثر من خمس وعشرين سنة على المتابعة. فوقفت على أكثر من ثلاثة آلاف وثماني مئة (٣,٨٠٠) عملٍ عربيٍّ يُناقش الاستشراق بعمومياته وخصوصياته، بسلبياته وإيجابياته، فتأكَّدتْ عندي صعوبة الصدور بحكم عامّ على دراسات المستشرقين.(١)

ولذا فضَّلت الوقوف على جزئية صغيرة من هذه الدراسات تتعلَّق بالانطباعات والآراء القائمة على المشاهدات والرحلات على أنها من مصادر المستشرقين عن الإسلام والمسلمين، ومن ثَمَّ الخروج منها بأحكام عامّة من دون إخضاع هذه الأحكام إلى معيار موضوعي، تُقاس عليه الممارسات التي تصدر عن الأفراد أو عن جماعات محدودة في مجتمعات صغيرة.

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٦٩ ص. وانظر: علي بن إبراهيم النملة. المستشرقون والسنَّة والسيرة في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ١٥٧ ص. وانظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق والإسلام في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٢٤ ص. وانظر: علي بن إبراهيم النملة. نقد الاستشراق في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٣٠٣ ص. وانظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق وعلوم المسلمين في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٥٦ ص.

ومع هذا فإنَّ هذا الموضوع على جزئيته يحتاج إلى خدمة أكثر، ودراسة أعمق، ووقفات أطول مما اتَّسمت به هذه العُجالة. ولعلها تفتح المجال لذلك، فالموضوع أوسع من أنْ يُحصر في دراسة قصيرة، بل ربما ذهبت إلى القول: إنَّ الأمر يستدعي الوقوف عند حالات فردية من المستشرقين الرحَّالة لمناقشة أفكارهم وانطباعاتهم التي خرجوا بها من رحلاتهم، ومن ثَمَّ مقابلتها بالمعيار الذي نؤمن به، ونتَّخذه مقياسًا لوزن المعلومات والأفكار والانطباعات التي تردنا من المستشرقين وغيرهم. وهذا ما دأب عليه معظم من تولَّوا ترجمة هذه الرحلات إلى اللغة العربية من العلماء والمتخصِّصين العرب والمسلمين.

وسيظلُّ الاستشراق معنا ما دام هذا الدين بيننا، وما دمنا شرقيين نصرُّ على أننا متميّزون بديننا. ومتى ما تحقَّقت رغبة ماركس في إبادة الشرق وتغريبه، فإنَّ الاستشراق حينها سيتوقَّف، الأمر الذي لا يبدو أنه سيتحقَّق، بقدْر ما يمكن أنْ يتحقَّق عكسه، ولكن ليس عن طريق الإبادة، بل عن طريق إحياء هذا الشرق بما يحمله من رسالة هي للناس كافَّة.[1]

---

(١) ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف].

والذي لا بدَّ من التوكيد عليه في هذا المجال المهمّ هو عدم الوقوع في ما وقع فيه بعض المستشرقين من بناء نظرية حول موقف ما، ثم النزوع إلى التراث أو الواقع لتثبيتها، ولو بالتعسُّف ولَيِّ أعناق النصوص. ولذا فإنه ليس من الموضوعية المطلوبة والمنتظرة من كل باحث أنْ يزعم سلفًا، ولو افتراضًا، أنَّ المستشرقين الرحَّالة جميعَهم قد جنَوا على المجتمع العربي والمسلم بمعلومات غير موثَّقة أو علمية، وإنما المطلوب الوقوف على المعلومات نفسها وتحليلها ونقدها بمقابلتها بمعيار النقد الدقيق، فما وافقه قُبِل وأُخذ به، وما لم يوافقه أعيد إلى أصحابه، وعُدَّ من هِناتهم التي تؤخذ عليهم.

ويتبع هذا عدم قبول هذه المعلومات على علاَّتها، دون عرضها على المعيار بحجَّة أنها جاءت من المستشرقين، وأنهم كانوا حريصين على المجتمع الذي يتحدَّثون عنه، وأنهم خدموا التراث والواقع خدمة لم يصل إليها أبناء المجتمع نفسه.

والذي ظهر من هذا الاستعراض العاجل لهذا الموضوع أنَّ المستشرقين الرحَّالة، والرحَّالة من غير المستشرقين كالمنصِّرين والجواسيس، قد أسهموا في رسم صورة لم تكن دقيقة دائمًا عن الشرق، وسجَّلوا انطباعاتهم التي كانت مبنية على مجرَّد مشاهدات شخصية، دون الاحتكام إلى معيار تنطلق منه ممارسات أهل الشرق، لا سيَّما المسلمون منهم. واعتمد غير المستشرقين، ممَّن لهم اهتمامات بالشرق كالسياسيين

ومستشاريهم وصنَّاع القرار، على هذه المعلومات المبنية على الانطباعات والمشاهدات في الحكم على المجتمع المسلم، وفي اتِّخاذ القرارات المصيرية أحيانًا. بل إنَّ هذه المعلومات ـ على ما يظهر ـ قد أثَّرت في مسألة فهم الإسلام وأهله، ومن ثَمَّ أثَّرت في اتِّخاذ المواقف حياله، بما في ذلك مسألة الإقبال عليه وانتشاره، والإسهام باتِّهامه بما يُتَّهم به الآن.

وقد لا يتوقَّف الاعتماد على هذه المعلومات، المبنية على الانطباعات والمشاهدات عن المجتمع المسلم على المستشرقين، ومن يستأنس بإسهاماتهم، في اتِّخاذ القرارات المصيرية تجاه الشرق، كالقيادات السياسية والاقتصادية والعلمية، بل إنَّ هذه المعلومات قد تسرَّبت إلى الشرق نفسه، واستأنس بها كُتَّاب ومؤلِّفون شرقيون مسلمون. ويبدو أنها أثَّرت على فهمهم هم لدينهم ومجتمعهم، بل ربَّما تسرَّبت إلى قيادات سياسية مسلمة، فنظرت إلى الإسلام بتأثير من المعلومات التي أشاعها المستشرقون، لا سيَّما الرحَّالة منهم. ومن ثَمَّ قامت مواقف غير دقيقة، وقد تكون غير معلنة، تجاه الإسلام ومن يلتزمون به، مما أدَّى إلى فرض منهج عَلماني متطرِّف، أو إلى قمع الشعوب. وهذا بدوره أدَّى إلى نفاد الصبر وقيام ثورات شعبية محلِّية.

ومما يُستنتج هنا أنَّ المستشرقين قد خدموا المنطقة العربية والإسلامية بالوصف الدقيق الذي لم يكن المؤلِّفون العرب

المتأخِّرون يلقون به بالاً كبيرًا. وهذا مما يُذكر للمستشرقين، حيث أفاد منهم، كثيرًا علماء وباحثون في الجغرافيا والتاريخ الحديث والاجتماع والأنثروبولوجيا، وربما في علوم أخرى كالسياسة والاقتصاد والآداب، بل إنَّ الفنَّ التشكيلي يستفيد من وقفات المستشرقين الرحَّالة.(١)

وكان من شغفهم بالمغامرة والدخول إلى مواطن لم يكن ليدخلها الآخرون أنْ تنبَّهوا إلى تفصيلات دقيقة، ربما عدَّها الوصَّافون العرب من الأمور التي لا تستحقُّ الذكر، ولكنها كانت تشكِّل شيئًا جديدًا لدى المستشرقين الذين قابلوها بغرابة وعجب.

والذي يتتبَّع انطباعات الرحَّالة المستشرقين والمنصِّرين والجواسيس سيجد أوصافًا دقيقة للناس والحياة التي مرُّوا عليها،(٢) بما في ذلك طُرُق الأكل واللباس والمشي والركوب والجلوس، وكل دقيق في حياة الناس. وقد تكون النساء

---

(١) انظر: أدب الرحلات. ـ في: الاستشراق. ـ ع ٢، (شباط ١٩٨٧). ـ ص ٩٨ ـ ١٠٠. ـ (سلسلة كتب الثقافة المقارنة).

(٢) هناك افتراض يقول: إنَّ كلَّ منصِّر مستشرق، وليس كلُّ مستشرق منصِّرًا، إذ إنَّ المنصِّر يطالَب بالتعرُّف على البيئة التي يُرسل إليها، ومن ذلك تعرُّفه على الثقافات والخلفيات التي يتصرَّف المجتمع بموجبها، وغالبًا ما يسجِّل المنصِّر انطباعاته عن هذا المجتمع أو غيره بمعزل عن التطويع للمعيار، الذي يسير المجتمع بموجبه، انظر: علي بن إبراهيم النملة. التنصير في المراجع العربية. ـ مرجع سابق. ـ ص ٨٩ ـ ٩٠.

المستشرقات والمنصِّرات والجاسوسات في هذا المجال أكثر دقَّة من الرجال في الوصف وتتبُّع عادات الناس وتقاليدهم، والخروج بانطباعات اجتماعية عديدة عن المجتمعات التي عشن بها وعايشنها وعاشرن نساءها. وفي هذا تقول المنصِّرة ستانلي ميلري: «... ومع تجربة العمل لأشهر قليلة في الكويت وجدت أننا استطعنا كنساء الإرسالية الدخول إلى الكثير من البيوت ومعرفة الكثير عن حياتهم وأحوالهم [هكذا]، وتمكنًّا من الاختلاط بأناس من نوعيات وأجناس مختلفة أكثر مما استطاع رجال الإرسالية تحقيقه مع رجال الكويت. وفي يوم سفري من الكويت ودَّعت النساء الكثيرات اللواتي أصبحن صديقاتي وأنا أضحك على انطباعاتي الخاطئة عنهن في أيامي الأولى».[1]

ومثل هذا كثير من الانطباعات المبثوثة، وقد جمعت في أعمال حديثة، مثل تلك التي تضمَّنها كتاب القوافل لخالد البسَّام،[2] وغيره من الكتب التي عالجت موضوع الرحلات إلى

---

(١) انظر: خالد البسَّام. القوافل. ـ مرجع سابق. ـ ص ١١٣.

(٢) انظر: خالد البسَّام. القوافل. ـ المرجع السابق. ـ وفيه جمع من الانطباعات عن منطقة الخليج العربية سطَّر أصلها باللغة الإنجليزية كلٌّ من المنصِّرين الآتية أسماؤهم: جيمس مويرديك، وشارون توماس، وجيمس كانتين، والسموأل «صموئيل» زويمر، وإليزابيث كانتين، وستانلي ميلري، وتايرا جوسلين، وآرثر بينيت، وإليانور، تيلور، وجي، بينينجس، وهول فان، وإدوين كالفيري، وفان بويرسم، وبول هاريس، ولويس ديم، وكورنيلاد ألينبيرج، وقد غطَّت هذه الانطباعات من سنة ١٩٠١ إلى سنة ١٩٢٦م.

المنطقة العربية والإسلامية التي ورد ذكرها في ثنايا هذه الدراسة.[1]

ومن الإنصاف أنْ تذكر هذه الجهود، مما ينتج عنه أنَّ رحلات المستشرقين إلى الشرق العربي والإسلامي لا يمكن أنْ تكون شرًا كلّها، وأنه يُطلب من الباحثين العرب والمسلمين الاهتمام بتحليل المعلومات الواردة في هذا الإنتاج الاستشراقي، وعرضها على المعيار الذي يؤمن به هؤلاء الباحثون، فما لم يتعارض معه أخذ منه وبه، وما تعارض مع المعيار يُرفض ويُنبّه إليه. ويعين هذا الأسلوب كثيرًا على معرفة الأهداف التي من أجلها خاض المستشرقون الرحَّالة هذه المغامرات، ليفرَّق بين من كان غرضه علميًا، ومن جاء للتجسُّس ولخدمة أغراض سياسية احتلالية وتنصيرية.

وقد تبيَّنت من خلال إسهامات المؤلِّفين العرب والمسلمين في مجال الرحلات وقفاتٌ علميةٌ تستحقُّ التنويه، فيها تحليل ومناقشات لمواقف ذكرها المستشرقون الرحَّالة. وقد بان هذا بوضوح من خلال التعليقات الهامشية على كتب الرحّالة التي نُقلت إلى العربية بخاصة.[2]

---

(١) انظر: خالد البسَّام. صدمة الاحتكاك: حكايات الإرسالية الأمريكية في الخليج والجزيرة العربية ١٨٩٢ ـ ١٩٥٢م. ـ بيروت: دار الساقي، ١٩٩٨م. ـ ٢٠٣ ص.

(٢) انظر إلى تعليقات عبد العزيز الهلابي وعبد الرحمن الشيخ على كتاب بوركهارت. رحلات في شبه جزيرة العرب. ـ مرجع سابق. ـ وتعليقات=

ولم يكن القصد من هذه الدراسة استقراء الآراء والإسهامات في مجال الرحلات إلى الشرق، وتحليل معلوماتها وعرضها على المعيار الإسلامي، فإنَّ هذا العمل متعذِّرٌ على باحث واحد، لما تتَّسم به هذه المعلومات من التشتُّت في المكان واللغة والأوعية والزمان كذلك، حتى لو اقتصر الأمر على لغة واحدة، هي العربية هنا، فإنَّ الاستقصاء، يظل متعذِّرًا في وقفة قصيرة في المدَّة والمساحة؛ وذلك نظرًا لما تعانيه المكتبة العربية من تقصير في خدمة المعلومة وتهيئتها للباحث من حيث الضبط الوراقي [الببليوجرافي]، وتنظيم المعلومة من حيث استخلاصُها وتكشيفُها ونحو ذلك.

وليس هذا عذرًا يضعه الباحث بين يديه لتسويغ التقصير، إذ إنَّ المتوافر من المعلومات في مكتبات البلد الواحد، وباللغة العربية، قد يكون كافيًا للتغطية المطلوبة، إلا أنه لا يغفل بحال هذا العجز الذي تعانيه المكتبة العربية، مما يؤثِّر بوضوح على مسيرة البحث العلمي العربي، ومما يُعَدُّ إحدى العقبات التي يواجهها الباحث في طريقه لإعداد البحث، لا سيما في مرحلة جمع المعلومات.

= سعود بن غانم العجمي على كتاب رحلة عبر الجزيرة العربية. ـ مرجع سابق. ـ ففيها وقفات مفيدة في التعامُل مع المعلومات التي أوردها المستشرقون الرحَّالة.

مراجع الكتاب

١ ـ أبو حديبة، عبدالوهَّاب. الحياة الاجتماعية الإسلامية كما صوَّرها بعض المستشرقين. ـ في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ٢ مج. ـ الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ٢: ١٣٧ ـ ١٦١.

٢ ـ أبو خليل، شوقي. موضوعية فيليب حتِّي في كتابه تاريخ العرب المطوَّل. ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ٢٢٣ ص.

٣ ـ أبو علية، عبد الفتاح. الدولة السعودية الثانية ١٢٥٦ ـ ١٣٠٩هـ/ ١٨٤٠ ـ ١٨٩١م. ـ الرياض: مؤسسة الأنوار للنشر والتوزيع، د. ت.

٤ ـ أحمد، إبراهيم خليل. الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية. ـ القاهرة: مكتبة الوعي العربي، (١٩٧٣م).

٥ ـ أحمد، رفعت سيد. آيات شيطانية: جدلية الصراع بين الإسلام والغرب. ـ القاهرة: الدار الشرقية، ١٤٠٩هـ. ـ ١٩٦ ص.

٦ ـ أسد، محمَّد. الإسلام على مفترق الطرق/ ترجمة عمر فرُّوخ. ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٤م.

٧ ـ أصطيف، عبد النبي. مقدمات في الاستعراب الجديد، (١) نحن والاستشراق، ملاحظات نحو مواجهة إيجابية (١). ـ مجلّة مجمع اللغة العربية، (دمشق). ـ مج ٥٧، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م). ـ ص ٦٤٨ ـ ٦٦٥.

٨ ـ أصطيف، عبد النبي. نحن والاستشراق، ملاحظات نحو مواجهة إيجابية (٢). ـ مجلَّة مجمع اللغة العربية (دمشق). ـ مج ٥٩، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م). ـ ص ١١٦ ـ ١٣٥.

٩ ـ أصطيف، عبد النبي. نحن والاستشراق: ملاحظات نحو مواجهة إيجابية. ـ المستقبل العربي. ـ مج ٦، ع ٥٦ (١٠/ ١٩٨٣م). ـ ص ٢٠ ـ ٢٩.

١٠ـ الألمعي، زاهر بن عوَّاض. مع المفسِّرين والمستشرقين في زواج النبيّ ﷺ من زينب بنت جحش: دراسة تحليلية. ـ الرياض، المؤلِّف، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ٥٦ ص.

١١ـ أيوب، محمَّد أحمد. أضواء على الاستشراق والمستشرقين. ـ القاهرة: دار المنار، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م. ـ ١٩٢ ص.

١٢ـ بارت، رودي. الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية/ ترجمة مصطفى ماهر. ـ القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م. ـ ١١٠ ص.

١٣ـ الباز، عبد الكريم علي. افتراءات فيليب حتّي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي. ـ ت جدّة: تهامة، ١٤٠٩هـ. ـ ١٧٤ ص.

١٤ـ بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي. ـ ٤ ج/ نقله إلى العربية السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التوّاب. ـ ت القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣م.

١٥ـ بدول، روبن. الرحَّالة الغربيون في الجزيرة العربية/ ترجمة عبد الله آدم نصيف. ـ الرياض: المترجم، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. ـ ٢٠٣ ص.

١٦ـ بدوي، عبد الرحمن. موسوعة المستشرقين. ـ ط ٣. ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣م. ـ ٦٤٠ ص.

١٧ـ بريستيد. انتصار الحضارة/ ترجمة أحمد فخري. ـ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م. ـ ٣٠٨ ص.

١٨ـ البسَّام، خالد. صدمة الاحتكاك: حكايات الإرسالية الأمريكية في الخليج والجزيرة العربية ١٨٩٢ ـ ١٩٥٢م. ـ بيروت: دار الساقي، ١٩٩٨م. ـ ٢٠٣ ص.

١٩ـ البسَّام، خالد/ مترجم ومعدّ. القوافل: رحلات الإرسالية الأمريكية في مدن الخليج والجزيرة العربية ١٩٠١ ـ ١٩٢٦م. ـ البحرين: (مؤسسة الأيام للصحافة والنشر)، ١٩٩٣م. ـ ٢٠٦ ص.

٢٠ـ بفانمللر، جوستاف. سيرة الرسول ﷺ في تصوُّرات

المستشرقين/ ترجمة محمود حمدي زقزوق. ـ المحرَّق: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ٥٦ ص.

٢١ـ بلجريف، تشارلز (السير). مذكِّرات بلجريف مستشار حكومة البحرين سابقًا/ ترجمة مهدي عبد الله. ـ بيروت: دار البلاغة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. ـ ٣٩١ ص.

٢٢ـ البنداق، محمَّد صالح. المستشرقون وترجمة معاني القرآن الكريم: عرض موجز بالمستندات لمواقف وآراء وفتاوى بشأن ترجمة القرآن الكريم مع نماذج لترجمة تفسير معاني الفاتحة في ستٍّ وثلاثين لغة شرقية وغربية. ـ بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ٢٤٠ ص.

٢٣ـ البنَّا، رجب. المنصفون للإسلام في الغرب. ـ القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٥م. ـ ٣١٢ ص.

٢٤ـ البهي، محمَّد. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. ـ ط ٥. ـ بيروت: دار الفكر، ١٩٧٣م. ـ ٥١٢ ص.

٢٥ـ بوازار، مارسيل. الإسلام اليوم. ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦م. ـ ٣٣١ ص.

٢٦ـ بوركهارت، جون لويس. رحلات في شبه جزيرة العرب/ ترجمة عبد العزيز بن صالح الهلابي وعبد الرحمن عبد الله الشيخ. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م. ـ ٤٤٨ ص.

٢٧ـ بيرين، جاكلين. اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من

المغامرة والعلم/ نقله إلى العربية قدري قلعجي، قدَّم له حمد الجاسر. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت. ـ ٤٣٤ ص.

٢٨ـ البيطار، نديم. حدود الهُوية القومية: نقد عام. ـ بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٢م. ـ ٣١٠ ص.

٢٩ـ توملين، ر. ف. فلاسفة الشرق/ ترجمة عبد الحليم سليم. ـ القاهرة: دار المعارف،

٣٠ـ ثيسجر، ويلفرد الملقَّب مبارك بن لندن. الرمال العربية/ ترجمة إبراهيم مرعي، مراجعة معن أبو الحسن. ـ ط ٢. ـ أبو ظبي: موتف أ. ت للنشر، ١٩٩٢م. ـ ٣٤٥ ص.

٣١ـ جريس، غيثان علي. افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية. ـ أبها: نادي أبها الثقافي والأدبي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م. ـ ٨١ ص.

٣٢ـ الجندي، أنور. سموم الاستشراق في العلوم الإسلامية. ـ ط ٢. ـ بيروت، دار الجيل، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ٢١٣ ص.

٣٣ـ الجندي، أنور. طه حسين وفكره في ميزان الإسلام. ـ القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٧م. ـ ٣٦٨ ص.

٣٤ـ الجهني، هيفاء رشيد عطا الله. عمر فرُّوخ ودراساته الأدبية والنقدية. ـ مكَّة المكرَّمة: نادي مكَّة الثقافي الأدبي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. ـ ٢٦٦ ص.

٣٥ـ الحاج، ساسي سالم. نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية. ٢ مج. ـ بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢م.

٣٦ـ حسن، محمَّد عبدالغني. إدوارد وليم لين صوّر المجتمع المصري في القرن التاسع عشر. ـ الهلال. ـ مج ٤، ع ١، (المحرَّم/ ١٣٩٦هـ ـ يناير/ ١٩٧٦م). ـ ص٣٢ ـ ٣٨.

٣٧ـ حسين، محمَّد محمَّد. الإسلام والحضارة الغربية. ط ٥. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. ـ ٢٨٠ ص.

٣٨ـ حشيشو، محمَّد علي. الرحَّالة الألمان إلى البلاد الإسلامية. ـ ص ٧٩ ـ ٩٢. ـ في المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية. ـ دراسات جمعها وشارك فيها صلاح الدين المنجِّد. ـ ط ٢، بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م. ـ ١٩٢ ص.

٣٩ـ الحلوجي، عبد الستَّار. جهود المستشرقين في مجال التكشيف الإسلامي. ـ مجلَّة كليَّة اللغة العربية، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية. ـ ع ٦، (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م). ـ ص ٧٢٣ ـ ٧٤٩.

٤٠ـ الحلوجي، عبد الستَّار. المستشرقون والعمل الببليوجرافي. ـ في: دراسات في الكتب والمكتبات. ـ جدَّة: مكتبة الصباح، ١٤٠٨هـ. ـ ص ١٢١ ـ ١٢٩.

٤١ـ حمدان، نذير. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين. ـ ط ٢. ـ جدَّة: دار المنارة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ٢٠٧ ص.

٤٢ـ الخربوطلي، علي حسني. المستشرقون والتاريخ الإسلامي. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م. ـ ١٣٧ ص. ـ (سلسلة تاريخ المصريين؛ ١٥).

٤٣ـ خليل، عماد الدين. قالوا عن الإسلام. ـ الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. ـ ٥٠٤ ص.

٤٤ـ خليل. عماد الدين. المستشرقون والسيرة النبوية. ـ ص ٢٤٣ ـ ٢٧٤. ـ في: الإسلام والمستشرقون/ تأليف نخبة من العلماء المسلمين. ـ جدّة: عالم المعرفة، ١٤٠٥هـ. ـ ٥١١ ص.

٤٥ـ دكمجيان، ريتشارد هرير. الأصولية في العالم العربي. ـ ط ٣/ ترجمة وتعليق عبد الوارث سعيد. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. ـ ٣٠٨ ص.

٤٦ـ الدهّان، محمَّد محمَّد. قوى الشرِّ المتحالفة؛ الاستشراق، التبشير، الاستعمار، وموقفها من الإسلام والمسلمين. ـ ط ٢. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ٢٥٠ ص.

٤٧ـ الديب، عبد العظيم محمود. المستشرقون والتراث. ـ المحرَّق: مكتبة ابن تيميّة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ٤٥ ص.

٤٨ـ الديب، عبد العظيم محمود. المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي. ـ الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤١١هـ. ـ ٢٣٣ ص. ـ (سلسلة كتاب الأمَّة؛ ٢٧).

٤٩ـ ديدات، أحمد. شيطانية الآيات الشيطانية وكيف خدع سلمان رشدي العرب/ نقله إلى العربية وقدَّم له علي الجوهري. ـ القاهرة: دار الفضيلة (١٩٩٠م). ـ ١١٢ ص.

٥٠ـ ديورانت، ول. قصة الحضارة. ـ مج ٤، ج٤/ ترجمة محمَّد

زيدان. ـ بيروت: الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، د. ت.

٥١ـ رابطة الأدب الإسلامي. الشيخ أبو الحسن النَدْوي: بحوث ودراسات. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٦٣٥ ص.

٥٢ـ زقزوق، محمود حمدي. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ـ ط ٢. ـ القاهرة: دار المنار، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. ـ ١٨٨ ص.

٥٣ـ زقزوق، محمود حمدي. الإسلام في تصورات الغرب. ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. ـ ٢٢٠ ص.

٥٤ـ زقزوق، محمود حمدي. الإسلام في الفكر الغربي. ـ الكويت: دار القلم، ١٩٨١م. ـ ص.

٥٥ـ زقزوق، محمود حمدي. الإسلام والمستشرقون. ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. ـ ٣٦ ص.

٥٦ـ زكريّا، فؤاد. نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العربية المعاصرة. ـ العربي. ـ

٥٧ـ زين العابدين، محمَّد سرور. دراسات في السيرة النبوية. ـ برمنجهام: دار الأرقم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. ـ ٣٦٦ ص.

٥٨ـ سادلير، ج. فورستر. رحلة عبر الجزيرة العربية، خلال عام ١٨١٩م/ ترجمها أنس الرفاعي. ـ الكويت: سعود بن غانم الجمران العجمي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ٣٠٠ ص.

٥٩ـ السامرّائي، إبراهيم. من دراسات المستشرقين: ترجمة وتعليق، عمان: دار الفكر، ١٩٨٥م. ـ ٩٦ ص.

٦٠ـ السامرّائي، قاسم. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. ـ الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ. ـ ١٦٨ + ١٩ ص.

٦١ـ السامرّائي، نعمان عبد الرزاق. الفكر العربي والفكر الاستشراقي بين د محمَّد اركون، ود. إدوارد سعيد. ـ الرياض: دار صبري، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. ـ ١٦٠ ص.

٦٢ـ السباعي، مصطفى. الاستشراق، والمستشرقون: ما لهم وما عليهم. ـ ط ٣. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ/ ٩١٨٥م.

٦٣ـ السباعي، مصطفى. السنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي. ـ ط ٢. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٦هـ.

٦٤ـ سزكين، فؤاد. تاريخ التراث العربي. ـ مج ١، ج / نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي. ـ الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ.

٦٥ـ سزكين، فؤاد. تاريخ التراث العربي: مجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم/ نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي. ـ الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. ـ ٢٨١ ص.

٦٦ـ سعيد، إدوارد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق/ ترجمة محمَّد عناني. ـ القاهرة: رؤية، ٢٠٠٦م. ـ ٥٦٠ ص.

٦٧ـ السفياني، عابد بن محمَّد. المستشرقون ومن تابعهم ومواقفهم من ثبات الشريعة وشمولها دراسةً وتطبيقًا. ـ مكَّة المكرَّمة: مكتبة المنارة، ١٤٠٨هـ.

٦٨ـ السليم، أحمد بن عمر بن عبدالله. المظاهر الثقافية في كتابات الرحَّالة المستشرقين في الجزيرة العربية في العصر الحديث: دراسة تحليلية. ـ الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. ـ ص ١٩٦ ـ ١٩٩.

٦٩ـ سمايلوفيتش، أحمد. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. ـ بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢م. ـ ٧٨٠ ص.

٧٠ـ السمَّان، نبيل. همزات شيطانية وسلمان رشدي. ـ القاهرة: دار الإسراء، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. ـ ١١٦ ص.

٧١ـ السيِّد، رضوان. الصراع على الإسلام: الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٢٧٧ ص.

٧٢ـ السيِّد، رضوان. اليهودية والصهيونية في الاستشراق. ـ في: ندوة الدين والتدافُع الحضاري، مالطا: رسالة الجهاد، ١٩٨٩م. ـ ص ٣٥٩ ـ ٣٨٣.

٧٣ـ شاخت، يوسف (جوزف) وبوزورث. تراث الإسلام. ـ ٣ ج/ ترجمة محمَّد زهير السمهوري وحسين مؤنس وإحسان العمد. ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،

١٩٧٨م. ـ (سلسلة عالم المعرفة؛ ٨ و١١ و١٢).

٧٤ـ شاكر، محمود محمَّد. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. ـ القاهرة، : دار الهلال، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م. ـ ص ٢٥٨. ـ (سلسلة كتاب الهلال؛ ٤٤٢).

٧٥ـ شلَبي، عبد الجليل. صور استشراقية. ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٦هـ. ـ ٢٢٤ ص.

٧٦ـ الشنّاوي، فهمي. مَن وراء سلمان رشدي؟: أسرار المؤامرة على الإسلام. ـ القاهرة: المختار الإسلامي، د. ت. ـ ٦٣ ص.

٧٧ـ صالح، محمَّد عثمان. النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير: دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات. ـ المدينة المنوَّرة: مكتبة ابن القيِّم، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م. ؟؟؟ ص.

٧٨ـ صالح، هاشم/ معدٌّ ومترجم. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه. ـ بيروت: دار الساقي، ١٩٩٤م. ـ ١٦٢ ص.

٧٩ـ الصغير، محمَّد حسين. المستشرقون والدراسات القرآنية. ـ بيروت: المؤسَّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ١٣٥ ص.

٨٠ـ الصقّار، سامي. الجوانب الإيجابية لنشاط المستشرقين البريطانيين. ـ مجلَّة كليّة الآداب (جامعة الملك سعود). ـ مج ٩، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م). ـ ص ١٥٩ ـ ٢٢٨.

٨١ـ الصقَّار، سامي. دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي. ـ المنهل. ـ مج ٥٥، ع ٤٧١ (٩ ـ ١٤٠٩/١٠هـ ـ ٤ ـ ٥/ ١٩٨٩م). ـ ص ١٤٢ ـ ١٦٧.

٨٢ـ الطهطاوي، رفاعة بك بدوي رافع. تخليص الإبريز في تلخيص باريز أو الديوان النفيس بإيوان باريس. ـ بيروت: دار ابن زيدون، د. ت. ـ ٣٣٥ ص.

٨٣ـ الطهطاوي، محمَّد عزت. التبشير والاستشراق. ـ القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. ـ ٢١٠ ص.

٨٤ـ الطيباوي، عبداللطيف. المستشرقون الناطقون بالإنجليزية: دراسة نقدية/ ترجمة وتقديم قاسم السامرَّائي. ـ الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. ـ ٢١٤ ص.

٨٥ـ عاشور، سعيد عبدالفتاح. الحركة الصليبية. ـ ٢ مج. ـ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م.

٨٦ـ عبدالرحيم، أحمد حسن. المستشرق الفرنسي إرنست رينان ونظرته إلى اللغة والفلسفة. ـ في: الاستشراق. ـ ع ٢ (شباط ١٩٨٧م). ـ ص٣٩ ـ ٤٢. ـ (سلسلة كتب الثقافة المقارنة).

٨٧ـ عبدالكريم، إبراهيم. الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل. ـ عمَّان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٣م. ـ ٥٩٨ ص.

٨٨ـ عبدالمنعم، شاكر محمود. نموذج من تهافت الاستدلال في

دراسات المستشرقين. ـ المؤرّخ العربي. ـ مج ٣٠ (١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م). ـ ص ٢٩١ ـ ٣٠٢.

٨٩ـ العبلان، زيد بن أحمد بن زيد. الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية: دراسة ومناقشة وتحليل. ـ رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كليّة أصول الدين، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ. ـ ٦١٣ ص.

٩٠ـ ابن عبُّود، محمَّد. الاستشراق والنخبة العربية. ـ المجلَّة التاريخية المغربية. ـ مج ٩ ع ٢٧ و٢٨، (١٩٨٢م). ـ ص ١٩٩ ـ ٢١٥.

٩١ـ ابن عبُّود، محمَّد. منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي. ـ في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية. ـ ٢ مج. ـ الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ص ٣٤١ ـ ٣٩١.

٩٢ـ عطا الله، سمير. قافلة الحبر: الرحَّالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج (١٧٦٢ ـ ١٩٥٠م). ـ بيروت: دار الساقي، ١٩٩٤م. ـ ٣٤٨ ص.

٩٣ـ العظم، صادق جلال. الاستشراق والاستشراق معكوسًا. ـ بيروت: دار الحداثة، ١٩٨١م.

٩٤ـ العقَّاد، عبَّاس محمود. ما يقال عن الإسلام. ـ القاهرة: دار الهلال، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ٢٢٥ ص. ـ (سلسلة كتاب الهلال؛ ١٨٩).

٩٥ـ العقيقي، نجيب. المستشرقون. ـ ط ٥. ـ ٣ مج. ـ القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٦م.

٩٦ـ عليان، محمَّد عبدالفتاح. أضواء على الاستشراق. ـ الكويت: دار البحوث العلمية، ١٤٠٠هـ. ـ ١٢٠ ص.

٩٧ـ عمايرة، إسماعيل أحمد. الدراسات الاستشراقية وحتمية التخصُّصية. ـ المنهل. ـ مج ٥٥ ع ٤٧١ (٩ ـ ١٠/ ١٤٠٩هـ ـ ٤ ـ ٥/ ١٩٨٩م) ص٣٤٠ ـ ٣٤٦.

٩٨ـ عمر، معن خليل. التبايُن الثقافي بين المستشرق والمجتمع العربي. ـ في: الاستشراق. ـ ع ١ (كانون الثاني ١٩٨٧م). ـ ص٢٩ ـ ٣٤. ـ (سلسلة كتب الثقافة العربية؛ ١).

٩٩ـ العُمري، عمر بن صالح السليمان. التطوُّر السياسي للبحرين ١٨٠٠ ـ ١٨٩٢/ ١٢١٥ ـ ١٣٠٩. ـ رسالة ماجستير مقدَّمة لقسم التاريخ والحضارة بكليّة العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

١٠٠ـ الغامدي، أحمد سعد حمدان. الاستشراق والجهود المطلوبة. ـ المنهل. ـ ج ٥٥، ع ٤٧١ (٩/ ١٠/ ١٤٠٩هـ ـ ٤/ ٥/ ١٩٨٩م). ـ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٥.

١٠١ـ غراب، أحمد عبد الحميد. رؤية إسلامية للاستشراق. ـ ط ٢. ـ لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ. ـ ١٩٧ ص.

١٠٢ـ الغزالي، محمَّد. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. ـ ط ٥. ـ القاهرة: نهضة مصر، ١٩٩٦م. ـ ٢١٦ ص.

١٠٣ـالغول، محمود. الاستشراق اليوم: المستشرقون أقلُّ دراية بأسرار اللغة العربية. ـ العربي. ـ ع٤، (٣/ ١٩٥٩م). ـ ص ١١٨ ـ ١٢٢.

١٠٤ـغويتسولو، خوان. في الاستشراق الإسباني/ تعريب كاظم جهاد. ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م. ـ ٢٥٦ ص.

١٠٥ـفرّوخ، عمر. الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة. ـ ص ١٢٥ ـ ١٤٣. ـ في: الإسلام والمستشرقون/ تأليف نخبة من العلماء المسلمين. ـ جدّة: عالم المعرفة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ٥١١ ص.

١٠٦ـفينزينزو، الرحَّالة الإيطالي الملقَّب بالشيخ منصور. تاريخ السيد سعيد سلطان عُمان، ومعه تاريخ الشعوب والأقطار على سواحل الخليج العربي/ ترجمة محمود فاضل. ـ بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٨م. ـ ١٦٨ ص.

١٠٧ـفيليبس، ويندل. رحلة إلى عُمان/ ترجمة محمَّد أمين عبد الله. ـ عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٠٨ـالفيُّومي، محمَّد إبراهيم. الاستشراق: رسالة الاستعمار. ـ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٣م. ـ ٤٦٨ ص.

١٠٩ـالقاسم، خالد بن عبدالله. مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية. ـ مرجع سابق: ـ ١٢١٥ ص.

١١٠ـكبير، عبدالوارث. المستشرقون لم يفتَروا، ولكن هذا ما قاله المفسرون. ـ العربي. ـع ٦٨ (٧/ ١٩٦٤م). ـ ١٤٦ ص.

١١١ـكبير، عبدالوارث. المستشرقون ليسوا كلهم أعداء للعروبة والإسلام فمنهم من أدَّى للعروبة والإسلام أجلَّ الخدمات. ـ العربي. ـع ١٠٢ (٥/ ١٩٦٧م). ـ ص ١٤٤ ـ ١٤٥.

١١٢ـكوبر، لي ديفيد. كتابات الرحَّالة الأجانب كمرجع لدراسة الحركة الوهَّابية في القرن التاسع عشر الميلادي/ ترجمة وتعليق عبد الله بن ناصر الوليعي. ـ الرياض: سهاج للإعلام والنشر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م. ـ ٩٤ ص.

١١٣ـاللبّان، إبراهيم. المستشرقون والإسلام. ـ القاهرة: الأزهر، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠. ـ (ملحق مجلَّة الأزهر).

١١٤ـمبارك، زكي. نفعهم أكثر من ضررهم. ـ الهلال. ـ مج ٤٢، ع٢ (٨/ ١٣٥٢هـ ـ ١٢/ ١٩٣٣م). ـ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٨.

١١٥ـمتولّي، عبد الحميد. الإسلام وموقف علماء المستشرقين: اتِّهامهم الشريعة بالجمود وعلماءها الأقدمين بالتأثُّر بالقانون الروماني. ـ جدَّة: شركة مكتبات عكاظ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ٨٠ ص.

١١٦ـمحمود، أحمد محمَّد. رحلة في ديوان الملك عبدالعزيز آل سعود. ـ جدَّة: المؤلِّف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٤٢٢ + ٨٢ ص.

١١٧ـمحمود، علي عبدالحليم. التراجُع الحضاري في العالم

الإسلامي وطريق التغلُّب عليه. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. ـ ٤٥٦ ص.

١١٨ـ المرصفي، سعد. أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ـ الكويت: دار القلم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ـ ٢١٠ ص.

١١٩ـ المطبَّقاني، مازن صلاح. الاستشراق والاتِّجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ـ ٦١٤ ص.

١٢٠ـ المطبَّقاني، مازن صلاح. الغرب في مواجهة الإسلام: معالم ووثائق جديدة. ـ المدينة المنوَّرة: مكتبة ابن القيِّم، ١٤٠٩هـ.

١٢١ـ المطبَّقاني، مازن صلاح. من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر. ـ المدينة المنوَّرة: مكتبة ابن القيِّم، (١٤٠٩هـ). ـ ٥٦ ص.

١٢٢ـ المقداد، محمود. تاريخ الدراسات العربية في فرنسا. ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م. ـ ٢٨٧ ص. ـ (سلسلة عالم المعرفة؛ ١٦٧).

١٢٣ـ الملحقية الثقافية بسفارة المملكة العربية السعودية بواشنطن. دليل الدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية بالجامعات الأمريكية. ـ ط ٢. ـ واشنطن: الملحقية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ـ ٣٠٨ ص.

١٢٤ـملّيباري، محمَّد عبدالله. المستشرقون والدراسات الإسلامية. ـ الرياض: دار الرفاعي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. ـ ٨٤ ص. ـ (سلسلة مذاهب وتيّارات؛ ٢).

١٢٥ـالمنجِّد، صلاح الدين. الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله. ـ الهلال. ـ مج ٨٢، ع ١١ (١٠م١٣٩٤هـ ـ ١١/ ١٩٧٤م). ص ٢٢ ـ ٢٧.

١٢٦ـالمنجِّد، صلاح الدين. جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي. ـ المنهل. ـ مج ٥٥ ع ٤٧١ (٩ ـ ١٠/ ١٤٠٩هـ ـ ٤ ـ ٥/ ١٩٨٩م). ـ ص ٢١٠ ـ ٢١٧.

١٢٧ـالمنجِّد، صلاح الدين. المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية. ـ ج ١. ـ بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م. ـ ١٩٢ ص.

١٢٨ـالمنجِّد، صلاح الدين. المنتقي من دراسات المستشرقين: دراسات مختلفة في الثقافة العربية. ـ ج ١. ـ ط. ـ بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م. ـ ٢٤٨ ص.

١٢٩ـالموسوي، محسن جاسم. الاستشراق في الفكر العربي. ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م. ـ ٢٠٦ ص.

١٣٠ـمونرو، إليزابيث. فيلبي الجزيرة العربية/ ترجمة أحمد عمر شاهين. ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٥هـ. ـ ٣٤٢ ص.

١٣١ـمؤنس، حسين. كتاب مجد الإسلام لجاستون فييت. ـ ص ٤٥٧ ـ ٤٧١. ـ في: محمَّد البهي. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. ـ ط ٥. ـ بيروت: دار الفكر، ١٩٧٣م. ـ ٥١٢ ص

١٣٢ـالميداني، عبد الرحمن حسن حبنَّكة. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير والاستشراق والاستعمار: دراسة وتحليل وتوجيه. ـ ط ٤. ـ دمشق: دار القلم، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ٦٩٨ ص.

١٣٣ـابن نبي، مالك. إنتاج المستشرقين، وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. ـ بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م. ـ ٤٨ ص.

١٣٤ـالنجَّار، شكري. لِمَ الاهتمام بالاستشراق؟. ـ الفكر العربي. ـ مج ٥ ع ٣١، (٣/ ١٩٨٣م). ـ ص٦٠ ـ ٦٩.

١٣٥ـالنْدوي، أبو الحسن علي الحسني. الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين: تقييم لكتابات المستشرقين، واستعراض لبحوث المؤلفين المسلمين في الموسوعات الإسلامية. ـ ط ٣. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ٨٢ ص.

١٣٦ـالنشمي، عجيل جاسم. المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي. ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. ـ ٢٥٦ ص.

١٣٧ـالنملة، علي بن إبراهيم. الاستشراق في الأدبيات العربية: عرض للنظرات وحصر وراقي للمكتوب. ـ الرياض: مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. ـ ٣٩٠ ص.

١٣٨ـالنملة، علي بن إبراهيم. الاستشراق والإسلام في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٢٤ ص.

١٣٩ـالنملة، علي بن إبراهيم. الاستشراق وعلوم المسلمين في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٥٦ ص.

١٤٠ـالنملة، علي بن إبراهيم. الاستشراق في خدمة التنصير واليهودية. ـ مجلة جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ع ٣ (٧/ ١٤١٠هـ ـ ٢/ ١٩٩٠م). ـ ص ٢٣٧ ـ ٢٧٢.

١٤١ـالنملة، علي بن إبراهيم. التنصير في المراجع العربية: دراسة ورصد وراقي للمطبوع. ـ ط ٢. ـ الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م. ـ ٤١٨ ص.

١٤٢ـالنملة، علي بن إبراهيم. العلاقة بين الاستشراق والاستعمار. ـ التوباد، مج ١، ع ٤ (١٠/ ١٤٠٨هـ ـ ٦/ ١٩٨٨م). ـ ص ٣٨ ـ ٤٢.

١٤٣ـالنملة، علي بن إبراهيم. كُنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع والأهداف. ـ في: دراسات

استشراقية وحضارية: كتاب دوري محكم. ـ ع ١. ـ المدينة المنوَّرة: مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كليّة الدعوة، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٩٣م. ـ ص ١٩ ـ ٦٠.

١٤٤ـ النملة، علي بن إبراهيم. كُنه الاستشراق: المفهوم ـ الأهداف ـ الارتباطات. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م. ـ ٢٧٧ ص.

١٤٥ـ النملة، علي بن إبراهيم. مجالات التأثُّر والتأثير بين الثقافات. ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ١٧٩ ص.

١٤٦ـ النملة، علي بن إبراهيم. المستشرقون والسنَّة والسيرة في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ١٥٧ ص.

١٤٧ـ النملة، علي بن إبراهيم. المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٦٩ ص.

١٤٨ـ النملة، علي بن إبراهيم. المستشرقون: مواقف ومواقف. ـ مجلَّة الحرس الوطني. ـ مج ٧، ع ٤٤. (١٠/ ١٤٠٦هـ ـ ٦/ ١٩٨٦م). ـ ص ٤٤ ـ ٤٥.

١٤٩ـ النملة، علي بن إبراهيم. نقد الاستشراق في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٣٠٣ ص.

١٥٠ـ النملة، علي بن إبراهيم. هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين

التهوين والتهويل. ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٢٣٠ ص.

١٥١ـ نور، عدلي طاهر. المصريون المحدثون: شمائلهم وعاداتهم/ تأليف المستشرق الإنجليزي إدوارد وليم لين ـ ١ ـ. ـ الرسالة. ـ مج ٩، ع ٤٢٤ (٢٥/ ٧/ ١٣٦٠هـ ـ ١٨/ ٨/ ١٩٤١م). ـ ص ١٠٤٢ ـ ١٠٤٥. إلى مج ١١، ع ٥٠٦ (٩/ ٣/ ١٣٦٢هـ ـ ١٥/ ٣/ ١٩٤٣م). ـ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٦.

١٥٢ـ نويهض، وليد. نهاية الاستشراق ١ ـ ٣: بدأ عن طريق النقل وتجَّار القوافل وتطوَّر في ساحات الصدام. ـ صحيفة الحياة اليومية. ـ ع ١١٥٤٥ (٢٧/ ٩/ ١٩٩٤م ـ ٢١/ ٤/ ١٤١٥هـ). ـ ص ١٨.

١٥٣ـ نويهض، وليد. نهاية الاستشراق، ٢ ـ ٣: الطبعة الثانية تتوَّجت بغلبة نظرية التفوُّق الحضاري. ـ صحيفة الحياة اليومية. ـ ع ١١٥٤٦ (٢٨/ ٩/ ١٩٩٤م ـ ٢٣/ ٤/ ١٤١٥هـ). ـ ص ١٨.

١٥٤ـ نويهض، وليد. نهاية الاستشراق: ٣ ـ ٣: تطوُّر الاتِّصالات أنهى وظيفة الاستشراق المعرفية. ـ صحيفة الحياة اليومية، ع ١١٥٤٧ (٢٩/ ٩ / ١٩٩٤م ـ ٢٤/ ٤/ ١٤١٥هـ). ـ ص ١٨.

١٥٥ـ هاريسون، بول. رحلة طبيب في الجزيرة العربية/ ترجمة محمَّد أمين عبد الله. ـ عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ١١٥ ص.

١٥٦ـهاليداي، فرد. المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية. ـ ط ٢/ تعريب وتعليق محمَّد الرميحي. ـ الكويت: شركة كاظمة، ١٩٧٧م. ـ ٢٩٦ ص.

١٥٧ـالهراوي، حسين. ضررهم أكثر من نفعهم. ـ الهلال. ـ مج ٤٢ ع ٢ (٨/ ١٣٥٢هـ ـ ١٢/ ١٩٣٣م). ـ ٣٢٤ ص.

١٥٨ـهورخرونيه، ك. سنوك. صفحات من تاريخ مكَّة المكرَّمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري. ـ ٢ ج/ نقله إلى العربية وعلَّق عليه محمَّد بن محمود السرياني ومعراج بن نوَّاب مرزا، راجعه محمَّد إبراهيم أحمد علي. ـ مكَّة المكرَّمة: نادي مكَّة الثقافي الأدبي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م. ـ ٥٦٤ ص.

١٥٩ـهورخرونيه، ك. سنوك. صفحات من تاريخ مكَّة المكرَّمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري. ـ ٢ ج/ نقله إلى العربية وعلَّق عليه محمَّد بن محمود السرياني ومعراج بن نوَّاب مرزا، راجعه محمَّد إبراهيم أحمد علي. ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. ـ ٧٢٧ ص.

١٦٠ـالهويمل، حسن بن فهد. محاور حول الاستشراق. ـ المنهل. ـ مج ٥٥، ع ٤٧١ (٩ ـ ١٠/ ١٤٠٩هـ ـ ٤ ـ ٥/ ١٩٨٩م). ـ ٢٨٣ ص.

١٦١ـوزَّان، عدنان محمَّد. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر. ـ مكَّة المكرَّمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. ـ ٢١٢ ص. ـ (سلسلة دعوة الحق؛ ٢٤).

١٦٢-يحيى، محمَّد. الآيات الشيطانية: الظاهرة والتفسير. -
القاهرة: المختار الإسلامي، د. ت. - ١٠١ ص.

163 - Blunt, Lady Ann. Pilgrimage to Nejd: A Visit to the Court of the Arab Amir and our Persian Campaign.- 2 vols, - 2nd ed. London: John Murray, 1988.

164 - Simmons, James C. ed. Passionate Pilgrims: English Travelers to the World of the Desert Arabs.- New York: William Morrow and Company, Inc., 1987.- 399 pp.

165 - El-Zayat, Farouq Mohamed. Mutter des Glaubigen.- Munchen: HKD Bavaria-Handels Verlags, 1982.- 109 s

166 - .Esposito, John L. Islam: The Straight Path.- Oxford: Oxford University Press 1994.

167 - Palgrave, William Gifford. Narrative of a year's Journey Through central and Eastern Arabia (1862 - 1863).- 2 vols, London: 1965.

168 - Watt, W. Montgomery. Muhammad At Mecca.- Oxford: Oxford University Press, 1953..

169 - Watt, W. Montgomery. Muhammad At Madina.- Oxford: Oxford University Press, 1956..

170 - Watt, W. Montgomery. Muhammad: Prophet and Statesman.- Oxford: Oxford University Press, 1961.- 250 pp.

السيرة الذاتيـة للمؤلِّف

- الاسم: علي بن إبراهيم الحمد النملة.
- مكان الميلاد: البكيرية بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية.
- تاريخ الميلاد: ١/ ٢/ ١٣٧٢هـ الموافق ١٩/ ١٠/ ١٩٥٢م.
- التعليم العامّ: الرياض ١٣٧٧ ــ ١٣٩٠هـ.
- الدراسة الجامعية: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية. ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م. التخصُّص: اللغة العربية.
- الماجستير: جامعة فلوريدا الحكومية بتالاهاسي في الولايات المتَّحدة الأمريكية. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. التخصُّص: المكتبات والمعلومات.
- الدكتوراه: جامعة كيس وسترن رزرف بكليفلاند، أوهايو في الولايات المتَّحدة الأمريكية. ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. التخصُّص: المعلومات والمكتبات.

- أستاذ: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- باحث في معهد العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت بألمانيا ١٤٠٥ ـ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦م.
- مدير الشؤون الدراسية بالملحقية الثقافية السعودية في واشنطن، بالولايات المتَّحدة الأمريكية ١٤٠٩ ـ ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- مدير عام الهيئة العامَّة لجمع التبرُّعات للمجاهدين الأفغان ١٤١٠ ـ ١٤١٢هـ/ ١٩٩٠ ـ ١٩٩٢م.
- عضو مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ ـ ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٤ ـ ١٩٩٩م.
- وزير العمل والشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ ـ ١٤٢٥هـ/ ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٤م.
- وزير الشؤون الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- أستاذ المكتبات والمعلومات بكليّة علوم الحاسب الآلي بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- عضو عدد من جمعيات القطاع الثالث.
- باحث في الشأن الاستشراقي والتنصيري والعلاقات الفكرية والحضارية بين الشرق والغرب.

الأعمال العلمية:

أولاً: الكتب:

١ ـ الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والعولمة. ـ الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٥٠ ص.

٢ ـ الاستشراق في الأدبيَّات العربية: عرض للنظرات ورصدٌ وراقي للمكتوب. ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. ـ ٣٧٠ ص.

٣ ـ الاستشراق والدراسات الإسلامية: مصادر المستشرقين ومصدريَّتهم. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ـ ٢٦٢ ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٣).

٤ ـ إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي: دراسة تحليلية، ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة. ـ الرياض: المؤلف، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. ـ ١٩٨ ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٤).

٥ ـ إِشْكَالية المُصطلَحِ في الفِكرِ العَرَبِي: الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٢٤٨ ص.

٦ ـ الالتفاف على الاستشراق: محاولات التنصُّل من المصطلح. ـ

الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ١٨٢ ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٥).

٧ ـ تأمُّلات في طريق الدعوة: جولات في الزمان والمكان والتحدِّيات. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ـ ٢٥٠ ص.

٨ ـ التنصير في الأدبيَّات العربية. ـ الرياض: جامعة الإمام محمَّد ابن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م. ـ ٢٧٢ ص.

● التنصير في المراجع العربية: دراسة ورصد وراقي للمطبوع. ـ ط ٢. ـ الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ٤١٩ ص.

٩ ـ التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته. ـ القاهرة: دار الصحوة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ـ ١٢٠ ص.

● التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته. ـ ط ٢. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. . ـ ١٥٢ ص.

● التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته. ـ ط ٣. ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ١٦٧ ص.

● التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته. ـ ط ٤. ـ الرياض: المؤلِّف: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٢٤٨ ص.

● التنصير: المفهوم ـ الوسائل ـ المواجهة. ـ ط ٥. ـ بيروت: مكتبة بيسان: ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٧٠ ص.

١٠ ـ ثقافة العبث: سلوكيات عبثية في زمن الفاقة. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٢٤٥ ص.

١١ ـ الجهاد والمجاهدون في أفغانستان: وقفات تقويم. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ـ ١٢٥ ص.

١٢ ـ السعوديُّون: الثبات والنَّماء. . ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. . ـ ٣١٤ ص.

١٣ ـ السعوديُّون والخصوصية الدافعة: وقفات مع مظاهر التميُّز في زمن العولمة. . ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. . ـ ٢٤٥ ص.

١٤ ـ الشرق والغرب: محدِّدات العلاقات ومؤثِّراتها. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٢٤٨ ص.

- الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدِّداتها. ـ ط ٢. ـ بيروت: المركز الثقافي الغربي، ٢٠٠٥م. ـ ١٧٣ ص.
- الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدِّداتها. ـ ط ٣. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٣٥٢ ص.

١٥ ـ الصراع العربي في الكويت: فرض الأفكار قسرًا. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ـ ١٥٢ ص.

١٦ ـ صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها. ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م. ـ ١٧١ ص. ـ (سلسلة نقد العقل المعاصر).

١٧ـ ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات. . ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ٢١٠ ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ١).

● كُنه الاستشراق: المفهوم ـ الأهداف ـ الارتباطات. ـ ط ٢. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م. ـ ٢٤٦ ص.

١٨ـ العمل الاجتماعي والخيري في منطقة الخليج العربية: التنظيم ـ التحدِّيات ـ المواجهة. ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٣١١ ص.

١٩ـ الفكر بين العلم والسلطة: من التصادُم إلى التعايُش. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٢٧٧ ص.

● الفكر بين العلم والسلطة: من التصادُم إلى التعايُش. ـ ط ٢. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٢٩٠ص.

٢٠ـ فكر الانتماء في زمن العولمة: وقفات مع المفهومات والتطبيقات. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ـ ٣٢٤ ص.

٢١ـ فكر التصدِّي للإرهاب: وقفات مع المفهوم والأسباب والأوزار. ـ الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ـ ١١٣ ص.

٢٢ـ مجالات التأثُّر والتأثير بين الثقافات: المثاقفة بين شرق وغرب. ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ١٧٧ ص.

٢٣ـ مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. ـ ١٣٢ ص.

● مراكز النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. ـ ط ٢. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٢٠٠ ص.

● النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. ـ ط ٣. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ـ ٢٠٤ ص.

● التجسير الحضاري بين الأمم في ضوء تناقُل العلوم والآداب والفنون. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ١١١ص.

٢٤ـ المستشرقون والإسلام في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٢٤ ص. ـ (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٩).

٢٥ـ المستشرقون والسنَّة والسيرة في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ١٥٧ ص. ـ (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ١١).

٢٦ـ المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٦٩ ص. ـ (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ١٠).

٢٧ـ المستشرقون وعلوم المسلمين في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٥٦ ص. ـ (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ١٢).

٢٨ـ المستشرقون ونشر التراث: دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر. ـ ط٢. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ١٩١ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٢).

٢٩ـ مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. ـ ٥٦ ص. ـ (ضُمِّن في كتاب: الاستشراق والدراسات الإسلامية).

٣٠ـ المكتبات والمعلومات السعودية: وقفات صحفية. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ـ ٢٨٤ ص.

٣١ـ مصادر المعلومات عن الأدب الجاهلي: رصد وراقي. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.. ـ ٢٦٠ ص. (بالاشتراك مع: أ. د. عفيف محمَّد عبدالرحمن).

٣٢ـ المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين، مع نماذج من المستشرقين المنصِّرين. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ـ ١٧٨ ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٤).

٣٣ـ مواجهة الفقر: المشكلة وجوانب المعالجة. ـ الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٣٩ ص. ـ (سلسلة كُتيِّب المجلَّة العربية؛ ٩٠). (بالاشتراك مع: أ. د. صالح بن محمَّد الصغيِّر).

٣٤ـ نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربية. ـ الرياض:

مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٣٠٣ ص. ـ (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٨).

٣٥ـ نقد الفكر الاستشراقي: الإسلام، القرآن الكريم، الرسالة. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٧٩ ص.

٣٦ـ هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٢٣٠ ص.

٣٧ـ وبشِّر الصابرين: كلماتٌ في رجال تركوا أثرًا. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٢٤٠ ص.

● وبشِّر الصابرين: كلماتٌ في رجال تركوا أثرًا. ـ ط ٢. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٢٩٨ ص.

٣٨ـ الوراقة وأشهر أعلام الورَّاقين: دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. ـ ١٩٠ ص.

٣٩ـ وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية. ـ الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ٦٦ ص. ـ (سلسلة كُتيِّب المجلَّة العربية؛ ٧٣).

● وقفات حول العولمة وتنمية الموارد البشرية. ـ القاهرة: مجلَّة العمل، ٢٠٠٣م. ـ ٤٦ ص. (سلسلة كتاب العمل؛ ٥٢٥).

● العولمة وتهيئة الموارد البشرية في منطقة الخليج العربية. ـ ط٢. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ١٧٦ ص.

40- Infrastructure of Information Needs and Resources in the Country of Saudi Arabia: an Assessment-. Ph. D. Dissertation-. Cleveland, Ohio (USA): Matthew A. Baxter School of Information and Library Science, Case Western Reserve University, May 1984 - 280p.

ثانيًا: مقالات وبحوث علمية: (مرتَّبةً هجائيًّا)

١ ـ الاتِّجار بالبشر: العلاج بالوقاية. ـ ورقة عمل مقدَّمة للحلقة العلمية حول مكافحة الاتِّجار بالأطفال بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض محرَّم ١٤٢٧هـ/ فبراير ٢٠٠٦م. ـ ١٧ ص.

٢ ـ أثر الاستشراق في الحملة على رسول الله ﷺ. ـ مجلَّة الجامعة الإسلامية. ـ ع ١٤٧ مج ٤٢ (١/ ١٤٣٠هـ ـ ديسمبر ٢٠٠٨م). ـ ص ١٦٥ ـ ٢٠٣.

٣ ـ أثر مؤسَّسات المجتمع المدني في التعامُل مع مؤتمرات المرأة. ـ البحرين: الاتفاقيات والمؤتمرات الدولية عن المرأة وآثارها على العالم الإسلامي، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. ـ ٢٠ ص.

٤ ـ الإرهاب: المفهوم والهُوية. ـ الكويت: وزارة التعليم العالي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٥ ـ الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والعولمة. ـ القاهرة: مؤتمر اتِّحاد المؤرِّخين العرب، ٨/ ١١/ ١٤٢٩هـ ـ ٦/ ١١/ ٢٠٠٨م. ـ ٣٨ ص.

٦ ـ الاستشراق مصدرًا من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي: قضايا المسلمين المعاصرة، الصحوة «الأصولية. ـ في: ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي. ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. ـ ٣٤ ص.

٧ ـ الاستشراق والإسلام: مقدِّمة لنقد وراقي «ببليوجرافي». ـ مجلَّة جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية. ـ

٨ ـ الاستشراق والإعجاز في القرآن الكريم: دراسة في النقد الذاتي للاستشراق. ـ ص ٢٥١١ ــ ٢٥٣٤. ـ في: المؤتمر الدولي الثالث: العلوم الإسلامية والعربية وقضايا الإعجاز في القرآن والسنَّة بين التراث والمعاصرة ١٤ ــ ١٦ صفر ١٤٢٨هـ الموافق ٤ ــ ٦ مارس ٢٠٠٧م. ـ المنيا: كليّة دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٩ ـ الاستشراق والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين تؤثِّران على فكر الشباب تلقِّيًا وتفاعُلاً. ـ في: المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي. ـ عمَّان: الندوة العالمية للشباب الإسلامي. ـ ٢٦ ص.

١٠ـ الاستشراق والقرآن الكريم: مقدِّمة لنقد وراقي «ببليوجرافي». ـ مجلَّة البحوث والدراسات القرآنية (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنوَّرة). ـ ع ٣ (١/ ١٤٢٨هـ/ ١/ ٢٠٠٧م). ـ ص ١٩٥ ــ ٢٢٩.

١١ـ الاستشراق مصدر من مصادر المعلومات عن التراث. ـ في:

دراسات إسلامية. ـ بريدة: نادي القصيم الأدبي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. ـ ص: ٦٩ ـ ٩٩.

١٢ـ إِشْكَالِيَّةُ المُصطلَحِ المَنقُولِ للعَرَبِيَّةِ: نَظرَةٌ عامَّةٌ وَنَمَاذِج. ـ (محاضرة) الدمّام: منتدى الزامل، ٢٢/ ٥/ ١٤٣٠هـ ـ ١٧/ ٥/ ٢٠٠٩م.

١٣ـ الإصلاح في دور الرعاية (محاضرة). جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية والغرفة التجارية الصناعية بجدَّة. ـ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ـ ١٠ ص.

١٤ـ اضطراب المصطلح المنقول من الآخر: نماذج من مصطلحات قلقة. ـ المنيا: كليّة دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٣١هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٣٧ ص.

١٥ـ الإعلام وآثاره الإيجابية والسلبية في حياة الأقليّات المسلمة. ـ في: ملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي الثقافي: فقه الأقليّات ٨ ـ ١٠/ ٤/ ١٤١٩هـ الموافق ٣١/ ٧ ـ ٢/ ٨/ ١٩٩٨م. ـ ١٨ ص.

١٦ـ الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة. ـ أدنبرة: جامع خادم الحرمين الشريفين بأدنبرة.

١٧ـ الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصُّل من المصطلح. ـ ص ٧٣٧ ـ ٧٧٥. ـ في: المؤتمر الدولي الثاني: المستشرقون والدراسات العربية الإسلامية ٤ ـ ٦ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٤ ـ ٦ مارس ٢٠٠٦م. ـ المنيا: كليّة دار

العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. ـ ١٥٦١ ص.

١٨ـ أوقاف الكتب والمكتبات: مدى استمرارها، ومعوِّقات الإفادة منها. ـ العقيق. ـ ع ٢٧ ـ ٢٨ (رمضان ـ ذو الحجَّة ١٤٢٠هـ /ديسمبر ١٩٩٩ ـ مارس ٢٠٠٠م). ـ ص ٢٥١ ـ ٢٧٢.
ونشرت في: بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية المنعقدة في المدينة المنوَّرة في المدَّة من ٢٥ ـ ٢٧ محرَّم ١٤٢٠هـ. ـ الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ـ ص ٥٤٥ ـ ٥٧٠.

١٩ـ البطالة والفقر في البلاد العربية وأثرهما على الخطَّة الأمنية العربية. ـ ورقة مقدَّمة في: ملتقى الإستراتيجيات الأمنية العربية: الواقع والتطلُّعات الذي عقدته جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالخرطوم من ٣ ـ ٦/١/١٤٣١هـ ـ ٢١ ـ ٢٣/١٢/٢٠٠٩م. ـ ٤٣ ص.

٢٠ـ البنية الأساسية لنظامٍ وطنيٍّ للمعلومات. ـ مكتبة الإدارة. ـ مج ١٣ ع ١ (محرَّم ١٤٠٦هـ/أكتوبر ١٩٨٥م). ـ ص ٢٦٣ ـ ٢٨١.

٢١ـ التجهيزات الأساسية للمعلومات. ـ مكتبة الإدارة. ـ مج ١٢، ع ٢ (جُمادى الأولى ١٤٠٥هـ/ يناير ـ فبراير ١٩٨٥م). ـ ص ٢٣ ـ ٣٨.

٢٢ـ التجَّار والمسؤولية الاجتماعية. ـ القصيم. ـ ع ١١٤ (٣/١٤٢٨هـ ـ ٣/٢٠٠٧م). ـ ص ١٠ ـ ١١.

٢٣ـ التَّنصــيرُ القَسْريُّ وَأَثَرُهُ فِي التَّعَدِّي عَلَى الحُرِّيَّاتِ الدِّينِيَّة. ـ الرياض: هيئة حقوق الإنسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٥٠ص.

٢٤ـ تنمية العمل الخيري. ـ الدوحة: مؤسَّسة عيد بن محمَّد آل ثاني الخيرية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٥ـ تنمية العمل الاجتماعي: تحقيق المسؤولية الاجتماعية (محاضرة). ـ الدمّام: مجلس الحصيني، ١٠/ ٥/ ١٤٣٠هـ ـ ٥/ ٥/ ٢٠٠٩م. ـ ٢٤ ص.

٢٦ـ تنمية العمل الاجتماعي في دول الخليج العربية بين الواقع وتطلُّعات المستقبل. ـ لندن: مركز الإمارات للدراسات والإعلام، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٤٣ ص.

٢٧ـ الثوابت والإستراتيجيات في الإعلام السعودي. ـ في: وزارة الإعلام. مسيرة الإعلام السعودي. ـ الرياض: الوزارة، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م). ـ ص ١٠١ ـ ١١٧.

٢٨ـ خدمات المكتبات والمعلومات في المملكة العربية السعودية: عرض لما كُتب باللغة الإنجليزية. ـ حولية المكتبات والمعلومات (قسم المكتبات والمعلومات بكليّة العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية بالرياض). ـ ع ١ (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م). ـ ص ١٠٣ ـ ١٢٩.

٢٩ـ الخدمات المكتبية للمعاقين في المناطق الصناعية. ـ مجلَّة المكتبات والمعلومات العربية. ـ مج ٦ ع ٢ (٨/ ١٤٠٦هـ ـ ٤/ ١٩٨٦م). ـ ص ٥٥ ـ ٦٤.

٣٠ـ خواطر حول إدارة العمل الاجتماعي . ـ الرياض : كليّة اليمامة ، (يوم الاثنين ٢٢/ ١٠/ ١٤٢٧هـ الموافق ١٣/ ١١/ ٢٠٠٦م) . ـ ١٤ ص .

٣١ـ دار الوراقة الخليجية . ـ عالم الكتب . ـ

٣٢ـ رحلات المستشرقين مصدرًا من مصادر المعلومات عن العرب والمسلمين . ـ مجلَّة مكتبة الملك فهد الوطنية . ـ مج ١ ع ١ (محرَّم ـ جُمادى الآخرة ١٤١٦هـ/ يوليو ـ ديسمبر ١٩٩٥م) . ـ ص ٣٩ ـ ٨١ .

٣٣ـ العجز في القوى العاملة وتأثيره على خدمة الكتاب . ـ عالم الكتب . ـ مج ٥ ع ٣ (١/ ١٤٠٥هـ ـ ١٠/ ١٩٨٤) . ـ ص ٤٨٣ ـ ٤٩٢ .

٣٤ـ علي كُراع النمل . ـ مجلَّة الحرس الوطني . ـ مج ؟؟ ع ؟ (؟؟/ ؟؟/ ؟؟١٤٢هـ ـ ؟١٩٨م) . ـ ص ؟؟؟ ـ ؟؟؟ .

٣٥ـ العمل الاجتماعي والتحدِّيات المعاصرة . ـ المدينة المنوَّرة : الجامعة الإسلامية ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م . ـ (محاضرة) .

٣٦ـ العمل التطوعي . الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية . ـ ١/ ٢/ ١٤٣٠هـ ـ ٢٧/ ١/ ٢٠٠٩م . ـ (محاضرة) .

٣٧ـ عوامل يلزم اعتبارها عند التخطيط لبرامج المكتبات والمعلومات في المناطق النامية . ـ عالم الكتب . ـ مج ٣ ع ١ (٧/ ١٤٠٢هـ ـ ٤/ ١٩٨٢م) . ـ ص ٦ ـ ١٠ .

٣٨ـ العولمة الفكرية. ـ دارين الثقافية. ـ ع ١١ (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م). ـ ص ١٦ ـ ٢٢.

٣٩ـ العولمة وتهيئة الموارد البشرية. ـ الدوحة: وزارة الطاقة والصناعة في ٢٣ ـ ٢٥/ ٢/ ١٤٢٣هـ الموافق ٦ ـ ٨/ / ٢٠٠٢م. ٣٠ ص. (محاضرة).

٤٠ـ كتاب الفوائد النفيسة الباهرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الأربعة لأبي حامد المقدسي (٨١٩ ـ ٨٨٨؟) (تحقيق ونشر). ـ العصور. ـ مج ٣ ع ٢ (١١/ ١٤٠٨هـ ـ ٧/ ١٩٨٨م). ـ ص ٣١٣ ـ ٣٥٨.

٤١ـ كُنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع والأهداف. ـ في: دراسات استشراقية وحضارية: كتاب دوري محكَّم، ع ١. ـ المدينة المنوَّرة: كليّة الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ـ ص ٢٢ ـ ٦٠.

٤٢ـ مراصد «بنوك» المعلومات والجامعات العربية. ـ مجلَّة المكتبات والمعلومات العربية. ـ مج ٨ ع ٣ (١١/ ١٤٠٩هـ ـ ٧/ ١٩٨٨م. ـ ص ٥ ـ ٢٨.

٤٣ـ مستقبل الكتاب المطبوع. ـ عالم الكتب. ـ مج ٣ ع ٢ (١٠/ ١٤٠٢هـ ـ ٧/ ١٩٨٢م). ـ ص ١٦٢ ـ ١٧٠.

٤٤ـ المكتبة الافتراضية والتراث العربي. ـ الدار البيضاء: الاتِّحاد العربي للمكتبات والمعلومات، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٨ ص.

٤٥ـ من تجارب العمل الخيري بمنطقة الخليج العربية: المأسسة والعراقة: ورقة مقدَّمة لفعاليات الملتقى السنوي الثاني عشر لشباب دول مجلس التعاون الخليجي. ـ القصيم/ المملكة العربية السعودية، ٣ ـ٧/ ٣/ ١٤٣٢هـ/ ٦ـ ١٠/ ٢/ ٢٠١١م. ـ (محاضرة).

٤٦ـ مناهج التأثُر والتأثير بين الثقافات: المثاقفة بين شرق وغرب. ـ أبها: النادي الأدبي بعسير، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٣٨ ص. (محاضرة).

أ ـ ونشرت في مجلَّة بيادر الصادرة عن النادي الأدبي بعسير.

٤٧ـ منهج التأثُّر والتأثير في العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب: حال العرب والألمان. ـ ص ٣١١ ـ ٣٣٦. ـ في: المؤتمر الدولي الرابع: الثقافة العربية الإسلامية: الوحدة والتنوُّع. ـ ١ ـ ٣ ربيع الأول ١٤٢٩هـ الموافق ٩ ـ ١١ مارس ٢٠٠٨م. ـ المنيا: كليّة دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٤٨ـ منطلقات ثقافية لحقوق الإنسان وإشكالية المصطلح. ـ باريس: اليونسكو، ٥/ ١٢/ ١٤٢٩هـ ـ ٣/ ١٢/ ٢٠٠٨م. ـ ٢٧ ص.

٤٩ـ الموسوعة الفِكـرِيَّةُ عَبدُالوهَّاب المسِـيري. ـ (محاضرة) النادي الأدبي بالرياض (السبت ٢٠/ ٦/ ١٤٣٠هـ الموافق ١٣/ ٦/ ٢٠٠٩م). ـ ٨٠ ص.

٥٠ـ نظرة المستشرقين للملك عبدالعزيز وجهوده في توحيد المملكة العربية السعودية. ـ في: بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مئة عام ٧ ــ ١١/ ١٤١٩هـ الموافق ٢٤ ــ ٢٨/ ١٩٩٩م. ـ الرياض: الأمانة العامّة للمؤتمر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. ـ ٤٦ ص.

٥١ـ نقد الاستشراق: مقدِّمة لرصد وراقي «ببليوجرافي». ـ مجلة جامعة الإمام محمَّد الإسلامية. ـ ع (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م). ـ ص.

٥٢ـ وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية. ـ مجلّة التعاون الصناعي في الخليج العربي (الدوحة). ـ ع ٨٩ (يوليو ٢٠٠٢م). ـ ص ٥٨ ــ ٧٥

53- Cultural Issues in Human Rights and the Vagueness of Terminology-. Perth, Australia: Center for Studies of Muslim States and Societies̃ University of Western Australiã 2009. - 20p.

54- Index of Information Utilizaion Potencial (IUP) as an Information Measure. - Arab Journal for Librarianship & Information Science. - v. 7, no. 3 (7/1987). - p.4 - 14.

55- Manpower Deficiency in Saudi Arabia: Its Effect on the Library and Information Profession. - International Library Review 14: 3 - 20 (1982).

56- Principles for Planning Library Education Programs in the Muslim World. - Journal of Muslim Social Scientists̃ 1982. 18p.

57- Principles for Planning Library Education Programs in the Muslim World. - Presented in the First Conference of Muslim Librarians and Information Scientists. Sponsored by the Muslim Students' Association. West Lafayettē Indiana: Purdue University 1982. 18 p.

الفهرس

تعترف المواجهة الإيجابية للدراسات الاستشراقة بوجود ظاهرة الاستشراق، كما تعترف بتأثيرها على المتلقِّين من المسلمين على المستويات العقدية والفكرية. وتحسب لهذه الظاهرة الاستشراقية حساباً؛ لكنها في حسابها هذا لا تقتصر على مجرَّد إملاء وجهة النظر بأنَّ أصحاب هذه الظاهرة (المستشرقين) جميعاً هم من النوع الذي يريد للإسلام والمسلمين كيداً، ولكنها تقرُّ بأنَّ فيهم النزيهين المتجرِّدين الذين حصلت منهم أخطاء كما تحصل من أيِّ بشر، وعندما ينبَّهون إلى هذه الأخطاء يرجعون عنها. وهؤلاء النزيهون هم من الفئة التي لم تحاول الخروج بنظريات حول الإسلام ورسول الإسلام ﷺ ادِّعاءً منها بأنها ستأتي بما لم تأتِ به الأوائل في مجالات المعتقد وأصول الإسلام.

بيسان